

بين الأصالة والمعاصرة

الدكتور الصفصافي أحمد المرسي





الطبعة الأولي

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	١٧٥٨١/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 344 -015 -x

دار الآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت : ٢٦١٠١٦٤



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾

صدق الله العظيم

(الروم آية ٢١)

الإهــداء

.. إلـى مَـنْ أُقَـدم ... ؟

إلـى ... !!

– الأمهات اللائى يُرضِعْن أبناءهن الغضب ضد الظلم ..

– إلى الأمهات اللائى يُعلِّمْن أطفالهن الصمود ضد الغدر ..

– إلى الأمهات اللائى يُنشِئن صبيا نهن على الثورة ضد الغاصب .. والمحتل ..

– إلى الكادحات فى الحقول ..

والواقفات خلف الأنوال .. والقابعات فى البيوت .. من أجل الضنا وفلذة الأكباد

– إلى الأمهات فى فلسطين .. والعراق .. وليبيا ولبنان .. والبوسنة .. وكوسوفا .. والسودان .. والمشردات بسبب العنف والدماء فى كردستان ..

– إلى كل النسوة اللائى يشرن بأصابعهن ، صانعات علامة النصر ...

– إلى الأمـهـات اللائي يـفـتِّتْن بأصـابعـهـن الحـجـارة ؛ لـيـقـذف بهـا أطفـالهـن ضـد الغاصب .. والحاقد .. والمتربص ؛ بأُمتنا الإسلامية ،أينما تكون على سطح الارض

– إلى أُمي التى لم أرها ..

ولكنى أستشعرها ... وأشعر بها .. فى العراق وفلسطين .

– إلى عمتى فى إيران الثائرة ...

وخالتى فى البلقان المسلمة ...

وأُختى فى ليبيا الصامدة

وإبنتى فى السودان .. وجنوب لبنان

– إلي كل مَنْ لا املك لَهُنَّ سوى الدمـعـة .. والكلمـة ... والدعـوة الخـالصـة بقـوة الصمود .. وحب التمسك بالتراث ... ورفض الآخر المعتدى ...

– إلى كل مَنْ تُعلم الأجيال كيفية الحفاظ على الأصالة دون رفض للحداثة المتسامحة...

– إلى كل من إغتُصِبْن في البوسنة .. وكوسوفا وهن لا يملكن إلا الاشمئزاز مِمَنْ ارتكبوا الجريمة ....!!

المؤلف ..

آعتاب قرن .. وصمود قرية
استهلال .. وتمهيد

ونحن علي آعتاب ألفية جديدة في حياة الإنسانية ؛ من شأنها أن تشحذ الأذهان ، وتُثير التفكير ، وتدفع إلي التأمل فيما فات ، وتُحرك الخيال نحو الكيفية التي يجب الحفاظ بها علي آصالة ذلك الذي فات ، وتأصيله قبل أن يضيع وسط زحام العولمة .

وإذا كانت الألفية الثانية ، التي نُطفئ آخر شموعها ، قد شهدنا فيها الثورة الثالثة في حياة البشرية ، وعشنا إرهاصاتها ، ونعني بها الثورة العلمية ، والتقنية التي جعلت العالم قرية صغيرة مفتوحة المعالم .. ، وأصبح العلم – لأول مرة – عنصراً أسياسياً ، ومهماً ، بين عناصر الإنتاج .. مضافاً إلي العناصر التقليدية من موارد ، ورأسمال .. وأيدي عاملة ...

فإن الثورة الإتصالية العظمي ، والإنفجار المعرفي .. والتي تتمثل رموزها في البث التلفازي المباشر من خلال الأقمار الصناعية ، وشبكة الإنترنت التي أحدثت هذه الثورة في مجال الإتصال الإنساني .. وذلك الإنفجار المعرفي في المجالات البشرية .. وجعلت الفضاء مفتوحاً علي مصارعه للإتصالات الإنسانية التفاعلية ، والتي لا تحدها قوميات ، أو يتطلب الأمر للولوج إليها استصدار تأشيرات أو تحول دونها تلك الأسلاك الحدودية الشائكة ... أو العوائق الجغرافية الجامدة .. أو تصد عنها عقبات اللغة .. أو عقائد الدين والسياسة علي ضوء ذلك كله ؛ إنجرف العالم أجمع ؛ بكل مجتمعاته ، وتجمعاته ، في السنوات الأخيرة إلي الإستعداد للقرن المقبل ، أو إلي الألفية الثالثة .. لإ ستقبالها .. والعمل علي إستيعاب كل مستجداتها .. في خضم هذا التسارع .. والتصارع .. ، أين نحن ؟ أين نحن من كل هذا .. وأين نكون من هذه الإستعدادات ؟

إن العالم لم يعد كما كان ؛ فقد عاش ثورته الأولي ، وهي الثورة الزراعية في هدوء، وسكينة ... وأستطاع فيها أن يروض الطبيعة ... ويسوي التربة .. ويستزرعها .. لينقذ نفسه ، وغيره ، من الجوع ، والمجاعة .. ويكسي جسدة من

العري .. ويؤمن لنفسه ، ولغيره ، دفع الفاقة .. وذلك بزيادة الإنتاجية .. ومحاولة خلق مجتمع الوفرة .. وعاش الثورة الثانية ؛ والتي تلت السابقة بقرن من الزمان .. ألا وهي الثورة الصناعية .. تلك الثورة التي فتحت أمام البشرية آفاقاً لا حدود لها .. وطموحات تُحقق الكثير منها ؛ في مجالات الطيران ، والإتصال والمواصلات .. والصناعة عامة ..

إن كل المجتمعات ؛ بمختلف توجهاتها الفكرية ، والسياسية ، والإقتصادية ، علي قناعة تامة ؛ بأن العالم لم يعد كما كان وأن هناك متغيرات كبري ، قد أحدثت زلازل.. وبراكين .. سواء في مجالات القوة العالمية .. أو في مجالات الثورات العلمية ، والتقنية .. وأبحاث الفضاء .. والإتصال .. أو مجال المشكلات الإقتصادية.. والسياسية والإجتماعية والثقافية .

لقد أصبحت هذه كلها مشكلات عالمية ، وذلك من خلال تدفق موجات العولمة.. والسيطرة الثقافية ..وصراعات الهوية .. وكيفية التعامل مع الآخر ..

إننا نرفض صراع الحضارات .. فحضارة الجنس البشري تتفاعل .. وتتكامل.. فالصراع ثقافي .. إقتصادي مستبد .. الفقير مهمل .. والضعيف مهمش..

لقد اشتد الإهتمام بقضية الأنا .. والآخر .. والمستقبل لدي كل المجتمعات .. صونا ، للهوية ... وحفاظاً علي الذات .. وصداً ، لهجمات الآخر .. مع الاخذ بما يُفيد من مفردات الحضارة الإنسانية الحديثة .. فنحن لا نرفض الآخر ؛ إلا إذا استبد .. وطمع .. واحتل .. وحاول طمس الهوية .. فالكل سواسية كأسنان المشط .. ولا نضن بما نملك ؛ من موارد ... أو معارف أو حضارات ما زالت ماثلة .. أوتراث ما زال معطاءً .. فيه ما يُبهر .. إذا ما زال الصدأ .. وما يُعلي البناء الحضاري إذا ما وجد الفرصة ..

* * *

تراث القرية....
ووجدان المتلقي...

إذا كانت الأسرة ؛ هي النواة الاولىٰ في بناء المجتمع ، واللبنة الأساسية في ترسيخ التراث ، فإن القرية هي حافظة العادات .. ومخزن الآعراف .. تمد المدن بالغذاء .. وتُفعم الذاكرة بالحواديث .. والسير .. وتُدغدغ المشاعر بالمواويل .. والأقاصيص .. وتُقطر التجارب في الحكم ، والأمثال .. تُشعرنا – إذا ارتبطنا بها – بالعزْوَة .. والتعاضد .. والتكافل .. والمحبة الجارفة .. من هنا كان لقريتي في نفسي مكانة لا يُضاهيها إلا مكانة الجامعة .. وهي التي أمدتني بالحب الذي استعنت به علي العمل .. وكما كان الزاد ، والزوّاد الذي نحمله معنا منها يُعيننا علي التحصيل ، والتعلم ، فإن الزاد المخزون بين جوانحي هو الذي دفعني لإنجاز هذا العمل .. فأنا والقرية متحابان .. أنا منها .. وهي تكمن في داخلي ..

كان آخر مطاف للعائلة هو عزبة البدوهة – عمدية الدمايرة مركز بلقاس دقهلية ؛ حيث وُلدت في صبيحة يوم مُشْمِس من آواخر شهر يناير ، وأول فبراير سنة ألف وتسعمائة وأربعين .. أي في شهرذي الحجة من سنة ألف وثلاثمائة وثمان وخمسين من الهجرة النبوية .

أسموني علي اسم الشيخ علي الصفصافي ، أحد الأولياء ، والمتصوفه الصالحين ، والمقام مقامه في المنطقة .

توفيت والدتي المرحومة فريدة حسن منصور ، وأنا لم أتجاوز الثانية بعد .. تركتني وهي تغالب المرض ، وهي تلهث بالدعاء للطفل الرضيع .. ولهذا ، فأنا لا أتذكر ملامحها .. وإن كانت حسب أقوال الجميع ، تجمع بين جمال الخُلقُ .. والخليقة .. حباها الله بجمال إنعكس علي كل مَنْ انجبتهم من شريك حياتها ..

أما عن والدي .. فينحدر من عائلة كبيرة في مركز قطور غربية ولظروف رحل مع والدة إلي قرية الخيارية بالقرب من "البحر الصغير" علي فرع دمياط بالقرب من مدينة المنصورة .. ولِد – رحمه الله – في آواخر الثمانيات من القرن التاسع عشر .. تعلم

في كُتاب القرية ، ولكن حالت الظروف دون دخوله إلي الازهر الذي كان يستعد له .. كان من أكبر الأسباب هو الاستعمار الإنجليزي الذي أحتل الأرض والنفوس ، وكمم الأفواه في مصر منذ سنة ١٨٨٢ م .

– كره الوالد الإستعمار ، وقاومه مع التيار القومي الذي كان يقف خلف مصطفي كامل ، ومحمد فريد ، وثورة سنة ١٩١٩ م .. وكان ضمن من اغلق جنود الإحتلال عليهم جامع الخيارية .. وضيقوا عليه الخناق ، فانتقل بعد وفاة والده مع أشقائه إلي قرية الكوم الأحمر ، بعد أن زوج أختة الوحيدة من عمدة الخيارية .

– استقر به المقام مع من سبقوه من الآقارب ، والآعمام .. وأشتري مساحة كبيرة من الأرض من شركة البحيرة في زمام القرية التي وُلدتُ أنا فيها .

– كان وجيهاً .. شهماً .. كريماً .. لا يجامل في الحق .. لا يُداري ، أو يجاري الظالم مهما كانت منزلته .. فحقدت عليه ، وعلينا النفوس الدنيئة فكادوا له ، وتآمروا عليه .. وشهدوا زوراً ، وبهتاناً ، علي عقود بيع وهمية ، تُفيد أنه قد باع أرضه ، وأرض أخوته إلي وكيل كنيسة القديسة دميانه نجيب أفندي تكلا .. طال الصراع القضائي بيننا ، وبين هذا التكلاوي ما يزيد عن خمس وثلاثين سنة ، ولم تُحسم القضية .. بل سُرِقت الأوراق .. وهرِبَّت إلي اليونان .. ودخلت أنا الجامعة ، وكان ذلك عِوضاً لوالدي .

كان والدي من أشد الكارهين للإستعمار ، والمحاكم المختلطه ، وكل أشكال الظلم ، والإقطاع .. كان يُشايع ، ويدعم الشيخ حسن البنا .. تحمس جداً للثورة .. وأحب من صميم قلبه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، كان يحكي لنا ، ويقص علينا مدي المعاناة التي مرت بها مصر ، ويقول (ولا يعرف قيمة الثورة .. وما قام به جمال عبد الناصر ، ورفاقه ، الا مَنْ ذاق طعم الذل علي يد الإستعمار ، وعَرِف الظلم علي أيدي ذناب الإقطاع .. والحرمان الذي كانت تعيشه مصر عامة ، والقرية المصرية خاصة ..) .

– كان بالنسبة لي الأب ، والأخ ، والصديق ، والقدوة ، غرس في نفسي منذ الصغر كيف أحب كل الناس .. إلا الظالم .. والحاقد .. والمنافق ..

- "ياعزيز .. يا عزيز كُبَّة تاخذ الإنجليز.." عندما سمعها منى .. وأنا أرددها سنة ١٩٤٨ م قرر أن يُغيِّر مسار حياتي .. وأن يُلحقني بالمدرسة الاميرية بدلاً من الكُتاب.. وأن أُتابع في التعليم العام .. بدلاً من الازهر ..

- لم يكن يعترض ، أو يخاف عليْ إذا عرف أنني شاركت في المظاهرات التي كانت تقوم بها المدرسة الثانوية في بلقاس .. ويأتي طلابها ، ويقتحمون المدرسة الأميرية ، ويطلقون سراحنا للمشاركة في المظاهرات قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ م :

- علمني كيف أتحمل المسئولية منذ الصغر ؛ فالمطلوب مني ، وأنا أبن الثامنة ، وفي الغربة ؛ في المركز حيث المدرسة الإبتدائية ، وبعدها الإعدادية ، وفي المنصورة حيث التعليم الثانوي ، وفي العاصمة - القاهرة ، حيث الجامعة أن ألتزم بقواعد الخُلق القويم ، وأن أتمسك بأهداب الدين .. وأن أجد في طلب العلم ، لكي أعود إلي القرية ناجحاً .. فالنجاح مطلوب ، «والكحك» مرفوض .. فأنا الأمل .. وأنا العوض عن كل ما فقدته العائلة ..

- كان إرتباطي بالقرية وثيقاً .. أعود إليها في عطلة آخر الأسبوع لنأخذ الزوّادة ، ونحن في الإبتدائي ، والإعدادي .. وكل أسبوعين ، وأنا في الثانوية في المنصورة .. وفي نصف السنة ، والآجازات الصيفية وأنا في الجامعة ..

- تعلمت في القرية كثرة القراءة .. فنهار القرية طويل ، ولياليها القمرية تُحب السمر .. كان الكل لايراني إلا ممسكاً بكتاب ، أو مجالساً لشيخي المرحوم الشيخ محمود حسن البسطويسي ، أو القاريء النهم الشيخ صادق حسن الذي كان شاعراً فذاً .. ولكنه مات ، دون أن يسمع به أحد . كان الإلتزام بالعادات ، والتقاليد ، والإلتزام الخُلقي رصيدي الذي لا يمكن التفريط فيه أبداً .. وهو الذي كوَّن رصيد الحب لدي فجعلني .

- أفتح في الصيف فصلاً لمحو الأمية .. وأنا في الثانوي .. وتعلم فيه مَنْ اصبحوا من وجهاء القرية ..

- لما كنت الجامعي الوحيد فيها .. فاقمت بمشاركة طلاب المراحل الأخري حفلات تمثيلية في الصيف .. ونلنا دعماً كبيراً ، من شيخ البلد المرحوم الشيخ

حسنين لبن ، ومن الأمين ، والمؤتمن علي كل أوراق ، وعقود وأسرار القرية ، والقري المحيطة أحمد افندي عبد الله الدولتلي .. وكان رحمه الله مثقفاً .. محبًا للمتعلمين، والمثقفين .. وأذكر انه كتب لنا تمثيلية شعرية عن عدل الفاروق عمر بن الخطاب ، وكان يحضر معنا التدريبات ، ويساعدني في الإخراج .. ويدعمنا أمام التيار المعارض من أهل القرية .. ربط الحب ، والاحترام بيني وبينه ، رحمه الله ، وبين كل الأبناء ... ولم يكن يأتمن احداً لمصادقة الأبناء من شباب القرية سواي ، ونتج عن هذا الحب أن زوجت سعداً ، الإبن الأكبر ، من شقيقة زوجتي فأصبح عديلي ، ومحموداً الأبن الأصغر من إبنة أختي فصرنا أقارب .. وهكذا .. يخلق الحب .. والإحترام .. النسب .. والعصب .. والقرابة .

– أقمت بالجهود الذاتية سنة ١٩٥٧ م مشروعاً لإنارة القرية ، فلم تكن قرانا حتي ذلك التاريخ تعرف المدارس ، أو المياة النقية ، أو الكهرباء أو الوحدات الصحية .. أو حتي الطرق المرصوفة .

أشهد الله أن بعضاً من سيدات القرية المُعْدَمات ، كن يُقدمن لنا بعض الطيور ، أو الحبوب لكي نبيعها .. ويشاركن بثمنها في مشروع الإنارة

أقمنا للمشروع في ليلة إفتتاحه مهرجاناً يُشبه مهرجان إيقاد الشعلة في الأولمبياد .. أتي صديقي الأستاذ طاهر عز الرجال ، وكان مدرساً بالتربية والتعليم ، بشعلة مشتعلة من خارج العزبة ، إلي ميدان الجامع حيث وسط القرية ، والشعلة الرئيسية .. وفي اللحظة المحددة ، وعند سماع الصفارة قام كل الأصدقاء ، والواقفون أمام الفوانيس بإشعالها .. وفي لحظة واحدة ، ومفاجئة ، تحولت القرية كلها بؤرة مُضيئة .. وسط ظلام حالك ، في إحدي ليالي النصف الثاني من شهر رمضان .. وعقب صلاة العشاء ، والتراويح . ومن هنا أدرك شباب القرية ، وأهلها ، والقري المحيطه ، الفرق بين النور ، والظلام وجدوي المشروع ولكن للأسف لم يجارينا فيه أحد .. وأظنه ظل يخدم القرية حتي دخول الكهرباء ....

– كان الإلتزام بالأخلاق القروية ، والحرص علي السمعة الطيبة ، ومصادقة الكتاب .. والتواضع مع الآخرين هو الرصيد الذي خلق لي منبعاً من الحب لا يجف .. ورصيداً من الثقة ما زال موجوداً ..

- لا أستطيع أن أنسي الفرحة التي غمرت كل أهل القرية ، عندما نجحت وكان ترتيبي الأول ، وعقب تعييني معيداً .. وعند سفري إلى البعثة .. والإستقبال الحاشد والحار من كل أهل القرية عندما جئت لزيارة خاطفة لهم خلال مدة البعثة في استانبول .. تجمع الأهالي علي شاطيء الترعة .. أنزلوني من السيارة .. تبادلتني الأحضان .. وسط الزغاريد ، وأكواب الشربات حتي وصلت إلي أحضان أبي .. وظلت الفرحة .. والبهجة إلي أن سافرت ثانياً ..

- لا أستطيع أن أنسى مدي فرحتهم بي ، إذا ما سمعوني في المزياع ، أو شاهدوني علي شاشة التلفاز .. .

- أهالي قريتي الآحباب .. أنا فخور بكم .. أعتز بأبوة الشيوخ منكم .. وأتوسل إلي الله بالدعاء والغفران لمن سبقونا إلي جنة الخلد ، وأطلب الصفح ، والمعذرة من الأصدقاء .. ومن الشباب .. والأشبال .. والبراعم ، لأنني لم أستطيع أن أُقدِّم لقريتي الحبيبة سوي الأمنيات الطيبة .. والكلمات التي أشهد الله أنها صادرة من القلب .

- إنني اعترف ، أنكم جميعاً وراء أي نجاح أحققه .. لا أملك إلا قلمي .. وكلمتي ... وشجاعتي علي الإعتراف بالتقصير تجاهكم .. فلا استطيع أن أُلبي مَطلباً إدارياً .. أو أقوم بخدمات اجتماعية تؤدي إلي مغانم .. أو قضاء مصالح .. لا تقصير مني .. بل رغبة في أن أحفظ لكم كرامتكم ، التي لا أُود أن تُهدد في شخصي في المكاتب البيروقراطية الإدارية العفنة .

- العَوض عندي ، أن أُسجل بإسمكم ، عطاء كل فرد منكم بين صفحات كتبي .. كلما جانت الفرصة ... وها أنذا أستعير منكم أجمل العادات .. وآحلي الأعراف .. أُسجل ليالي السهر في رمضان .. والنقوط في الأفراح .. والوقوف كرجل واحد في التعزية والمآتم ... والزمال في العمل .. والتزاور في المرض .. والتكامل في الملمات .. أهديت لكم جميعاً .. شيوخاً .. وأشبالاً .. وبراعم .. كتابي (يشار كمال والقصة التركية القصيرة ..) ولسوف أُخصص كتاباً في المستقبل لسيرتي الذاتية .. وكيف كانت قلوبكم ورائي .. ودعواتكم هي سندي ، ونبراسي في كل مراحل الإرتقاء من حصيرة الكُتّاب إلي منصة الجامعة .. وكيف كان الجلوس معكم علي الحصيرة أو فرق

المصطبـة ، أو علي الكنبـة اغلي عندي من مـوائد الملوك ، والامـراء ، والوزراء .. والسفراء .. لم يكن يعلوها إلا مناقشة العلماء ، أو محاورة المثقفين في المؤتمرات .. والندوات .. أو الإختلاء إلي النفس لمحاسبة الذات .. أو الجلوس علي منصة القضاء للحكم علي أطروحه الماجستير ، أو الدكتوراه .. أو فحص الإنتاج العلمي ، لأحكم بصلاحية النشر ، أو نيـل جائـزة .. أو أن صاحبـه يرقـي لشغـل وظيفـة الأسـتاذ ، أو الأستاذ المساعدالشاغرة بإحدي الجامعات المصرية ، أو العربية ..

كان والدي رحمه الله ، يتمني ان اكون قاضياً .. (ولما) كرهت الحقوق لمعاناتنا من المحامين .. والمحاكم .. حـقـقت له أمله في ان أكـون حكـماً عَدْلاً بين طلابي .. وطالباتي .. وان اكون قاضياً مُنْصِفاً في التحكيم العلمي .. وترجـماتي .. لا في الحكم .. والضبط الجنائي .. طابت روحك ياوالدى .. ولن أُحيد عن الصراط الحق التي رسمتها لي مهما كانت الضغوط .. أو المغريات ..

– أشهد الله انني اتمثلك في قول الحق ... ومقاومة الظلم .. أرفع رأسي ، وهامتي امام كل المغريات .. أرفض كل أشكال النفاق السيـاسي ، والإداري .. والثقـافي .. والعلمي .. لانك علمتني كل ذلك ..

– كان اهل قريتي .. بحفلات العرس .. والسمر في الليالي القمرية وحفلات الصيف المجانية .. وراء أختياري للمسرح في أُطروحه الماجستير ، وحياة القرية .. والترابط العائلي .. والحب الدفين في القلوب البريئة .. هي التي اصلت في نفسي .. وآعماق لا شعوري .. العادات .. والآعراف والقيم العريقة التي أستقي منها رحيق هذا الكتاب ...

إن هذا الكتـاب فيـه خلاصـة مـلاحظاتي .. ومشـاهـداتي حول الآعـراف .. والعادات.. والتقاليد .. لقد منحني الله – ببركة دعاء الوالدين الفرصه بان أعيش في تركيا أكثر من خمس سنوات .. وفي إيران .... وتونس والمغرب .. والسعودية .. والأردن .. وسوريا .. ولبنان ما يزيد عن عشر سنوات.. سجلت فيه كل ماوعته الذاكرة عن الأسرة .. منذ كانت نواة .. حتي تصل إلي حجم العائلة الكبيـرة .. حاولت قدر طاقة البشر ان اكون منصفاً ، فيما أُسجله .. محاولاً تاصيل كل ما راودني من افكار .. إلي ان وقع في يدي كـتـاب (الآعـراف .. والعـادات – المنظور

التركي) فجعلته صنواً لما سجلت ، وتأصيلاً لما وعته الذاكرة وشُحِنت به طوال فترة إقامتي التي تجاوزت الخمس سنين في تركيا الشقيقة .

– إذا كانت هناك كلمة أخيرة.. قبل ان أصل إلي كلمة النهاية في المقدمة .. اقول ان الحب هو القيمة الأساسية في بناء أسرة ذات قيم أصيلة .. الحب هو الإلتزام الخُلقي.. الحب هو الذي يقينا السقوط في مستنقع الرذيلة .. الحب هو الذي يحفظ للإسرة توازنها .. وللأمة نمائها وتطورها .. كيف .. ؟

– ذات مساء حاورت عن بُعْد بنت حواء التي كانت تروم تكوين أُسرة وتبني رسالة .. هي ترفض الحب .. وانا أستعذبه .. فهو البناء .. هو العطاء .. هو الحقيقة.. فكان ذلك الحوار .. ! أنت يا ..

– حبي الذي لم أعشه بعد ..

شوقي الذي اتمنى له الوصال ..

رغبتي التي يمكن ان تذوب .. أو تزول .. بمجرد السماع إليك ... أو التأمل في عينيك ..

– قد تسالين .. لماذا .. ؟

وكيف يكون هذا الذي أُسميه حباً ... ؟

– نعم .. لك الحق .. والف حق في أن تسالين ..

ولي الحق .. الف حق .. في ان أُحِبَ ... وان أُحَبَ .

– تُحب...!

– نعم أُحب ..

– وما الحب .. الذي تبتغيه .. أو ترومه ..؟

– الحب ...، يابنت حواء ... التي تسالين ..

هو الحياة .. هو الكيان .. هو الوجود ... هو الأمل ..

– كيف.. ؟

- كيف .. !

لولا الحب ... ياعزة النفس .. ما كان الوجود .. وما كانت الحياة ..

أتعرفين كيف ..؟

فلولا الحب لما خلق الله سبحانه الحياة ..ولما خُلِقَ الوجود ... فقد خُلِقت الحياة من أجل الحب .. وخُلِقَ الوجود من أجل الحب ... فالحب هو الحياة .. هو سر الوجود ..

أيمكن أن يكون الله قد خلق آدم عبثاً .. ؟ كلا ... لقد خلقه .. لأنه أحبه .. ولأنه أحبه .. خلق له الحب .. خلق له الحياة .. خلق له الوجود .. لكي يستمتع به .. وخلق معه الحب .. ومن أجل هذا الحب .. خلق له حواء .. مِنْ نفسه .. ولنفسه اليس كذلك .. يانسل حواء .. ؟ .. ألم يحب آدم .. حواء .. ؟ أو لوْ لم يُحبها ...أيمكن أن يكون قد أطاعها ... ! إنه أحبها ... فأطاعها ..فذابا .. أطاع الحب .. وعصي الخالق...

الخالق يُحب ... يحب خليقته .. صنيعتة .. آحب آدم ، وحواء .. آحب حتي خطيئتهما ... فغفرها لهما ... أحبهما ... فوهب لهما الحياة ...

إذن .. الحب .. هو سر الحياة .. الحياة بالحب تحلو .. تنمو .. وتتطور ... تخيلي .. يانسل حواء .. الحياة بدون حب ... ستكون جحيم .. بل ستكون أقسي من الجحيم ... الوحدة جحيم .. الحياة بدون حب جحيم مستعر .. حتي الجحيم بالحب يحلو ... والألم ... بالحب يُستعذب ...

الحب .. ياكل الحب .. ليس جسداً ... ليس نزوة ... ليس رشفة من شفاة ... بل ذوبان الروح ، في الروح.. هيام المحب بمَنْ أحب ...

الحب ... وصال ...الحب ...هيام....الحب أمل....الحب عطاء ...الحب بسمة ... والبَسْمَةَ عطاء .. والعطاء قمة الحضارة .. الحضارة من صنع الحب ..

- الفراعنة .. يانسل حواء .. أحبوا .. فبنوا المعابد .. احبوا ... فبنوا المقابر .. خاضوا المعارك . اقاموا المسلات .. نحتوا التوابيت .. عرفوا التحنيط لكي يُخلدوا

الحب .. بالحب عرفوا التوحيد .. فالحب يُبعد عن الخطيئة .. يَعصم من المعصية .. شيَّد تاج محل .. أنْزل الملك عن عرشه ...

– ......

– نعم أنا ... أُحب ... وأتوق للحب .. وأعيش بالحب وأغرس الحب ... وأنتج بالحب ... وأتنفس حباً ...

فالأسرة التي تقوم علي الحب تصمد .. وتُقاوم .. تبني .. وتُحافظ علي ما شيدته .. وما إكتسبته من قيم .. تتسلم الراية مرفوعة ، وتُسلمها إلي الأبناء .. ناصعة البياض ..

إنني أُقدم هذا الكتاب .. كصرخة إلي كل أب ... وكل أم ... كل أسرة .. وكل مسئول عن التراث .. وحفظ كيان الأمة ... تراثنا هو الكيان الذي يحمينا .. و الذي يحفظنا ضد الزوبان والإنصهار .. والتهميش .. إننا لا نرفض الحديث .. أو نحديث بل نسعي إليه .. لكي نستنشقه من بين براثن الأسود ... وفم الشيطان .. شرط الا يقتل فينا هويتنا .. أو يخنق في صدورنا ذاتيتنا .. والا يطمس لنا عالم.. أو يُضَيع منا ، أو من فلذة أكبادنا الصراط المستقيم .

وعلي الله القصد والنية ...

الصفصافي أحمد المرسي القطوري
أرض الجولف – القاهرة
الإثنين الثاني والعشرين من صفر سنه ١٤٢٠هـ
السابع من يونيو "حزيران" سنة ١٩٩٩م

العائلة

مدخل:

العائلة ، مجموعة أجتماعية تنتج عن روابط القربي التي تصل الأفراد ببعضهم البعض ، ومن هذا المنطق ؛ فإن العائلة هي أصغر وحدة أجتماعية في المجتمع . إن شكل ونمط العائلة ، يتحدد وفق الظروف الخاصة،التي تحددها ثقافة كل مجتمع علي حدة. ومع هذا ، فإن هناك أربع وظائف ، مهمة قبلها المجتمع الدولي ، في تكوين الأسرة .

١- العلاقة الجنسية، بين أفراد المجتمع الذين يكونون الأسرة ، علي الأقل بين رجل وأمرأة ، تلك العلاقة التي يقبلها المجتمع ، وينظمها القانون، بين رجل وأمرأة . بالاضافة الي هذا ، فان هناك حقيقة مؤداها ، أن الرجل والمرأة بحكم تكوينهما محتاجان لبعضهما ؛ فالرجل في حاجة الي المرأة والمراة في حاجة الي الرجل.

٢- يلتصق بهذا تماماً ، خاصية أخري ، مهمة في إحداث الأسرة وتأمين أستمراريتها ، فالرجل والمرأة ، منذالخليقة ، يكملان بعضهما البعض في مشاركة أقتصادية ؛ فطبيعة الأعمال التي يمكن أن يقوم بها كل من الرجل والمرأة مختلفة عن بعضها متباينة في مردودها ، هذا الإختلاف والتباين يتغير ، ويتبدل من مجتمع إلي آخر ، وفقا لخصوصيات كل مجتمع وبناءة الثقافي . والمشاركة الاقتصادية ، داخل الأسرة ، لا تتوقف عند أرتباط الزوجة بالزوج فقط ، بل تتعداها إلي وجود الأسرة ذاتها ، وأستمرارها ، وتأمين وضمان تنشئة الجيل الجديد ، الذي يكفل أستمرارية المجتمع ذاته ، ورعاية هذا الجيل والمحافظة عليه .

في تلك الحالة ، لا يجب حصر التفكير هنا ، علي أن تلك المشاركة ليست عبارة عن مفاهمة أو أتفاقية معتمدة علي الناحية المادية فقط ، بل إن تنشئة جيل جديد ، وتربيته ، ورعايته ، والتي تحتل مساحة كبيرة ودوراً مهما في تكوين الأسرة ، تأتي نتيجة طبيعية لهذه الشراكة .

هذه النتيجة ، ستُأدي بنا ، من تلقاء نفسها ، إلي وظيفة أخرى من وظائف الأسرة.

٣- تلك هي تنشئة جيل جديد ، داخل عش مُحاط بالحب ، والود ، وحرارة العلاقة الأسرية ، فصغير بني البشر ، يحتاج إلي رعاية أطول وأشمل ، عن سائر المخلوقات الأخرى . ومن هنا ، فإنه في حاجة إلي راعٍ ، ومحتاج إلي إهتمام ورعاية الأم والأب . ومما لا شك فيه ، إن بني البشر يولدون ومعهم بعض من ذكائهم ، ولكن لابد من تطوير هذا الذكاء ، وتنميته بالتوائم مع العوامل الخارجية . هذا التوائم ، هو الذي يجعل هذا الطفل ، فرداً في المجتمع الذي يُنسب إليه ، وينمي فية الإنتماء إلي هذا المجتمع ، وهذا بدوره ؛ يقودنا إلي الوظيفة الأساسية الرابعة للأسرة ،

٤- هي ، جعل الطفل ، والشاب جزء إجتماعي ، ولبنة مهمة في المجتمع ، والأمة التي يعيش بينهما ، تنشئته ثقافيًا وفقًا لهذا التلقي ؛ فرعاية الطفل وتنميتة ، وملاحظتة ، ومتابعتة ، وتغذيتة ماديًا ، ومعنويًا .. أمور كلها في غاية الأهمية . وعلي نفس القدر من الأهمية ؛ هناك أمور أخري ، ربما تفوق هذه في الأهمية ، تلك هي جعل الطفل إنسانًا ، مفيداً ونافعًا ، للمجتمع الذي يعيش فيه ، وجعله نموذجًا جيداً ، وتجسيداً طيبًا ، للميراث الثقافي لهذه الجماعة التي يعيش فيها . وتزيينه بالقيم والأخلاقيات التي سينقلها إلي الأجيال التي ستليه .هكذا ، نري أن العائلة ، مرتبطة بأربعة أسس تتولد عن بعضها البعض ، ومتشابكة بعضها البعض . وعند تناولنا للموضوع داخل خطة الأمه والمجتمع ؛ فإن أسس هذه النتيجة متشابكة ، ومتواصلة دائمًا ، وأن الرابعة معتمدة علي الوظائف الأخري .. وأن القيم والأخلاقيات ، التي تُميز أمة من الأمم ، وتضمن بقاءها ، واستمرارها ، هي من قبل كانت سائدة في الأسرة ، والأسرة هي التي تنقلها إلي الأجيال التالية ؛ وتأتي .. اللغة علي رأس هذه القيم وفي مقدمتها .. فالطفل يتعلم ، أول ما يتعلم لغتة من أُمه ، وأبيه .. ولكن تعميق ، وتطوير هذه القيمة مرتبط ، ومتعلق بالبناء الثقافي للأسرة .

فالطفل ، يتعلم من الأسرة أشكال ، وأنماط الحركة ، وقواعد التصرف المنبثقة عن آعراف ، وتراث المجتمع . فنجاح الطفل في علاقاتة بأفراد المجتمع ، وأرتباطه بهم ، منوط بالأسرة بشكل مباشر .

الطفل ، يتلقي معتقداته الدينية ، والإيمانية ، والأخلاقية ، والحياة وفقًا لها من الأسرة أيضًا .. ويجد ضالته ، وقدوته في التكامل الإجتماعي ، ومشاعر الإنتماء إلي

الأمة ، كأحسن مايكون في الأسرة .. فالأسرة هي الوسط الذي يجد الشخص فيه راحته ، وسكينته ، وأَمْنَه وأمانه...هي الأرض الخصبة المعطاءة لإستمرارية الأجيال بشكل شرعي ... هي المؤسسة التي تحمي الإنسان من تمزقات العالم الخارجي .

هذه المؤسسة الأسرية ، تظهر تنوعًا ، واختلافًا ، وفقًا للمجتمعات ، وتطورها التاريخي ... وعالم الإجتماع .. يوضح ذلك وأسبابه .. ويصنفها في مجموعة من الأسر .. وأجمل تلك التصانيف هي :

١- الأسرة الواسعة .. الكبيرة ..= العائلة

٢- الأسرة النواة .. الصغيرة ..= الأسرة

١- فالأسرة الكبيرة أو العائلة ؛ تعيش معًا ، تحت ظروف مختلفة ، في شكل عائلة .. فيما بينها اتحاد في الإنتاج والإستهلاك ، وتحمل فيما بينها ، خاصية ، الملكية المشتركة .

٢- أما الأسرة النواة .. فتتكون من الزوج ، والزوجة ، والأولاد الذين لم يتزوجوا بعد ، والتي نشأت ، نتيجة انفصالها عن الأسرة الكبيرة .. وهذا النمط ، والشكل العائلي ، هو السائد في المدن ، والأكثر انتشاراً في المجتمعات الصناعية .

هذه الأنماط الأسرية ، تناولها من الناحية الإجتماعية يَخرج عن نطاق هذه الدراسة .. ولكن .. مهما يكن شكل الأسرة ونمطها .. فالأديان السماوية المعتمدة علي الوحي الإلهي وهي ؛ اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .. فهذه الأديان الثلاثة تحرم الزنا ، وتحترم العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتُجل الأم والأب .. وتتحد هذه الأديان- إلي جانب هذا - فيما بينها في الدعوة ، والحض علي مساعدة الآقارب .. والجيران .. بل وحتي الخصوم ..

***

لم تتعرض الأسرة المسلمة . طوال التاريخ ، لتغيرات كبيرة ، فهي في الأساس ، بناء مرتبط بالجد ، ولكن ليس كذلك البناء الموجود لدي اليهود ، والرومان .. لم يكن ذلك البناء الأسري ، الذي يمنح رئيس العائلة سلطة غير محدودة ، أو ينظر إلي الزوجة ، والأبناء وكأنهم ملكًا ، ومتاعًا للآباء ، أو ينظر إلي العلاقة بين الأب ، والزوجة والأبناء ، وكأنها علاقه مادية فقط . ففي البداية ؛ كانت العائلة المسلمة التي تتشكل وفقًا لظروف ، وشروط الحرب ، وحياة الرعي ، والزراعة حتي وإن بدت وكأنها اجتماعيًا تُصنف ضمن نمط « العائلة الكبيرة » إلا أنها تختلف عن أنماط « الأسرة الكبيرة » في الثقافات الآخري . وعلماء الأجتماع ، يحاولون الإبتعاد عن إعطاء أحكام قاطعة في هذا الصدد . ولم يتم عمل إيضاح ، أو توضيح إجتماعي واسع النطاق للعائلة المسلمة ، داخل نطاق التطور التاريخي .. ولكن في اللغات الإسلامية، فإن تعبير « الزواج » أو « التزويج » يُفيد معني إنفصال الإبن ، أو الإبنة عن بيت الأب ، وتكوين منزل جديد مستقل . وتشكيل نواة جديدة ، لأسرة جديدة .. وترك بيت الأب للإبن الأصغر ؛ بمعني ما أن يصل الإبن إلي سن الزواج حتي يحمل مشاعره، وطموحاته إلي منزل جديد ، تاركًا منزل الأسرة للإبن الأصغر .. في بعض المجتمعات الشرقية ، كانت المرأة تتمتع بحرية كبيرة فهي تركب الخيل ، وترمي الرمح ، وتصارع، وتنضم إلي المحاربين ، مشاركة في الحروب ، وتعضيداً للمحارب . مولعة بالحفاظ علي شرفها ، وعفتها .. ويُعتبر سقوطها في أيدي الآعداء ، أثناء الحرب ، أي وقوعها في الأسر مذلة كبيرة.

وقد تشكلت في المجتمع الشرقي القديم ؛ قبائل معتمدة علي القرابة الأسرية ، وتلك القبائل في الغالب ما تحمل أسماء العائلة ، وتُعرف بها .

وبعد ان قبل الشرق الإسلامَ ، لم يحدث تغير كبير .. فإن الإسلام لم يُقر نظامًا ًأسريًا واحداً ، ولم يأخذ بنظام الأسرة الكبيرة ، أو العائلة الصغيرة ، كل بشكل مستقل وفقط .

لو تم دراسة التاريخ الأسري بشكل دقيق ، فسوف يتضح أن الأسرة كلما كانت

تعيش داخل نطاق عصور النظام والانتظام كانت الدولة أيضًا تعيش هذا النمط من الحياة . ومن هذا المنطلق ، ففي الآخلاقيات المشرقية وفلسفتها ، نجد أن مفاهيم الأسرة ، والوطن والدولة ، والأمة ، تتداخل في بعضها البعض تداخلاً كبيرًا . فالأسرة تعني في نقطة ما ، نوع من التنظيم . والأسرة هي أول قنطرة أتصال أساسية تربط بين الفرد والمجتمع ! .

العائلة هي أساس المجتمع ؛ فإن العناصر التي تربط الأفراد ببعضهم البعض في المشاعر ، ووحدة الفكر ، والرحمة ، والشفقة ، والمحبة ، والإحترام ، والصدق ، والصبر، والقناعة ، والعفو هو المفهوم الديني الذي يغذي كل هذه القيم . وعائلة كهذه ، لابد وأن تهب المجتمع دائمًا ، أفرادًا من ذوي الشخصيات السوية .

ومن ناحية أُخري ، فإن كل قسم في المجتمع ، كان يحمل ماهية مكملة لما تهبه وتقدمه الأسرة لذلك المجتمع . ولم يكن هناك فرق في التربية بين المدرسة ، والبيت والشارع . ولهذا ؛ كان المحيط كله معدًّ لكي تكون الأسرة قوية . وكانت العائلة داخل كل متكامل من الأسرة ، والحي ، والتعليم ، والدين ، ولكن مع مرور الزمن ، فإن التفكك الذي أصاب المجتمع ، قد وجد صداة – أراد أو لم يرد – علي الأسرة .. هذا التفكك قد زاد طوال القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر الميلاديين = الثاني عشر، والثالث عشر الهجريين وأستمر كذلك .. وكان للأزمات الإجتماعية التي مرت بالأمة الإسلامية خلال هذه السنوات وخاصة الحروب – تأثيرها العظيم علي التشتت . وما أن وصل المجتمع الشرقي المسلم إلي أبواب العصر الصناعي ، حتي كانت أنماط العائلة التراثية القديمة قد بدأت في الذوبان .. وكان التصنيع ، والتمدن والتحول إلي المدنية من العناصر التي أسرعت بالتوجه نحو العائلة النواة = الصغيرة ، في بناء ، وتكوين الأسرة المسلمة .

* * *

إن الأسرة المسلمة المعاصرة ، يمكن دراستها ، وبحثها في مجموعتين ؛ وفقًا للظروف الإجتماعية ، والإقتصادية ، والمحلية ، وبعض التأثيرات الأخري الخاصة .

١- العائلة الكبيرة ؛ هو الشكل العائلي الذي يشمل الأبناء الذكور وزوجاتهم ، وأولادهم والذين يعيشون تحت سقف واحد ، وتحت سلطة الجد ، والجدة ، وهذا الشكل بدأ يقل رويداً ، رويداً .

ان الشكل العائلي الذي يمكن أن نُطالعه في هذا النمط داخل هذه الأسرة ، هو أن الخاصية الأساسية في العائلة الكبيرة هي أنتقال السلطة من الأب إلي الإبن المتزوج .. وهنا ، تكون العلاقات داخل هذا النمط من العائلة ، ويختلف قليلاً عن النمط الآخر.. فقد انتقلت السلطة إلي الإبن المتزوج ، وأصبح هو رئيس العائلة .. وسلتطة تشمل زوجتة وأبناءة ، وربما والد ووالدة الرئيس إو أحدهما وكذا أخواتة العذّاب ..

٢- العائلة النواة .. أي الصغيرة .. هو النمط الأُسري المكوَّن من الأب والأم ، وأبناءهم العذّاب الذين يعولونهم . وهذا النمط العائلي ، هو الأكثر انتشاراً حاليًا في المجتمعات الصناعية . ومن ناحية آخري ، فإن الأبحاث تُظهر أن نمط الأسرة الشرقية القديمة كان هو الأقرب إلي نمط الأسرة الصغيرة هذا .. هذا بالإضافة الي أن الأب بالرغم من الهجرة إلي مكان آخر ، والتوطن في نفس القرية ، أو المركز أو المدينة ، وبالرغم من عدم مسئوليتة عن الأبناء المتزوجون ، إلا أن هذا النمط . لهذه الأسباب وغيرها - قد اكتسب رواجًا ، وانتشاراً ، في العصر الحاضر والمجتمع الحديث والمعاصر يرجح حاليًا هذا النمط الأُسري .

وإن غالبية الدساتير في الدول الإسلامية ، تذكر في بنودها المستقاة من الشريعة الغراء ، أن : « العائلة هي أساس المجتمع ونواتة » وكلما كانت مؤسسة الأسرة سليمة ، وقوية ، ومتمتعة بالصحة ، فإن ذلك يؤمن قوة الدولة . وأن القيم الثقافية التي تطورت طوال التاريخ فإنها تعيش وتنمو داخل الأسرة ، وهذه الأسرة هي التي تنقل هذه القيم إلي الأجيال التالية .

إن سعادة الأسرة ، واستقرارها يؤثر بشكل مباشر في حياة الأمة . والرسول محمد ﷺ يقول مامعناه «ابحثوا عني وسط العائلة السعيدة» ومن هذا المنطلق يجب البحث في السُّبل التي تؤمن سلامة ، واستقرار الأسرة ، واستمرارها المنتظم.

* * *

الشروط التى يجب توافرها لضمان سلامة وأستمرار الأسرة

لقد رأينا سابقًا العوامل التي تُؤثر في تكوين الأسرة . ولكن أستمرار العائلة التي تشكلت ، وضمان هذه الإستمرارية لايمكن ان تتأت من تلقاء نفسها .

إن العناصر التي تؤمن سلامة ، ومعيشة ، وأستمرارية النظام الأسري ، يكمن بعضها داخل الإطار العام لمسئوليات ، ووظائف الأسرة ذاتها ؛ وأهم هذه العناصر يمكن تجميعها على النحو التالي :

١- عوامل أقتصادية .

٢- عوامل مرتبطة بالتراث .

٣- عوامل حسية ووجدانية :

١- العوامل الاقتصادية:

لكي تكون منتجًا داخل الأسرة ، يجب ألاَّ تنظر إلي السن ، أو النوع « ذكر أو أنثي » أو الوضع السني "هَرِم ، شاب ، صبي » فلكل فرد من أفراد الأسرة ، يجب أن يكون له وظائفة ، ونشاطه المنوط في تسيير أُمور المنزل وفقًا لقدراته . فالأب ملزم بتأمين الدخل اللازم لإعاشة المنزل ، والأُم ، إذا كانت ظروفها تسمح ، أو تعمل فمن الطبيعي أن تُشارك في زيادة دخل الأسرة .. والأجداد ، والجدات إذا ماكانت لديهم إمكانات أو دخول " المعاشات ، الثروة ، أو المال ، فمما لا شك فيه أنهم سيساهمون في مواجهة الأعباء المنزلية للبيت الذي يعيشون فيه . أما أطفال البيت الذين يذهبون إلي المدارس ، فليس هناك مجال للحديث عن إمكانية عملهم خلال العطلات أو مشاركتهم في تلك الأعباء . أما أطفال المدارس المتوسطة " الإعدادي " ؛ فمن الممكن أن يتحملوا بعض الجهد في اعمال البيت [كالمساهمة في أعمال التنظيف ، والصيانه ..] أو رعاية إخوتهم الصغار ، أو المساهمة مع الأب ، أو الأم إذا ما كانوا يعملون أعمالاً خاصة [فلاح .. بقَّال ..فاكهاني .. خياط .. أي دكان آخر] .. فهم بمثل هذه الأمور يشاركون في تحمل بعض من آعباء الأسرة ، ويساهمون في دخلها . أما طلاب الثانوي ، والمدارس العليا ، فيجب أن يبحثوا عن إمكانية العمل في

العطلات ، فهم بذلك ، علي الأقل يرفعون عن كاهل الأسرة مصروفاتهم الشخصية . ويجب ألا يتبادر إلي الذهن أنه لكي تكون منتجًا داخل إطار الأسرة ، فلابد من أن تكسب نقوداً فقط ، لا .. بل تستطيع أن تكون منتجاً ؛ عندما تعيش مع أفراد الأسرة جميعًا داخل النسق المتفق عليه ، أو أن تشارك في وضع ، وتنفيذ الميزانية السنوية للأسرة ، أو معرفة الحدود المصرح لك بالصرف في نطاقها ، أو البحث مع الأسرة في السبل التي تكفل خفض نفقات الأسرة ؛ بأي من هذه السبل ، تستطيع أن تكون منتجًا .. أو مثلاً لو أن في الأسرة سيدة يمكن أن تحيك ملابس أفراد الأسرة في البيت ، أو أن تنسج لهم ملابسهم الصوفية أو أن تجعل حاجيات الكبار ، تناسب مطالب الصغار .. فإنها بذلك تستطيع أن تخفف من آعباء الأسرة ماديًا .

وأعضاء الأسرة الآخر ، يستطيعون أن يساهموا هم أيضًا في ميزانية الأسرة ؛ بالمحافظة علي أشياء المنزل ، ومعداتة ، وحسن أستخدامها ، والبقاء عليها نظيفة ، والمحافظة علي أدوات الدراسة ؛ كالكتب ، والدفاتر ، والمعدات ، و الأدوات لكي يستفيد بها إخوتهم أو أخواتهم من بعدهم ، فبحفظها ورعايتها يكونون بذلك قد ساهموا في رفع مستوي ميزانية الأسرة ، وبمثل هذه التصرفات البسيطة يكونون قد أسهموا مساهمة فاعلة في تسيير ، وتسهيل أعباء الأسرة .

ومن ناحية أُخري ؛ فإن حُسن تصرف الأباء والأُمهات فيما يتعلق بالمأكل ، والمشرب ، وحرصهما علي أن يكونا قدوة لأبناءهم بهذا الصدد ، وحسن التنشئة في هذه الجوانب ، سيؤمن للأبناء حسن التصرف في المطبخ ، وتعلم التعود ، والتدرب علي نمط التغذية المتوازنة ، وتطبيق نظام غذائي صحى وإقتصادي ، وفي نفس الوقت، معرفة أن الإسراف في تناول الطعام ، والتغذية المفرطة ليست مفيدة لكل أفراد الأسرة، إن التعود علي شراء المواد الغذائية من أماكنها النظيفة ، والرخيصة ، والتركيز علي النوعيات الأكثر فائدة لمما يكمل هذا الإتجاه .

بالاضافة إلي الإبتعاد عن البذخ المظهري ، والسفه والإسراف في الولائم ، والدعوات ، وعدم تخصيص بنود في ميرانية الأسرة للمشروبات الكحولية ، والدخان بكل أنواعه ، بل التركيز علي إبراز مضار هذه المواد المسكرة ، والمخدرة ، كل هذه

لـما يدخل ضمن عناصر الإنتاج لكل أفراد الأسرة . وتمنحهم جميعًا ؛ المفاهيم المهمة التالية :

١– إن كل فرد من أفراد الأُسرة مسؤول عن تسهيل حياة الأسرة كلها ، وعليه أن يقوم بما يقع عليه من هذه المشاركة .

٢– إذا كانت الأم تعمل ، إلي جانب أعمال المنزل ، فعلي كل مَنْ في المنزل – بِمَنْ فيهم الأب – المساهمة ، بل والمساعدة الفاعلة في أعمال المنزل .

٣– لابد أن يُشارك كل أفراد الأُسرة – ذكورًا – وإناثًا – في الأعمال المنزلية ؛ كإعداد المائدة ، ورفعها ، وأعمال النظافة ، وتخزين الأثاث المنزلي ، وكي الملابس ، وإخراج الزبالة كل حسب طاقتة ، وإمكاناته ، وإن تادية مثل هذه الأعمال الخفيفة بشكل مرح بين الإخوة يمكن أن يكسبها متعة إلي جانب القيم الجميلة .

٢- العوامل المرتبطة بالتراث :

الإحترام في العلاقات داخل الأسرة ؛ إن الأب هو رئيس العائلة ، في النظام الأُسري الشرقي والأم ، صاحبة حقوق متساوية معه . الأب يحمي النظام في المنزل ، وبين أفراد العائلة ، وهو ممثلها في المحافل الإجتماعية والأم ؛ تحل آلام العائلة ، والمنزل، وضوائقها .. وتُزيل الخلافات ، والخصومات ، بل وتُلين ، وتحل الأزمات وما يمكن أن يظهر في أي بيت مما يعكر صفوة .

ومن هنا ، يلزم أن يعرف جيداً كل أب ، وكل أُم الواجبات والمسئوليات المنوطة به تجاة المنزل ، والأسرة . وأن يخططا سويًا الحدود الفاصلة بين مسئوليات كل منهم بالتفاهم ، وألا يتدخل أي منهما في واجبات ومسئوليات الآخر ، ولو حدثت أي تداخلات ، أو سوء فهم ، أو عدم تفاهم في حين من الأحيان ؛ فعليهما ؛ أي علي الأب والأم أن يُحلا المشكلة بالحسني ، وبالرضي ، وبدون الزج بالأبناء ، أو الأجداد ، أو أي منهم جميعًا في هذه الأمور..

ولكي ندرك ما المقصود بالإحترام داخل الأسرة ، ونقف علي هذا المعني ، وقوفًا ، كاملاً ، فلنعدد بعض الأمثلة الواضحة والقابلة للتطبيق الفوري :

– الوقوف للكبار بمجرد مجيئهم ، وإفساح المكان لهم ..

- مقابلة رغباتهم ، وطلباتهم بالفهم ، ومحاولة تلبية هذه المطالب في نطاق الحدود المتاحة .

- عدم مقاطعة الكبار وهم يتحدثون ..

- وعند تحدث الصغار يجب التصرف حيالهم ، والإصغاء لهم ، وكأنهم كباراً ..

- التحدث دون رفع الصوت عند الحديث ..

- إذا لم تكن موافقًا ، أو مؤيدًا لما تسمعه ممَنْ امامك ، وإذا كان أكبر منك سنًا ، فعليك بإبتسامة لطيفه أن تستسمحه في التعبير عن رأيك ، كأن نقول مثلاً .. "لو سمحت .. أو تسمح لي فلسوف أعرض وجهة نظري أنا أيضًا .." وتعبر بلطف، وصدق عمّا تود التعبير عنه ، أما إذا كان المتحدث أصغر منك فعليك أيضًا أن تُوضح أو تَشرح ما تود قوله بأسلوب ليِّن ، كأن تقول مثلاً .. (أظن لو أن .. لكان أفضل ..) .

- الشكر علي الهدايا المقدمة ، والإمتنان بها ، واستخدامها ..

- طلب الإستشارة ، والرأي إذا لزم الأمر ..

- لو كنت قد اتخذت قراراً يخص الأسرة ، فعليك أن تخبرهم جميعًا - غالبًا وأنتمُ علي المائدة - بهذا القرار وبشكل مفرح ..

- عند التحدث ، أو مخاطبة الآخرين ، فلابد من الإبتعاد عن العبارات التي تنم عن السخرية ، أو مايشبة الإستهزاء مثل (ولد .. طفل .. إخرس وأنت مالك .. لايعنيك .. هل جننت ..) أو مثل هذه العبارات .. (جحشنًا ..حمارنا ..) أو العبارات الشعبية أو العامية الجارحة ..

- التحدث دون إستخدام ألفاظ السباب ، والشتائم ..

- عدم الجلوس ، أو الرقاد ، أو التمدد أمام الكبار ، أو أفراد العائلة بشكل مستهجن ، أو مد الرجلين .. أو اللعب فيما بين آصابع الأرجل ، أو الأنف ، أو وضع رجلاً علي الأخري بشكل قبيح ..

- إذا كنت تدخن ، فلابد من إستئذان الآخرين .

- إشعال سيجارة المدخن ..

– إفساح المجال للكبار أولاً ، ثم السيدات ثم الأطفال للدخول من الأبواب ، والتقدم علي السيدات عند الصعود من السلالم ، أو النزول منها ..

–عدم إستضافة أحد علي الطعام بشكل مفاجيء .

– إتمام التعارف بين صديقك الذي أحضرته إلي المنزل والمقيمين به .

– يجب أن تقوم أنت بالتعارف ، وإذا كنت أنت الضيف فيجب أن تتعامل مع أفراد أسرة صديقك بما يجب ان يكون تجاه كل منهم ؛ كتقبيل اليد ، أو السلام بالمصافحة ، والسؤال عن الأحوال ..

– لابد من التوائم مع الإتجاه العام في البيت تجاه أي موضوع كـ (قضاء عُطلة ، أو دعوة ضيف ، أو شراء أمتعه .. الخ) والسعي بقدر الإمكان للإلتزام بهذا الأتجاه العام ، بعد بحثه وتمحيصه .. وإذا كانت هناك أسباب موضوعية لعدم التوافق مع هذا الإتجاه العام ، فيجب توضيح ذلك دون صخب ، أو ضوضاء ، أو زعيق .. بل حل الأمور بتوضيح الأسباب التي دعتك إلي هذا الموقف ..

التصرف داخل المنزل

للمعيشه داخل المنزل ، ولمتطلبات الحياه اليومية بعض القواعد ، والتصرفات ، والملابسات التي يجب مراعتها بهذا الصدد ؛

– عدم التجول داخل المنزل عارياً ، أو شبه عاري ، أو بالملابس الداخلية كالحمالات ، أو البيجامات أو قمصان النوم .

– التواجد مع أفراد الأسرةعلي طعام الإفطار بعد حلاقة الذقن ، أو الوضوء والصلاة، وتصفيف الشعر ، وإذا لم تكن هناك مغادرة للبيت ، والخروج إلي ، الشارع، فعند البقاء في المنزل يجب ارتداء الملابس المنزلية ، أو البنطلون المنزلي ، أو الروب فوق الملابس المنزلية ، والإنتقال بنعل منزلي .

– علي كل فرد من أفراد الأسرة ، عند جلوسه إلي الطعام ، وخاصة طعام الإفطار ، أن يكون مبتسماً ، وأن يُحي كل الموجودين علي المائدة بوجه صَبُوح .

– يجب علي كل فرد من أفراد الأسرة ، مهما كان مزاجة العام أن يجيب علي الأسئلة أو التساؤلات التي توجه إليه بمرح ، وانشراح صدر ، وأن يُلبى ما يُطلب منه .

– أن يتوائم مع مواعيد الطعام في المنزل ، ولا يدع الآخرون ينتظرون كثيراً .

– أن يبدأ الطعام مع الجميع ، وأن ينهض مع الجميع .

– عدم التحدث عن الأخبار المزعجة أو المحزنة ، أو المملة أثناء تناول الطعام . والبعد عن الموضوعات المؤلمة .

– ضرورة التنويه بجهد الذين أعدوا الطعام ، والمائدة وإستحسان ما قاموا به بكلمات المجاملة المعتادة . . "تسلم الآيادي . ." "طعام لذيذ " . "تنسيق بديع . ." . .الخ

– ضرورة النظر إلي مائدة الطعام ، وكأنها مجلس العائلة ، وضرورة حُسن إستخدام هذه المناسبة بالشكل المناسب والأمثل . .

– عدم النسيان أنك لست الفرد الوحيد في الأسرة ، وعدم تجاهل الآخرين ، ومتطلباتهم . . وإذا ماتم ذلك فعليك :

– عدم إزعاج أفراد الأسرة الآخرين عند إستخدام المزياع أو الهاتف ، أو التلفاز أو الكاسيت . . ومراعاة ظروفهم . .

– إذا كان الوالد ، أو الوالدة يتابع برنامجًا ، أو مسلسلاً ، وأردت أنت تغيير القناة، أو الموجة ، فلا تفعل ذلك قبل الإستئذان ، ويجب مراعاة ذلك حتي من جانب الوالد والوالدة . . فهذه المعدات متاع مشترك بين أفراد الأسرة ، وعلي الجميع إستخدام هذه المعدات بشكل ينم عن التفاهم ، والتعاون .

– إعطاء الحق المطلق للأبناء في التحدث مع الوالدين ، كل حسب موضعه ، ومناقشة كافة أُمورهم بتفاهم ، وروية وتعليمهم بما يجب أن يكون حيال الموضوع المبحوث .

– يجب أن يعتاد الأبناء علي التحدث بإرتياح مع الأباء ، وأن يتعودوا علي ذلك في إطار من الإحترام ، والحرية ، وأن يكون دور الأم دور رائد فى هذا الصدد . وهو أمر ميسر للأمهات اكثر من الآباء .

– يجب البعد عن الظهور بمظهر بعيد عن الحقيقة ، وا[illegible] عنصر من عناصر الأسرة إمتلاك كل ما يري ، أو تحقيق كل ما يرغب علي حساب الآخرين ، فمثل هذه التصرفات تخلق القلق ، والإزعاج داخل الأسرة . وأن يؤيد المطالب المعقولة للآخرين ، ويبتعد عن كل ما من شأنه الإخلال بعوامل الإستقرار العائلي .

– مع أن التعاون ، والمعاونه واحد من أهم أسس الإحترام العائلى ، إلا أنه من المناسب أن تقوم بالأعمال التي يمكن أن تقوم بها بنفسك . إلي جانب المعاونة في :

– مكواة الأُم ، وإصلاحات الاب ،

– مساعدة الجد في ري الحديقة ،

– مساعدة الجدة في الذهاب إلي طبيب الأسنان ،

– وأن يساعد الزوج زوجته ، والزوجة زوجها ،

– وفي حمل المشتريات ، وشراء الجرائد ، والخبز والمشروبات الخاصة بالبيت ، ومستلزمات البقالة . . الخ مثل هذه التصرفات المتعاونة ، هي التي تخلق جو الاحترام المتبادل بين كل عناصر الأسرة .

٣- العوامل الحسية والوجدانية :

تتكون الشروط الحسية "العاطفية" من مشاعر الحب ، والحماية ، والثقة ، والتضحية وغيرها من تلك المشاعر التي تجعل من العائلة شيئًا مقدسًا ، وكلاً مترابطًا لا يمكن تفتيته .

إنه من الأمور الأساسية أن يحب أفراد العائلة بعضهم بعضًا ، وأن تكون فيما بينهم ثقه متبادله ، وإيمان مشترك ؛ إن حياتنا اليومية مشحونة بالأحداث التي تُعبر عن هذا الحب ، وهذه الثقة والتي تدفع إلي تطوير هذه المشاعر ، وكم من المناسبات ، والأيام الجميلة ، والأعياد ، والإحتفالات ، والمهرجانات التي من الممكن أن تدعم هذه المشاعر ، لو حرص كل فرد من أفراد العائلة علي تذكر الآخرين ، وتحديد مشاعره نحوهم ، والأعتراف لهم بهذه المشاعر، ومشاركتهم في إحياء هذه المناسبات الجميلة. ويمكن أن نشير إلي بعضٍ من هذه الأيام ، والمناسبات التي تذكي هذه المشاعر .

– أيام الميلاد وأعيادها .

– بداية دخول المدرسة بالنسبة للصغار .

– النجاح في الفصول الدراسية .

– أيام الإنتهاء من الدراسة .

– يوم بلوغ سن الرشد ، والجندية .

– يوم التسريح من القوات المسلحة .

– يوم بداية الوظيفة ، والعمل الجديد ، والترقي .

– يوم تقاضي أول مرتب ، أو تلقي أول مبلغ من الجهد الخاص .

– يوم عيد الفطر ، وعيد الأضحي .

– يوم المولد النبوي ، والأيام الدينية الأخري .

– يوم عيد الأم ، عيد الأباء ، وختان الأولاد .

– أيام رأس السنة سواء الهجرية ، أو الميلادية ، أو المولد ، أو الخطوبة ، والزواج ، فهذه كلها من المناسبات التى تدعم المشاعر بين أفراد الأسرة .

* * *

التهـادي

كل هذه الأيام هي من المناسبات السعيدة التي يمكن أن تجمع شمل ...
الكبيرة، وتكون وسيلة لتجمعهم في مكان واحد ، وأن تبادل الهدايا ، وقبولها ،
وتقديمها لمن الأمور التي تضفى علي هذه الأيام طعمًا ، وذوقًا آخر . وتشدد من أواصر
المحبة فيما بينهم .. (تهادوا تحابوا .. " ﷺ ")

– إن نبي الإسلام ﷺ يحض علي التهادي . والهدية ليست بقيمتها المادية ،
أو بمظهرها ، إنما بالقيمة المعنوية وما يترتب عليها من تحابب . وكم من حديث نبوى
شريف يحض على البذل والعطاء والتهادى .. فالكلمة الطيبة حسنة . والبسمة عطاء
حضاري .. ﴿ كلمة طيبة خير من حسنة يتبعها اذي ﴾ ويجب مراعاة ما يلي عند
شراء الهدايا ، وتقديمها :

– أن تلائم الميزانية المتاحة ، وتتوائم معها ، وأن تكون من القلب ..

– أن تتناسب الهدية مع شخصية المُهّدَى إليه .

وأن يكون المُهّدَي إليه قادر على الإستفادة من الهدية ،

– أن تُقدم في الوقت المناسب ، والظرف الملائم ..

– يجب عدم الإنتظار لأي مقابل .

– يجب عدم التسابق والتفاخر بالتهادي ، والوقوع تحت تأثير الرغبة الملحة في
التعالي ..

يجب عدم وضع المهدي إليه في حالة الإحساس بعدم القدرة علي تحمل هذا
الجميل ، وتبعات الهدية ، ومايترتب عليها ..

يجب عدم الإحساس بضرورة تقديم مقابل ..

– إن الهدية يجب ألا تكون نوع من الإكرام ، أو البقشيش الذي يقدم كلما خط
علي البال خاطر ، وإلا تكون الأيام والأعياد التي سبق ذكرها سيفًا مسلطًا عل
الرقاب لا يبُعد إلا بتقديم الهدية ، إنما مجرد وسائل لتسهيل عملية التهادي بين أ...

العائلة . إن الجانب المهم هنا ، هو تذكير أفراد الأسرة بحبك لهم ، وأن هذه الأيام ما هي إلا وسيلة لتجديد وتنشيط هذا التذكر، والتعبير عن حرصك علي حبهم ، ومحبتهم .

الأيام المشهودة

إن الأيام المشهودة كالإنتهاء من الدراسة ، والتخرج في الجامعة ، والتجنيد ، والتسريح من الجندية ، وبدأ الوظيفة ، ونيل شهادة ، أو وسام ما ، أو تقدير الجهد مبذل لمن الأحداث التي يمكن للعائلة ان تجعلها من العادات ، والأعراف ، والتقاليد التي تحتفل بها العائلة بإقامة وليمة ، إو حفل بسيط يدعم الترابط الأُسري ويرسم البسمة علي وجوة أفرادها . وتكون وسيلة لتجديد التحابب وقضاء يوم سعيد بشكل جماعي . وتكون فرصة لنيل الدعاء ، وإفتخار الأبوين .

في مثل هذه الأيام يجب أن يتم إعداد الطعام الذي يحبه المحتفى به ، وبطل المناسبة. وان يفتتح هو الحلوي التي يفضلها . إن محاولة إسعاده هي في حد ذاتها أجمل هدية يمكن ان تُقدم إليه .

علي الأسرة ان تُعطي افرادها الصغار الحق في ان يحتفلوا باعياد ميلادهم مع اصدقاءهم واترابهم .. ولكن يجب الا ننسي حق الأسرة، والعائلة أيضًا .. ومن هنا ؛ على الأم ان تعد ترتيبًا ، أو تخطيطًا جميلاً يرضي كل الأطراف بدرجة ما ، كأن يكون للأُسرة يوم ، وللاصدقاء يوم آخر ، أو الجميع معًا ، أو ليلاً للأُسرة ، ونهارًا للاصدقاء مثلاً ..

المشاركة في الشدائد والأحزان

– شكل آخر من التعبير عن الحب ؛

إذا ما ألم باحد افراد الأسرة أزمة صحية ، أو تعرض لحادث ما ، فإن الإهتمام به ، ومساعدته ، وتسليته ، والتسرية عنه ، وشراء أدويته ، والحرص على إعطاءة هذه الأدوية ، ومسح العرق الذي يتصبب منه ، ومساعدته علي تناول الطعام ، والتصرف معه ، وحياله بما يشعره بانه ليس وحده ، بل الكل يشاركه ، والكل علي ثقة بالشفاء

ل ، والعمل علي رفع معنوياته .. هذه الأمور من واجبات ، ومسئوليات أفراد حيال فرد من أفرادها . وعليهم مراعاة مايلي :

– إذا كان هناك مريض .

فيجب عدم الإزعاج ، والإقلال من الضوضاء .

عدم فتح التلفاز ، والمزياع عن آخره .

عدم دعوة ضيوف بشكل يسبب زحام في مكان وجوده .

عدم ترك المريض وحده ، والذهاب في ضيافه آخرين .

مراعاة عدم تناول الطعام أو الشراب بجوار مريض في حالة صيام ..

إن التصرف بعنف وقسوة تجاة المريض ، أمر مرفوض ، وخاطيء حتي ولو في ذلك مصلحة للمريض .

– ما يجب علي المريض .

عدم إيذاء من حوله ، وانه يحبهم جميعًا ..كلما زادت قناعته وثقته في الشفاء ، فإن ذلك يعجل بالشفاء فعلاً ولا يطيل ذلك فترة المرض .

– علي أفراد الأسرة عدم التحدث عن تكاليف العلاج ، أو تصرفات الأطباء ، وأسعار الأدوية ، وغلاءها أمام المريض ، والحرص الكامل علي عدم عقد مقارنه ، أو الحديث عن أمراض أو مرضي آخرين .

– كما يجب عدم طرح أسئلة علي المريض ، وخاصة تلك التي تتعلق بصحته ، أو تغيّر في لونه ، أو وزنه أو التساؤلات الي تخلق لديه أي نوع من القلق والإنشغال .

– إن تقديم زجاجة عطر ، أو قميص نوم ظريف ، أو كتاب مفرح خفيف الظل ، أو باقة ورد صغيرة للمريض الذي تعافى ، وتحسنت صحته ، والإحتفال بعودته لمن أهم الإشارات المرتبطة بمشاعر المحبة المتبادلة .

– إن التقاليد الإسلامية تحض علي زيارة المريض ، ولكن بشرط التخفيف من الزيارة ومن هذا المنطلق يجب مراعاة ظروف المريض ، إذا كان يريد الإختلاء بنفسه ، أو إذا ماعبر عن خوفه أو قلقه من الوحدة ، فيجب مراعاة ذلك ، والعمل علي تحقيق

رغبته .. كما يجب عدم إظهار علامات السخط ، وعدم الرضي من تصرفات المريض بل مقابلة ذلك بالإبتسامة ، والبشاشة ، والتفاهم ، وإظهار الشوق إليه ، وإلي عودة البسمة علي وجهه .

– إذا ما آصاب واحد من أفراد الأُسرة كدر ، أو حزن ؛ كفراق صديق ، أو موت عزيز عليه ، فيجب الا يترك وحيداً ، بل يجب أن يُعرض عليه الخروج إلي صحبة ظريفة ، أو نزهة صغيرة ، أو وليمة خفيفة .. أو شراء تذكرتين للسينما أو المسرح .. بإختصار ؛ المطلوب هو تصرف يُشْعره بانه ليس وحده ، بل الكل يشاركه كدره ، وآحزانه .. وأن أي تصرف من هذا النوع هو خير دليل علي المشاركة الوجدانية ، وتدل دلالة صادقة علي الحب الجميل .

* * *

منذ العصر الاسطوري ، وآساطير الشرق تُظهر المرأة كمخلوق مقدس .. فالمرأة في الشرق فارسة ، ترمي السهام ، تمتطي صهوة الجياد ، محاربة ، تقف خلف رجلها تُدعمه ، وتعضدة .. تضع توقيعها بجوار الخاقان علي الفرامانات ، تنفرد بالحكم ، فتحكم ، وتُسيِّر شئوون الدولة . هي أم حريصة علي أُمومتها ، تحافظ علي عفافها ، وعفتها .. تموت الحرة ولاتفرط في عرضها ، أو تكسب بشديبها . هي زوجة ، صديقة، رفيقة علي درب الحياة .. طوال فترات التاريخ ، وحتي العصور الحديثة ، وثقافات الشرق تُعطي للمرأة حقوقها ، وقيمتها تعترف بحقوقها ، وتعتبرها عنصر فاعل ، ومعطاء للمجتمع . هكذا نراها في التراث العربي ، والتركي ، والفارسي .. المرأة ليست متاع يتوارث ..

فلسفات الشرق (أنثي الطير تبني عشها) وتراثنا وعقيدتنا الإسلامية ، (الجنة تحت أقدام الأمهات) مولانا جلال الدين الرومي يبرز قاعدة إنسانية فريدة حيث يقول (الرجل العاقل ينهزم للمرأة) و (المرأة ليست مخلوقة بل خالقة) أي أنها ليست سالبة ، مستهلكة بل موجبة ، منتجة ..

هكذا ؛ يبدو من تراثنا كله ان المرأة هي العنصر الفاعل في المجتمع ، هي التي تمنح الذرية .. هي التي تصهر عناصر المجتمع ، المثبت ، والمنفي سواء بسواء ، وتُعيدها إلي الأجيال التي تُنشئها .. من هذا المنطلق .. منحها المجتمع الشرقي الإسلامي ماتستحقه من القيمة ، والتقدير .. لم ينظر اليها كمتاع جسدي ، لم يستغلها ، أو يستهلكها .. بل جعلها زهرة معلقه علي الصدور ، ريشة علي الرؤوس .. وأي مجتمع يهمل العنصر النسائي ، ولم يهتم بتعليمه ، أو بصحته ، أو رعايته هو كمن ينتظر الزرع من أرض بوار ، ومَنْ لا يؤمن لها الرعاية الصحية ، ومَنْ لا يُعلمها ، أو يربيها ، هو كمن يقامر علي مستقبل الأمة ، أو يراهن علي حياة المجتمع ... فالمرأة أُم ، وأُخت ، زوجة ، وإبنه حبيبة .. وصديقة .. ملهمة .. وسكينة ..

* * *

إن الأُمومة منحة وامتياز وعطاء منحه الله سبحانه وتعالي للمرأة ، وكما أن الجنة تحت أقدام الأُمهات ، فليست هناك حبيبة تضاهي الأُم "في التراث الشعبي" ولا نستطيع أن نحصي الأقوال ، والأمثال والحكايات الجميلة التي تتناول العلاقة بين الأُم وصغيرها ؛ سواء من الناحية المادية أو المعنوية ، ولقد حدث جدل كبير خلال القرن الحالي ، حول إمكانية تعليم وتربية الأمهات في العالم الإسلامي ، ومازال هذا الجدل علي أشده ، هل تتعلم لتخرج للعمل ، أم لتقبع في دارها .. ليس في نطاق هذا الحيز مناقشة مثل هذه الأمور ، فهدفنا هنا رصد الأعراف والعادات التي نود الحفاظ عليها ونقلها من جيل الي جيل ومن عصر إلى عصر آخر .. حرصنا الشديد هو علي تلك الثقافة الجميلة التي تنتقل شفاهة من جيل إلي جيل ، وتتطور مع تطور الزمن مع الحفاظ علي آصالتها وجوهرها .. حرصنا الشديد علي القيم الثقافية الرفيعة ، التي تتحمل الأُمهات أمانه نقلها إلي الأبناء عبر الأجيال .

فالمولود بالنسبة إلي أُمه ، هو كنفسها ، بل ربما تضحي الأم بنفسها ، وبمالها من أجله ، فهو لديها أمانة الوطن والإيمان .. كانت الأم طوال التاريخ حريصة كل الحرص على تنشئة مولود ها (ذكراً كان أو انثي) بالشكل الذي يجعله مفيداً ، ونافعاً لكل من الوطن ، والعقيدة ، ويمكن الإشارة وتعداد الكثير من الأمثلة لتوضيح ذلك ؛ في التاريخ العربي والإسلامي ، ولهدف ما ، يحكي الشاعر التركي يحي كمال (١٨٨٤ – ١٩٥٨م) أُن أمه كانت تلقنه حب الرسول محمد ﷺ والسلطان وانها كانت تتمني ان تكون أُم شهيد ، وهذا مطلبها الوحيد في الحياة فذكر السلطان هنا ، بعد النبي ﷺ لإنه هو الدولة ، هو الوطن . وكل الأُمهات طوال تاريخنا وهن يتمنين أن يقدمن الشهداء .. كن يلقن أطفالهن ... إما غازي .. أو شهيد .. فالغزوات في سبيل الدين ، والاستشهاد في سبيل الوطن . كانت الأُمهات ترضعن أطفالهم هذا الرحيق مع طهارة البانهن .. وفي وقتنا الحاضر يجب ان نتلقي كل عمل ، أو نشاط يتم في سياق القانون ، وطالما أن الهدف منه هو رقي الدين ، وتطوير الوطن ، والأمه هو في منزلة الغزوات . والقائم به غازي في سبيل الله .

لكي يكون المجتمع صحيحًا ، سليماً ، معافي ، فلابد من الإهتمام عن كسب بوضع الأم . فالجنين يتناول اكسير حياته ، وأوائل تأثيراته من الأُم ، فالمشاعر والأحاسيس التي تعيشها الأم ؛ أشجانها ، وتصرفاتها .. إيمانها ، ومعتقداتها ... تلك هي أول ما نُحيط بالطفل ، وأول ما يستنشقة من رحيق .. ولكي نمنح المجتمع عناصر ، وأفراد أصحاء ؛ يجب ان تكون الامهات من ذوات المفاهيم ، والقيم التي تمكننا من ذلك .. يجب البحث والتحري عن الطرق والوسائل التي تؤمن ذلك .. يجب علي المجتمع إدراك هذه الدرجة الرفيعة ، وهذا السمو الذي منحه الله سبحانه وتعالي لهن ، وأن يكون التفكير حيالهن من هذا المنطلق . يجب أن يترسخ في الأذهان أن التقاليد ، والأعراف العائلية تتجمع كلها في المرأة لكونها أم .. فالأم هي العادات .. هي المراسم والأعراف ،فيها، ولديها تتجمع ، وتتوحد كل هذه المفاهيم.. يجب أن يكون الأمر كذلك :

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

* * *

شاءت سُنة الكون انَّ لا تكون الأنثي وحدها ، أو الذكر وحده ، بل خلقهما الخالق سبحانه لكي يكمل بعضهما البعض ، وجعل كل منهما محتاج إلي الآخر .. ولو نحينا الأُمومة في العلاقة بين الرجل والمراة - جانباً ، لوجدنا أن العلاقات الإنسانية التي تتطور فيما بينهما بشكل مختلف عن الأُمومة ، تُشكل صفحات من انشط صفحات التاريخ ، وأكثرها حيوية وعطاءً . تبرز في المقدمة الصفحات التي تعكس مشاعر الحب والعشق .. فعشق المهنة ، وعشق الوطن وحب الأمة ، وأخيراً ، العشق الإلهي .. إن نقطة الأرتكاز ، أو لنقل محور كل هذه المشاعر هو الحب أو العشق المتمحور حول المراة .. إن التراث والعنعنات الشرقية تجعل من المراة المحبوبة "رفيق الروح " ولم ننظر إليها كمخلوق لإشباع مجموعة من المشاعر والأحاسيس والغرائز فقط ، فالمراة المحبوبة المبجلة ، الصديقة ، التي تنال ماتستحق من التقدير ، هي ذلك المخلوق القيمٌ الذي يحمي العرين ، ويؤسس الدار ، وأم لكل الصغار . لابد أن هناك أمثلة سالبهة في كل مجتمع ، كان ذلك ، وسيكون . والرجل الذي يضرب زوجته ، فإما أنه يعيش في عصر غير طبيعي ، أو أنه شخص معتوه ، يتعارك مع كل مَنْ يصادفه ، من ذلك النوع الذي ينطبق عليه قول "يخانق دبان وجهه" .

حيثما يوجد الإنسان لابد وان تكون هناك خلافات ، والمهم ان نجعلها في اضيق الحدود .. ولابد ان المراة ستُبين عن نفسها في العلاقة التي بينها وبين الرجل.

أمـا تلك المرأة أو الأنثي ؛ التي هي زوجه، في نفس الوقت تكون صديقة ، ومساعدة .. هي النصف الآخر ، الذي يحمل نفس النصيب في شراكة الحياة . هي نصف الدائرة الأُسرية .

وكما أن هناك رجال لاحلم لهم ، فهناك إناث كذلك ، وفلسفتنا الشعبية توصي ، وتصر علي ضرورة أن يصبر الطرف المبتلي علي مَنْ ابتليَ به .. حفاظاً علي عش الزوجية وحماية الصغار ،.. وبالرغم من ذلك .. فتراثنا الإسلامي ، كما أباح الزواج وحض عليه ، فقد أباح الطلاق ، وشرْعه . فمن الجائز آلا تتفق الميول ، ولا تتهادن

الطباع ، ولا تتوائم العادات والتقاليد في هذه الحالة .. ولما تصل قناعة الجميع إلي أستحالة العشْرة ، فيجب انهاء الحياة الزوجية بالتفاهم والرضي .. وبشكل لا يفقد فيه الإنسان إنسانيته .

المرأة في الشارع ، في وسائل المواصلات ، وفي الأماكن العامة ايضاً ، هي المرأة ، هي أم ، أو أخت ، أو إبنه ، أو زوجه لفرد من افراد الأمة ، ولهذا وجب إحترامها ، وتوقيرها .. وكيف نتصرف حيال أُمهاتنا ، وأُخواتنا ، وزوجاتنا ، وبناتنا ، هكذا يجب ان تكون تصرفاتنا حيال اي إمراة نقابلها في حياتنا اليوميه ..."عاملوا الناس كما تُحبوا ان يعاملوكم وعاملوهن بالمعروف.." ..

إن النظر إلي المرأة علي أنها متعة جنسية ، أو جسدية فقط ، والتعامل معها بهذا المنطلق وحده ، في ذلك إهانة لخلق الإنسان ، فالإنسان ولد ومعه مجموعة من المشاعر والخصال ، والرغبات ، والميول ، والتعامل معه من جانب واحد من هذه الجوانب فيه ظلم ، فادح ، وبهتان جسيم .. وإذا ماتم التركيز علي جانب واحد ، وتطويره هو وحده ، في هذه الحالة لايكون هناك إنسان سوي .. أو فرد عادي .

إن المرحلة الراهنة ، قد شهدت فيها مجتماتنا ، أسوة بالمجتمعات الأخرى ، تداخل المرأة فى العديد من مظاهر الحياة ، ومحركاتها .. وأصبحت لديها القدرة ، والمهارة للقيام بالعديد من المهن .. واستطاعت ان تصل إلى أعلى المستويات فى شتى المهن.. والحال هكذا .. فإن النظر إليها بعين المتعة الجنسية فقط ، يعتبر أمراً غير مرغوب ، وليس من الصواب فى شئ .

إن المرأة ؛ سواء فى حياة الأسرة ، أو فى حياة المجتمع تُعتبر أهم ، وأنشط عضو فى الأسرة ، ومن هذا المنطلق ، فإنها الأجدر بالحب ، والإحترام ، ويكون هذا الحب ، وهذا الإحترام بقدر العطاء الذى تُقدمه للعائلة الكبيرة .. ولو أستطعنا أن نفيها حقها، وبالقدر الذى نوفق فيه فى هذا الصدد ، نكون قد كوَّنا مجتمعًا مدنيًا ، ومتحضراً وسليمًا بالقدر نفسه .

بقدر ما تلتقي دورة طقوس الإنفصال ، والغياب بالموت عند معظم شعوبنا وكياناتنا العربية وما يتبعها من أغاني وتراتيل جنائزية مصاحبة لنوعية الميت وجيله وصيته رجلاً ذكراً كان أو امرأة ، أنثي أو عروس بكرية . لم تتزوج . هدفها حماية الأحياء بتسكين روح الميت المتوفي وبعث أكبر قدر من الطمانينة والأمن لكلا . روح . المتوفي وذويه .

كذلك تلتقي الأغاني والأهازيج والموشحات المصاحبة لدورة الحياة وطقوس تجمعها بالزواج والإنجاب داخل رقعة فولكلور شعوبنا العربية بل إننا نتفق مع الباحث الفولكلوري العراقي "لطفي خوري "في أنه لا إختلافات كبيرة في الأسرة العراقية وتقاليدها المتعلقة بالزواج عن بقية الأسر في الأقطار العربية سوي في بعض التفاصيل التي تفرضها البنية السكانية ، وكذا القرابية والبيئية بالإضافة طبعا للقسمات الفئويه الدينية التي تشكل الوطن العربي من مسلمين وأقباط مصر ، ونساطرة العراق ، وموارنة لبنان وعلوي سوريا العليا .

إلا أن القاسم المشترك لها يتمثل في كونها طقوس أنتقال تجمعية من صلوات الشكر في الكنائس . كما يذكر كراب . فطقوس الإنتقال المصاحبة للزواج ، والميلاد لاتخلو علي طول الوطن العربي من جذورها الأولي السحرية والطوطمية والقبائلية .

بدءاً من أستخدامات رش الملح الجماعي ، كممارسات السحر المشاركة ، والتزين ، والزغاريد ، ودق النواقيس ، والأصوات العالية ، والأعيرة النارية التي هدفها طرد الأرواح الشريرة ، وشرور العين وإشاعة الأمن .

ومروراً بزواج الاقارب، أو الزواج الإتصالي الأسري القرابى القبائلي بل إن في تقاليد وإحتفالات الزواج، والإنجاب ، والأغاني ، والأشعار، والممارسات المصاحبة علي طول الكيانات العربية أرضاً خصبة حقاً بالنسبة لدراسة نسق أو منطلق جوهري أو إستراتيجي لتراثنا العربي بكامله ، وهو النسق القرابي القبائلي الذي يتبدي بكثرة ملحوظة إلي أقصى مدي فى تراثنا الفولكلوري العربي بعامة، وبخاصة فيما يصاحب

الزواج ، ومراحل إنتقالاته ، لافرق فيها بين ما يجري في دلتا الرافدين ، ومصر ، وفلسطين أو المشرق العربي ، والسودان ، والخليج .

من ذلك الكثرة الموسمية للزواج ومراسمه التي عادة ما تجيء في نهاية موسم الحصاد ، وجمع الغله لدفع المهر ، أو وحدة مهر العروسة التي كانت في الجاهلية تحدد وحدتها النوق ، أو الجمال وعرف إلي اليوم بزواج المهر تمييزاً عن زواج "السفطة" لشمال العراق ، والفصل في وسطه تم عقد النكاح لحين الحنة ، أو ليلة الحناء ، وما يصاحبها من اغاني الفتيات المراهقات الكاشفة في معظمها عن محرماتهن . وصبواتهن في الحب ، والجنس والزواج .

كما أن في دراسة أغاني ، وممارسات الزواج ، والإنجاب وما يدور في فلكها من شعائر. وخرافات تفصيلية منها ما يتصل بإستخدامات نباتات بل ، وعطور، ووحدات تشكيلية بعينها وما يتصل بافتعال العراك والعنف ، والمشاحنات لحظه خروج العروس بزينتها من بيت أبيها أو في حالة تخطيها للمرة الأولي عتبة بيت . الزوجية الجديد .

وما يتصل بشعائر تقديس عتبات البيوت التي ترجع بذورها في التراث خاصة داخل رقعة التراث الفلسطيني ، والأسطوري والفولكلوري السامي إلي ماقبل الألف الثانية ق.م مثل سكب الماء وأحياناً الملح علي العتبات وكذا التوسع في أستخدامات النباتات الخضراء كالنعناع ، وسعف النخيل توسلاً بسحر الشبية – الذي ينتج الشيبة أو الشبشبة . وكذا شعائر إنتقالات إلى " أو من" حجرات النوم ، أو الداخلة ، ودور الداية أو القابلة بتعريف العروسين ودفع فك الدكة . من نقود للداية أو العروس وأغاني أخذ الوش التي – عادة – ما يجري علي مشهد من الداية بإستخدام الأصابع وعليها . المحرمة. الحريرية البيضاء وإشهارها بالأغاني عبر البلدة أو النجع "قولو لأبوها إن كان جعان يتعشي " .

وكل هذا مادة خصبة للمزيد من تكثيف وضع المرأة وأداءاتها . الأسطورية . الأولي منذ أساطير الخلق الأولي لحواء وخلقها من الضلع السادس للرجل المنحدرة منذ السومريين منذ ٥ آلالف عام وتبدو بكثرة في التراث السامي ، أو الكنعاني ، لحين سفر الخلق أو التكوين الأول والثاني .

* * *

فـالزواج ، هو تكامل العلاقـات التي تتـأسس علي تكوين عـائلة جـديدةمن ذكـر وانثي = من رجـل وأمرأة . وفي تنظيم ، وتيـسيـر هذه العـلاقـات ، فـإن كل الأطراف ليـسـوا بأحـرار في ذلك ؛ فـالمجتـمع الـذي تُشكله القـيم ، والديـن والقـانـون هو طرف مباشر في هذه العـملية ، وهو صاحب الكلـمة في عقـد الزواج ، وله الحق ، واالسلطة المباشرة في الإشراف والمراقبة . هذا بالرغم من أن بعض الحقوقيين يعرفون الزواج علي أنه شكل من أشكال التوحد ، أو الترابط المشروع بين رجل وأمرأة بهدف تكوين أُسرة جديدة ، وأن يتعهدا بالصدق والتعاون فيما بينهم .

الزواج ، يُعتـبر المرحلة ، أو لنقل المحطة الثانية في الحيـاة والتى تلي مرحلة الميلاد مباشرة .. هذا الحدث المهم بالنسبة للذكر والأنثي ، والذي يُعد بداية تأسيس سقف الزوجية .

من يستطع منكم الباءة فليتزوج

يُفسر تفسيرات مختلفة للأديان ، والثقافات والمجتمعات المختلفة .. والمجتمع الشرقي ، والدين الإسلامي يوليان الزواج أهمية قصوي ، ويدعمانه ويدعوان إليه ، ويحرضان عليه في الموروث ؛ هناك أعتقاد ثابت أن أمور مَنْ يبني داراً أو يشتري منزلاً، أو يتزوج تكون أموره كلها ميسرة ، ولا يشعر بخوف ، أو وجل من الإقتراض لهذا الغرض .. وإحدي واجبات الوالدين إظهار الرغبة في تزويج الأبناء ، والعمل علي ذلك ، والسعي إلي تحقيقه .. وفي الزواج تتحدد أدوار الكبار ..

الزواج يخلق نوعًا من التقارب ، أو القرابة بين العائلات "النسب عصب .. وإن صح يصبح قرابة .. " .. وهكذا ، فإنه ينتج ذاتياً نوعاً من التساند ، والتعاضد الإجتماعي بين العائلات هذا ، بدوره ، يُنظم العلاقة الإقتصادية ، والإجتماعية داخل المجتمع .. فالرجل والمرأة المتزوجان ، يكون كل منهما ، عنصرًا أكثر فاعلية ، وإنتاجية إجتماعيًا ، وتوازناً وعطاءً في بناء المجتمع ..

تسمح المجتمعات الشرقية المسلمة بتعدد الزيجات ، وتحض علي زيادتها في

بعضه.. وتجد منها في البعض الآخر حرصاً علي تحديد النسل ، وإن كانت تركيا الدولة قد طبقت القانون المدني في العصر الجمهوري ، وبينت مواد هذه القانون كيفية عقد الزواج ، وشروطه ، وأشكاله ، إلا ان المجتمع التركي المسلم في القري ، والقصبات ، والأحياء الشعبية ، مازالت عناصره تحرص كل الحرص علي الموائمة بين الشريعة ، والقانون المدني ..

ومما لاشك فيه ، أن خطوات الزواج في المجتمعات الشرقية المسلمة متشابهة إلي درجة التطابق .. حتي ولو أختلفت المسميات من مجتمع إلي آخر ، وتنحصر في الخطوات التالية :

١-اختيار الشريك

الزواج حدث مهم ، ومقدّس.. ومن هذا المنطلق ، فمن الطبيعي أن يكون الحرص علي أختيار الشريك من الأمور المرعية .. ولابد أن عوامل العصر ، وظروف الحياة الراهنة ، قد فرضت بعض النقاط المؤثرة في عملية إختيار الشريك في الحياة المستقبلية.. وخاصة الحسب ، والنسب ، والأصالة ، والعائلة والمستوي الثقافي ، والموقف المادي .. والجمال الجسدي ، والمعتقد الديني ، والحياتي ، والمهنة ، وماشابه ذلك ، كما تلعب المقاييس دوراً مهمًا في أختيار شريك الحياة ..

وما زالت طرق إختيار الزوجة في بلداننا الشرقية حتي أيامنا الراهنة تتم بإحدي الوسائل التالية :

١- طريق الخاطبة ..

٢- أخذ موافقة الشباب علي ماتختارة العائلات ..

٣- قيام الشباب بإختيار الشريك مع الحرص علي رضاء الوالدين ..

وحتي لو كانت هناك أشكال أخري ، يتم فيها الزواج دون رضاء الأبوين .. ويترتب علي ذلك العديد من المشاكل .. ولما كان ذلك ، يخرج عن نطاق ما رسمناه لموضوعنا فلن نتحدث عن هذه الأشكال التي طرأت علي مجتمعاتنا الشرقية في السنوات الأخيرة من القرن الحالي .

وبنفس الشكل ، فإن مجتماعاتنا كانت تعرف نوعاً من الإختيار للشريك الآخر ،

وفقًا لبعض العادات ، والتقاليد ، ولكنها بدأت في الإنحصار لما ينتج عنها من مشاكل .. ذلك هو - إرتباط المهد - اي الإتفاق علي زواج الآقارب ، منذ مولد الطفلين ،وهما ما زالا في المهد .. ولكن حفاظًا علي صحة الأجيال القادمة فقد بدأت العائلات من تلقاء نفسها تتهرب من زواج الآقارب ..

الإتفاق - قراءة الفاتحة:

- بشكل عام ، ومهما كانت طريقة التعارف ، فالمعتاد أن عائلة الفتي ، بشكل من الأشكال ، تبعث إلي أهل الفتاة ، تُعرب عن رغبتها في الزيارة ، وتطلب لذلك موعداً .. ويتقرر الموعد ، ويتحدد يوم الزيارة ..

- والمعتاد أن أهل الفتاة ، يختارون الموعد بعد بضعة أيام ، وعقب صلاة المغرب ، أو العشاء .. أو بعد طعام العشاء ، ينتظرون بشكل شبه جماعي الضيف القادم ..

- في بيت الفتاة ، عدا واجب الضيافة ، تكون هناك إستعدادات أُخري .. وحسب الوضع الإجتماعي للبيت .. تكون الدعوة علي فنجان من الشاي .. وتصدر التعليمات للفتاة بحسن المظهر ، والسلوك ، وعدم إظهار اللهفة .. وأن يكون الفستان ، أو الملبس بسيطًا ، وجميلاً ، مع مراعاة البساطة في المكياج ، وأن تستقبل الضيوف بزينة ، وحليات معتدله .

- يتم اللقاء ، وبعد السؤال عن الحال ، والأحوال ، وتقديم تحية الضيف من مشروب مناسب .. يتم فتح الموضوع من قبل أكبر الموجودين مع الفتي سناً ...

- يكون في هذه الزيارة مع الفتي ؛ أبيه ، وأمه ، والجد ، و الجدة إن كانوا موجودين .. وإلا فالعم ، أو الخال مع زوجاتهم ..

- يقوم المخوُّل بالحديث ، وبإسلوب لطيف ، ومناسب بالإعراب عن سبب الزيارة ، وأنهم جاءوا لطلب يد الفتاة .. ويكون ذلك بالشكل المعتاد في المجتمعات الإسلامية .. "بأمر الله .. وعلى سنة رسوله ..."

- المخوُّل من قبل عائلة الفتاة .. وفقاً للعادات ، والآعراف السائدة في مجتماتنا الشرقية .. يكون مجمل رده .. طلب مهلة من الوقت للتفكير .. وسؤال الفتاة ..

والتأجيل لبعض الوقت .. أما إذا كان الشابان قد إتفقا .. وسبق أن نقلا موافقتهما علي هذا الإرتباط ، فلا يكون هناك داعي للتأجيل ..

– وإذا لم يكن والد الفتاة موجوداً .. فإن الخال ، أو العم ، أو المخول بالحديث عنها، يرد قائلاً .. "علي بركة الله .. طالما الأولاد يعرفان بعضهما ، ويرغبان في ذلك .." أو ما شابه ذلك من الردود التي تُعبر عن الموافقة .

– بعد ذلك يتم تبادل التهاني والدعاء بإتمام الزواج .. وبالسعادة ويتم تقبيل أيدي الكبار .. ويقدم الشربات .. أو الشاي والجاتوه .. أو الحلويات مع الدعوات وبعض من الزغاريد ، وينتهي الكلام بقراءة الفاتحة .. أو الدعوات الصالحات التي تُنبيء عن حسن النوايا ، وطلب الخير لهما ..

– يحدد الأطراف في نفس الجلسة ، الموعد المقترح للخطوبة أو الشَبْكَة .. والفرح .. ويمكن أن يتطرق الحديث لحفل الخطوبة والعرس ، وهل سيتم ذلك ، أو يكتفي بمراسم بسيطة ، وإذا كانت ستتم حفلة الخطوبة .. فكيف .. وأين .. ومتي .. وكم عدد المدعووين .. وما شابه ذلك من الإجراءات .. ويمكن أن يتم الإتفاق علي الموعد المقترح تقريباً لموعد الزواج .. الهدايا المتبادلة .. قيمة هدايا الخطوبة .. ونوعياتها .. وتأسيس العش الجديد ، ودور كل طرف .. ومن الممكن أن تُترك هذه الامور لموعد آخر مناسب .. ولا يتم التنويه عنها في هذه المقابلة .

– لا يهمل أهل العريس عند حضورهم إلي هذه الزيارة الأولى في احضار بعض الحلوي .. كالجاتوه ..أو الشيكولاته مع بعض الورود أو الأزهار ..

– في الأيام المعاصرة .. تم أستحداث خاتم الفاتحة .. أو خاتم الإتفاق في بعض المجتمعات الشرقية كتركيا كتأكيد للقبول ، أو السماح للشابين بالتجوال سوياً ... ومهما كانت المجتمعات الشرقية فإن حفل قراءة الفاتحة .. أو الإتفاق لا تخرج عن هذا كثيراً ، وإن كانت بعض المجتمعات المحافظة ، والتي لا تُتاح فيها الفرصة لاي لقاء بين الفتى والفتاة ، أن تذهب والدة الفتي ، أو أُخته ، الكبرى ، أو عمته ، أو خالته إلي أم الفتاة المرشحة كزيارة عادية ، وتقوم بالتعرف علي الفتاة ، ومراقبتها ، بل وفحصها ، ثم تنقل كل ذلك إلي الفتى ، مع إضافة وجهة نظرها .. فإن حازت القبول .. تتم الخطوات السابقة تقريباً ..

الدعـــوات المتبادلـــة

– بعد قراءة الفاتحة ، وفي غضون فترة معقولة ، تقوم أُسرة الفتى بدعوة أُسرة الفتاة على طعام العشاء غالباً ، أو الغذاء نادراً . .

– تتم هذه الدعوة بهدف تعميق التعارف من ناحية ، ومن ناحية آخري مناقشة باقى التفصيلات المتعلقة بإتمام هذا الزواج . .

– ولا تهمل عائلة الفتاة حمل بعض الحلويات عند التوجه إلي منزل الفتي انطلاقاً من المقولة التى مفادها . . من"ياكل حَلْوَى يتحدث حُلْواً . ." "حلّي بُقى يْحلىٰ كَلامي . . " .وبهذا يصبح أهل الفتاة مدينين بدعوة مماثلة . .

وضع الفتى والفتاة

يختلف الوضع من عائلة إلي آخري حتي داخل المجتمع الواحد ؛ فبعض العائلات تسمح بتقابل الفتى والفتاة فى منزل احدهما .

– غالباً ما يكون منزل الفتاة – والبعض يقبل بالخروج الجماعي مع الأسرة ، أو الأسرتين سوياً ، والبعض يشترط خروج طرف ثالث معهما كالأخ ، أو إبن الأخ ، أو الأخت . . الخ .

– المهم أن تُتاح الفرصه للمرشحين بالتعارف الجيد فيما قبل الزَواج . .

الخطوبة..الشبكة

تقوم العائلتان ، أو الشابان معاً بتحديد الموعد المناسب لإتمام حفل الخطوبة . أو يقوم المخولان بهذا التحديد . . بحيث يكون التوقيت مناسباً للجميع .

تتم الخطوبة بأحد الشكلين التاليين ؛ إما الإكتفاء بإحتفال عائلي في منزل العروس لإ لباس الدبلة . . ويكون بشكل مبسط ، ومحدود . . أو إتمام الخطوبه في صالون بأحد الفنادق أو في قاعة من القاعات المعدة لمثل هذه المناسبات ، وتكون وسط زحم من المدعووين . .

في كلتا الحالتين ، طرف الفتاة هم الذين يتحملون النفقات . . .

خصوصيات الحفلة

تحرص فتيات كلا الطرفين بإرتداء الفساتين الجميلة ، ذات الألوان المبهجة بشكل عام في هذه الحفلة .. وكلهن يعملن مكياج خفيف .. خاصة العروس ، وأخواتها ، وصحباتها .. أما الفتي فيرتدي بدلة كاملة ، ويحرص علي المظهر الملائم ..

– إذا كانت الخطوبة ستتم فى المنزل ، فيتم تحديد عدد الحضور وفقاً لإتساع المكان المتاح ، ويُعلن أهل الفتي بالعدد المقترح قبل الموعد بوقت كاف ، غالباً ما يتراوح بين أسبوعين أو ثلاث .. ولا يخرج مضمون الإعلام بذلك عن المعني التالي : "تدبرنا في الأمر .. ووجدنا أن المكان يتسع لكذا نفر من المدعووين .. فليكن النصف لكم والنصف لنا .. وليتفضل الضيوف بالحضور فيما بين الساعه"

– أو ، فليتفضل الحضور بعد صلاة المغرب .. أو صلاة العشاء .. أو عقب صلاة العصر .. " إن كانت في القري أو في الضواحي .." ..

– بناءاً علي العدد المقترح لكلا الطرفين ..يقوم كل طرف بإختيار مدعوويه ..

– تتهيء أسرة الفتاة لهذه المناسبة ، بالإستعداد لتقديم واجب الضيافة والكرم حسب الظروف المتاحة .. أو المناسبة أو المتفق عليها .. احياناً يقدم الطعام ، ومعه الشربات ، والحلويات ، والمشروبات .. ليست هناك قواعد ثابته بهذا الصدد .. بل تختلف بإختلاف البيئة ، والمستوي ، والمجتمع .. المهم هو إكرام الضيوف مع البعد عن الإسراف ، والبذخ في أكثر المجتمعات المعاصرة..

– جرت العادة في معظم المجتمعات الشرقية ، أن يقوم كبار العائلتين مع بعض الآقارب المقربين وبصحبة الفتي والفتاة بشراء ذهب الشبكة ودبلة الخطوبة وملحقاتها قبل موعد حفل الخطوبة .. غالباً ماتكون دبلة الخطوبة من الذهب ..وإن كانت بعض المجتمعات أستبدلت الذهب بالفضة بالنسبة للذكور .. ويُكتب عليهما أسمي الخاطبين وتاريخ الخطوبة .. جري العرف ألا ترتدي الفتاة الخاتم الماس إلا بعد عقد القران ..

– توضع دبلتي الخطوبة في علبة خاصة بهما .. غالباً ما يفضل أن يكون لونها

أحمر .. وتحرص بعض المجتمعات الإسلامية المشرقية علي أن تربطهما قبل الخطوبة بشريط أحمر .. ويوضعا مع بقية مجوهرات الشبكة علي صينية صغيرة من الفضة ..

– يحرص أهل الشاب ، وهم متجهون إلي منزل الخطيبة علي إصطحاب طبق من الفضة ، أو صندوق أو علبة ظريفة يمكن الإحتفاظ بها كذكرى لهذه المناسبة السعيدة ، وتكون مملوءة بنوع جيد من الشيكولاته ، كما يحرص الفتي علي إعداد "بوكيه" من الورود ، أو الزهور يحضره معه للفتاه التي سيخطبها ، ويسلمه لها بنفسه .. لا يتم التقيد بهذا في بعض المجتمعات الحضرية أو القروية أو المحافظة .. ويستبدل ذلك بأشياء آخري .

– تحرص الفتيات علي الإحتفاظ بهذا الطبق أو الصندوق الفضي ، أو العلبة الظريفة المقدمة لها في الخطوبة ، وتضعها في مكان مناسب في غرفة النوم مع المقتنيات الآخري .. وبعد الزواج ، ومرور الزمن تحكي عن ذكرياتها الجميلة لأطفالها، أو المقربين إليها ، وتخرج الصندوق ، أو الطبق الفضي لهم وسط فرحة وذكريات جميلة .. وأحياناً ماتورث بعض الأمهات هذه المقتنيات الفضية لبناتهن ..

إلباس الدبلة

بعد أن يحضر الضيوف ، ويبدأ حفل إلباس الدبلة .

– يجلس الفتي والفتاة إلي جوار بعضهما .. الضيوف في أمكنهم .. تقوم أم الفتاة ، أو أختها ، أو إحدي قريباتها ،أو صديقتها المقربة بإحضار صينية الشبكة .. إذا كان الحفل في المنزل يقوم الشخصية التي إرتضتها الأسرتان(الجد .. الرئيس .. قريب مهم .. عالم جليل .. سياسي معروف ..) بإرتجال كلمة قصيرة .. وتقدم الدبلتان بالتبادل .. يقوم الفتي بإلباس دبلة الفتاة أولاً ، ثم تتلوه الفتاة ، وسط التصفيق ، وعلامات الفرحة ، والبهجة .. ويتم قص الشريط الأحمر الذي يربط الدبلتين في بعض المجتمعات ...

– خلال هذه االفتره لا يتوقف التصفيق من الحاضرين ، وتنطلق الزغاريد من حين لآخر .. أو تُعزف الموسيقي إن كان الحفل في صالون خاص بهذة المناسبات . يوزع الشربات ، و الحلوي .. وتُّفتح علبة الشيكولاته .. يُقدم منها للخطيبين ، والمقربين ..

لتحلو الأفواه فيحلو الحديث والسمر .. وتبدأ الضيافة .. تُلتقط الصور ، ويتبادل الأهل ، والآقارب ، والصحبة ، والأصدقاء الأماكن لإلتقاط الصور بهذ المناسبة السعيدة مع المحتفي بهما ..

هدايا الشبكة

بالرغم من الزحف الغربى علي مجتماتنا الشرقية ، مما طمس بعض العادات والآعراف القديمة .. إلا أن بعض المجتمعات ، والحضر ، والقصبات ، والقري ما زالت تُحافظ علي القيم التي نرجوا لها ألا تنقطع ..

كانت آعرفنا الشرقية ، مع إختلاف الآعراف والمراسم والقيم إلي حد ما ، تحرص علي إحضار الهدايا من بيت الخطيب إلي بيت الخطيبة .. كانت تحتوي علي الأقمشة المتنوعة ، وبعض الملبوسات ، والإشاربات ، والعطور . أو ملابس منزلية . وتحرص بعض المجتمعات العربية ، والتركية علي أن تُقدم الهدايا أيضاً إلي أم الخطيبة وأخواتها .. بل قد تصل إلي آشياء تتعلق بالبيت ، أو المآكل والمشرب .. وعلي الرغم أن مثل هذه الآشياء بدأت تندسر للظروف الإقتصادية .. إلا أن عودتها من الأمور المستحبة لعودة الترابط ، والتآخي ، والتعاضد الإجتماعي بين المجتمع الأُسري .. وبالرغم من هذا .. فما زالت الهدايا الثمينة من الذهب تُقدم مع دبلتي الخطوبة فيمكن أن يقدم الخطيب من السلاسل أو الآساور ، أو الخواتم أو الاقراط الذهبية أو ربما بعض الخواتم المطعمة بالآحجار الكريمة كهدايا .. بل هي الآن من الآشياء التي يمكن الإتفاق عليها قبل حفل الخطوبة في بعض مجتمعاتنا .. فإنتقلت بذلك من التهادي إلي التقاضي .. كما تُراعي قيمنا الشرقية تقديم الهدايا في الأعياد الدينية .. بل وفي بعض المناسبات الدينية ، وغير الدينية في الوقت الراهن .. فعلي الخطيب أن يقدم الهدايا في العيدين ... بل يحفظ لنا التراث أن بعض المجتمعات الإسلامية كانت حريصة علي أن يقدم أهل الفتي "كبش ضحية عيد الأضحي " .. للفتاة .. وكانت تُخضب جبهته وبعض من فراءة بالحناء .. بل كان يزين ببعض الزينات المبهرجة ..

– إذا ما فُسخت الخطوبة يجب أن تُرد كل الهدايا العينية .

عقب إتمام الخطبة ، تبدأ إستعدادات الزواج .. هذه الإستعدادات يمكن أن تتسارع أو تتمهل وفقاً لمدة الخطوبة ، والفترة التي يتم الإتفاق عليها .. فإذا كان القران ، والنكاح ، والفرح قريباً .. وإذا كان العروسان بعد القران ، والزواج سيستقلان في عشهما مباشرة ، فإن أعمال التجهيز تتسارع .. ووفقاً لما تم الإتفاق عليه عند قراءة الفاتحة ، أو الخطوبة وتستكمل التجهيزات ، ويسعي الطرفان إلي تحقيق ما إلتزما به .. وتُراعي الأصول ، والأعراف التي كانت متبعة الا يتسبب أي طرف للطرف الآخر في أي مصاعب مادية قد تؤدي إلي مشاكل مستقبلية .. كان تراثنا .. "فاظفر بذات الدين تربت يداك "ويجب الا يغالي كل طرف في مطالب تأسيس عش الزوجية .. وفي فترات التعاون كان يراعي ما يلي :

– تُحتم القيم والأعراف أن تُعد غرفة النوم من قبل أهل العروسة ، أما غرفة الطعام ؛ من منضدة ، وكراسي ، وبوفيهات ، أو نيش ، وكذلك غرفة الجلوس "الصالون " بكل مشتملاتها من كنب ، وفوتيهات ، وسحابات = مناضد صغيرة فكلها علي العريس. ويمكن أن يحدث بعض التبادل ، بينما مجتمعات منطقة الجزيرة، والخليج والنوبة في مصر تري أن تأسيس بيت الزوجية بالكامل علي كاهل الزوج .. أما في مصر ، وتركيا ، وشمال أفريقيا فالأمر متروك للتفاهم ، ورغبة كل طرف في التعاون ، وحسب الإمكانات المادية لكل طرف .. المهم في الأمر .. أن الحرص علي عدم خلق ضائقة مالية للطرف الآخر ، هو الذي كان يحدد الاهم ، فالمهم. ولم يكن أي طرف يسعي إلى فرض شروطه علي الطرف الآخر ، أو يتشبث بضرورة أستكمال الأثاث ، وكل التجهيزات قبل الزواج .. فلابد وأن تكون هناك بعض النواقص للأزواج الجدد .. وليس هناك ما يُعيب ، أو يُخجل في هذا الأمر ، بل قيمنا .. ﴿ يَسروا ولا تعسروا ﴾ ..

– إن بيت الزوجية الذي يصر طرفاة علي أن يكون كل شيء بالكمال والتمام ، معني ذلك أن الأبواب قد أوصدت أمام الأزواج الجدد ، وحالت بينهم وبين الاستمتاع بكثير من الأمور التي كانت تنتظر أن يقوما بها معاً ...

– إن التجهيزات المتسارعة ، والتي تتم علي عجل ، بصفة عامة يتم الإكتشاف فيما بعد .. يعني بعد أن تبدأ الحياة في هذا المنزل ؛ أنها لم تكن علي علي المستوي المطلوب .. وتكون النتائج في أغلبها سالبة .

الزواج ، في كل الآعراف ، والعادات ، والتقاليد يعني بناء بيت جديد .. وضع لبنة في بناء أُسرة جديدة .. الزواج معناه التوافق بين رجل ، وإمرأة ، والتفاهم فيما بينهم نحو الكيفية التي يقام عليها البناء .. الزواج معناه الرضا ، والتفاهم ، والقبول من إثنين لبناء عش جديد .. وفتح بيت جديد .. ومن هذا المنطلق ، فعلي الفتي ، والفتاة .. أو عائلتيهما أن يتعاونا علي تشييد هذا البناء ، وإقامة بنيانه .. وأن يعتبرا ذلك أمر مندس .. وفرض واجب الأداء .

وخيراً تفعل الأسرتان ، لو أنهما أعدا قائمة بإحتياجات البيت الجديد . وأن تكون هدايا الآقارب ، والأصدقاء من كلا الطرفين محصورة في هذه القائمة ، وكل حسب إمكاناته بل من الممكن أن يتفق أكثر من قريب ، أو أكثر ، من صديق ويقدموا شيئاً واحداً من الآشياء ذات القيمة المادية العالية كالثلاجة .. أو الفرن .. أو التلفاز ومن تلك التي يصعب علي شخص واحد أن يهاديها .. وأن يكون ذلك بمثابة الدين الذي يجب رده عندما تحين نفس المناسبة ، أو مناسبة مشابهة لذلك الذي قدم الهدية ..

– لابد من الإشادة هنا بما تحفظه لنا العادات ، والاعراف في الريف المصري ، وحيث يقدم الآقارب ، والأصدقاء ، والمعارف ، بل وأهل القرية جميعاً ، والقري الأخري ما يُسمي بـ "النقوط " وهو مبلغ نقدي ، أو هدايا عينية تُعين علي إتمام الزواج يسجلها الفتي ، والفتاة ، أو عائلتيهما في سجل خاص بهم لسدادها في نفس المناسبة التي تحين للدافع ، أو المهدي **«وتعاونوا علي البر والتقوى .. »** .

***

- بينما الإستعدادات علي قدم وساق للإنتهاء من جهاز العروس ، وحاجتها الشخصية .. ويعاونها في ذلك الأهل والأصدقاء .. تنشغل الفتاة أيضاً بفستان الزفاف .. جرت العادة أن ترتدى العروس فستان أبيض ، وطرحة من التُل الأبيض أيضاً ، وتاجاً ، وحذاءً أبيضاً .. وقفازاً أبيض ، وتمسك في يدها باقة من الزهور .. يلتزم العريس بمصروفات كل هذه الأشياء .

- تختار الحماة يوماً مناسباً ، وتدعو العروس ووالدتها ، وربما فرد أو إثنين من الأقارب ويذهبون سوياً لإختيار فستان الزفاف ، سواء أكان قماشاً أو جاهزاً ..

- يخرجون سوياً إلي الأسواق ، يُختار القماش .. ثم تتجه الحماة "أم الزوج" ومعها العروس إلي ترزي العائلة .. وربما شخص آخر ..

- يتم التداول ، والتشاور في طراز الفستان ، ويرجح ما تختاره العروس حيث أنها هي التي سترتديه .. عند بداية قص الفستان ؛ كان من المعتاد أن يتواجد العريس والعروس وأصدقاؤهم من الجنسين .. وتقوم والدة العريس بنثر السكر ، أو القِطع النقدية ، وما شابه ذلك فوق القماش وتقديم الهدايا .. ويقتصر الأمر في المدن أحياناً علي العروس ، والعريس .

- خلال تردد العروس لعمل الـ"بروفات" من الممكن الا تحضر الأمهات .. ويكتفي بحضور العروس وبعض صحباتها أو قريباتها .. ومن الممكن أن يحضر العريس ، وأخوته ، وآخواته أو بعض آقاربه عند البروفة الأخيرة ، ليكونوا في صحبة العروس .

- وما أن تنتهي الأمور المتعلقة بفستان الزفاف ، حتي يتجه الجهد ، والتفكير حول تنظيم ، وترتيب البيت الجديد .. ولهذا الغرض .. تُحدد أم العروس يوماً .. وفي الموعد المحدد تدعو أصدقاء الفتاة المقربين ، وبعضٍ من الجيران والآقارب ..

- تعرض الأم الأشياء التي إدخرتها الفتاة لهذا اليوم ، مع الجهاز ، وما استحدث من آشياء ، وقد أُعدت للنقل إلي البيت الجديد ..

- ينضم ، ويتعاون كلا الطرفان في ترتيب ، وتنظيم عش الزوجية .. وتتسم هذه العملية بالمرح ، والفرح والبهجة ، وخاصه للشباب المقبل علي الزواج من كلا الطرفين

-تحرص الكثير من العائلات التركية ، في المقام الأول أن يكون أول ما يدخل إلي العش الجديد نسخة من المصحف الشريف ، وتكون منقولة من بيت أبيها .. ويتلو ذلك مرآة ، وشمعة ، وكيس صغير من الأرز ، أو القمح .. ومثله من السكر .. ويرمز القرآن إلي عقيدة ، وإيمان المنزل ، المرآة إلي بهجته وإنشراحه ، والشمعة لدوام إستمرار النور والضياء في المنزل .. أما القمح والأرز فيرمز بهما إلي البركة والخير .. والسكر يحمل معني التمني أن يكون فم أهل البيت دائماً حلواً ..

- عملية تنظيم وترتيب المنزل من إختصاص الجنس الناعم بالكامل .. وتتسم هذه العملية بنوع ما من المظهرية .. فأهل العروس يودون أن يري أهل العريس ما أحضرته الفتاة في جهازها ، وأهل العريس يودون أن يظهروا ما أحضروة للبيت الجديد من عفش ، وأدوات وما شابه ذلك . فإن هذه العملية تتم بشيء من الأستمتاع ، والتروي ...

ليلة الحناء

- من أشهر مراسم الزواج ، وعاداته في المجتمع الإسلامي الشرقي هي ليلة الحناء .. وهي الليلة التي تسبق ليلة الزفاف ، والدخلة . يجتمع أصدقاء الفتاة ، وآقاربها في منزلها ويجتمع أصدقاء الفتي وآقاربه معه في منزله . في هذه الليلة تخضب يدي الفتاة ، وقدميها بالحناء ، وسط بهجة الأهل ، والأصدقاء ، ويتم ذلك بعد أن تكون قد إنتهت من حمامها .. وتكون هذه الحناء ، قد أحضرت من بيت العريس .. ويّطلق علي طعام الوليمة التي تُقدم للضيوف في هذه اليلة "طعام الحنة "وتنقضي الليلة وسط الفرح ، والمرح ، والغناء ، و الطرب .. وعلي نفس المنوال ، تجري الأمور في منزل العريس ؛ فبعد الحلاقة ، والحمام ، يجلس العريس في منزله ، أو منزل أحد الآقارب ؛ كالخال ، أو العم، أو العمة .. وسط لفيف من الأهل ، والأصدقاء في جو من المرح والبهجة ، والغناء والطرب ..

* تنفرد بعض المناطق العربية ؛ ببعض العادات الخاصة بها – كمجلس نتف العانة في اليمن ... وكذلك لبعض المناطق في جنوب تركيا عادتها الخاصة بها كمجلس العرقى.. ويتعمد الأب فيه أن يتعرف علي قدرة إحتمال ولدة .. وعند الچركس ، واللاظ لابد أن يتمكن العريس من خطف العروس ليلة الحناء .. حتي تتم ليلة الزفاف.. وفي هذه الليلة يسهل آقارب الفتاة أو ، أمها عملية الخطف لكي يتم الزواج..

* تشهد بعض مناطق تركيا – كنوع من التسلية – أن يتدثر بعض الشباب الذكور في زى الإناث ، ويُقدمون عرضاً ترفيهياً في منزل العريس ، وتتدثر بعض الفتيات في زي الذكور ويقدمن عرضاً فكاهياً وترفيهياً في منزل الفتاة .

* في بعض مناطق مصر تجلس الفتاة في الكوشة (*) لبعض الوقت حتي تتمكن من جمع "النقوط " الذي سبق وأن قدمته ، وتتلقي النقوط الجديد .. وتجلس علي مقربة منها إحدي صديقاتها أو واحدة من الآقارب لتسجل ما يدفع ، أولاً بأول ..

* كذلك يفعل الفتي ، يجلس بين أصحابه فترة لتلقي ماله من نقوط قديم ، وما يستحدث .. ويُسجل ذلك أولاً بأول ، وأحياناً – بالنسبة للعريس فقط – تمتد هذه العملية إلي ليلة الدخلة .. إذا كان الفرح ، والعرس في نفس القرية أو المكان ..

* وفي ليلة الحناء ، تختلف الأغاني ، والأهازيج التي تُقدم من منطقة إلى أخري ، ومن مجتمع إلي آخر .. ولكنها في الأعم الأغلب تدور حول صفات العروس ، وتمتدح جمالها ، وحسبها ، ونسبها .. وأخلاقها ، وتعدد ما ينتظرها من سعادة وهناء ..

– لما كانت ليلة الحناء ، هي الليلة الأخيرة للعروس في بيت أبيها وبين أحضان أمها ، وآخواتها ، وأخوتها .. فيمكن أن تتطرق بعض الأغاني لمثل هذه المشاعر .. وتسمع العروس ما يبكيها ، ويبكي أمها .. ولكنه بكاء ممزوج بالسعادة الدفينة .

* في بعض مناطق المجتمع الشرقي .. تُعد كمية من الحناء التي سبق وأن جُهزّت في بيت العروس ، وتُرسل إلي بيت العريس فوق صينية ، ويتم بها تخضيب اليد اليمني للعريس ووكيله . كما يتم تخضيب آيادي ، وكعوب بعض فتيات أهل العريس من هذه الحناء.

– يُعتبر عقد القران ، أي النكاح أهم خطوة في عملية الزواج ، وأكثرها جدية .. فبدون عقد القران ، وقبله ، لا يعتبر الرجل والمرأة في المجتمعات الشرقية قد تزوجا .. وبه يتم تسجيل ، وإشهار الزواج .. وتختلف عملية عقد القران حتي في المجتمع الواحد من منطقة إلي آخري .. وتتعدد أماكن عقد القران من منطقة إلي آخري ؛ فمن دوائر الشهر العقاري ، ودوائر الزواج في البلديات ، إلي دور الإفتاء ، وكبري الجوامع ، إلي المنازل وصالونات الزواج .. حيث يتفق العريس والعروس ، أو ولي أمرهما علي الكيفية التي يتم بها عقد القران ، ومكانه .. ففي المجتمعات التي يُعقد فيها القران في دوائر البلدية ، يتولي رئيس البلدية أو نائبة ، أو وكيله عقد القران ، أو يكلف موظفاً مختصاً بهذا الأمر .

– أي كان المكان أو الشكل ؛ المهم أن يكون العريس والعروس في ملابس العرس ، وقد أعدَّت مكياجها ، وشعرها بالشكل اللائق وفي تركيا مثلا قبل ان تخرج الفتاة من منزل والدها ، وهي علي أهية الأستعداد للخروج يمنطقها والدها بحزام العفة .

* يُطلق علي حزام العفة في بعض مناطق تركيا "حزام الأم فاطمة " وكانت تُعقد له مراسم خاصة به في الفترات التاريخية السابقة ، كانت الفتاة تتمنطق به قبل خروجها من منزل أبيها ، أو قبل أمتطاء صهوة جوادها .. وهي عباره عن : ان والد الفتاة ، وإن كان الوالد متوفيا يقوم واحد من كبار العائلة ؛ العم ؛ أو الخال ، أو الأخ الأكبر بتحزيم الفتاة بحزام من الذهب ، أو الفضة ، أو المعادن المشغولة ، أو القماش المطرز ، وخلال هذه العملية يقوم بإسداء النصح لها ، وتوصيتها بمجموعة من الوصايا، والنصائح .

– ومما يتضح من بعض هذا التطبيقات ان الوالد يوصي أبنته قائلاً :

– كان شرفك ، وعفتك امانه لدي حتي اليوم ، ومن الآن وصاعداً فشرفك وعفتك، وأنت أمانة لدي زوجك .. ومن الآن حافظي علي شرفك ، وأمسكي لسانك وأقبضي يديك أينما تكونين . فالمفهوم ، والقيمة التي يحملها إلينا التراث؛ أن حزام العفة ما هو إلا وسيلة ، أو مناسبة لكي يوصي الأب ، أو الولي الفتاة ،

ويحضها علي الشرف والعفة ؛ عفة الفرج واللسان .. ويدعوها للجد ، والإجتهاد ، والسعي لتدعيم زوجها ، والحفاظ علي عرضه ، وماله في حضوره ، وغيابه ..

التراث الشرقي القديم يعرف حزام العفة ، حيث كان الزوج ، أو الأب ، أو الأخ ، أو العم ، أو الخال قبل الخروج للحرب أو التجارة ، يشتري حزام العفة ويمنطق به خصر الزوجة ، أو الإبنة ، أو الأخت التي يُخاف عليها ..

* تناقلتة الأجيال ، فهو يمثل أو يرمز االي البكارة والعفة ، وتحرص بعض المجتمعات الشرقية المسلمة علي تمثله حتي اليوم ، وأصبح الآن عبارة عن حزام من الذهب الخالص في منطقة الخليج ،وبين القبائل العربية ، تُصر الفتاة ، ويحرص العريس علي شراءة ضمن الذهب الذي يقدم لزوجة المستقبل .. وفي مناطق أخري يكتفي بالرمز إلية بحزام من الستان ، أو الرباط الأحمر يعلق علي خصر الفتاة رمزاً لهذا المعني

– ما زالت معظم مناطق المشرق الإسلامي حريصة علي هذا الرمز . إذا الفرح سيعقد عند عقد القران ومعه . ويحرص الأب عليه أكثر من سواة ..

– تعود كل المصاريف المتعلقة بعقد القران وتوابعه علي العريس .. وأحياناً في بعض المجتمعات تتم المشاركة من الطرفين يتحدد الموعد .. تطبع كروت الدعوة .. يتم الإتفاق علي الضيوف والمدعووين .. وشكل حلويات العرس .. كما حدث في الخطوبة ، والأمر هنا رهن بالإتفاق أيضاً ..

– تختلف ملابس العرس من مكان إلي مكان ، وحسب الظروف فإذا ما كانت العروس مرتدية الفستان الأبيض ، والتاج والطرحة التُلي ، فعلي العريس أن يراعي أن تكون بدلته من الألوان الغامقه ، أو الداكنة اللون ..

– إن ملابس العروس ، والخاصة بالزفاف كلها ؛ من الفستان حتي الحذاء ، والشنطة، والورود ، والمكياج والكوافير تُغطي من قبل العريس وأهله ..

– ليست هناك حتمية على إرتداء فستان الفرح عند عقد القران ، إن لم يكن في نفس توقيت العرس ، بل الأمر متروك للفتاة لكي ترتدي ما يناسبها ، وما يعجبها هي.. ولكن جرت العادة إن كان عقد القران في نفس يوم الزفاف أن يكون العروسان في كامل زينتيهما .. وأن يحضرا عقد القران وهما في زي العرس .

- إذا كان عقد القران في دائرة الزواج ، أو الشهر العقاري يتم من قبل الموظف الرسمي المختص ، هو في كامل قيافته الرسمية يأخذ العريس والعروس مكانيهما .. يُختار لكل منهما شاهد ، ويجلس الجميع علي المنضدة المعدة لذلك الغرض .. يسأل الموظف المختص بعض الأسئلة ، ويدون الأجوبة ، والبيانات الخاصة بهم جميعاً في الأوراق التي أمامه.. ويوقع الجميع علي وثائق الزواج .. ثم يتلو الموظف بعض الآيات والأحاديث ، والأقوال المأثورة التي تحض علي الزواج ، والتناسل . ثم ينهض الجميع بمن فيهم الموظف المختص وقوفاً .. ويُعلن تمام عقد النكاح ، وانهما أصبحا أمام الشهود والحضور زوجاً وزوجة علي كتاب الله وسنة رسوله والمذهب المتبع في المنطقة . وبذلك يكون قد تم الإشهار ، وهو الركن الأساسى في الزواج .. يتبادل الاطراف التهاني والتبريكات .. في هذه الآونه يكون الآباء ، والأمهات قد أخذوا أماكنهم عند باب الخروج ، فيتلقون التهاني ، والدعوات الخيِّرة ، من الضيوف .."مبارك.." "ليسعدهم الله .." "بالرفاه والبنين " . وما شابه ذلك من التمنيات الطيبة .

* يُقدم أهل العروسين لهما الهدايا الخفيفة الحمل ، والغالية الثمن ؛ كالحلي الذهبية أو الفضية ، أو الساعات ، والخواتم وما شابه ذلك بهذه المناسبة .. وتُقوم السيدات من الطرفين بتقليد العروس بهذه الهدايا الثمينة ؛ .(ظهرت مثل هذه العادات في الأزمنه الأخيرة في بعض المجتمعات ، وليس في كل المجتمعات الإسلامية..) بل وصل الأمر في بعض المناطق أن تُعلق الأوراق النقدية ، أو تُنثر عليها القطع الذهبية ، والفضية بهذه المناسبة ، ووسط هذا الحشد الكبير .

- يمكن أن يتم عقد القران في الجامع ، أو في المنزل ، أو في صالون الأفراح .. مهما اختلف المكان فالمراسم ، والآعراف والقيم متقاربة .. ولا توجد سوي فروق طفيفة .

- مهما كان الشكل أو المكان ، فهناك بعض القيم والخصائص التي لا يمكن إغفالها أو نسيانها عند عقد القران ..

– أن يكون المكان لائقاً بالمناسبة ، من ناحية النظافة ، والنظام ، والتنظيم ، وأن يُعقد في جو من الفرح ، والسرور ، والإبتهاج ، والبسمة وأن يلتزم الجميع الهدوء، والسكينة في لحظات التلاوة ، والعقد ، والتوقيع .. وأن يستحضر الجميع قدسية اللحظة .

– حاولت كل المجتمعات الإسلامية ، والشرقية بصفة عامه وحتي تلك التي يسود فيها نظام الحكم العَلْمَانى ، أن تُكسب عقد القران الصفة ، والمسحة الدينية .. ولذلك حرصت كل الأسر علي أن تعقد النكاح الشرعي ، عقب ، أو قبل النكاح الرسمي .. ويتم ذلك في منزل والد الفتاة ، وبحضور الشهود ، وأقرب الآقارب .. وهنا يعقد القران الشرعي رجلاً من رجال ، أو علماء الدين كالمأذون ، أو إمام الجامع ، أو عالم من علماء الدين المشهود لهم بالتقوي ، والصلاح .

يتم الحفل الديني بتلاوة بعض من آيات القرآن الكريم ، ثم يقوم المأذون ، أو العالم بالتعقيب ببعض الآحاديث النبوية التي تدعوا إلي الزواج ، وتحض عليه وإلي كثرة التناسل .. ثم يسأل بعض الأسئلة ، ويتلقي الأجوبة ، ويتحدد المهر ، ومؤخر الصداق سواء أكان نقداً أو مُلْكاً ، أو ذهباً ، أو عقاراً .. وبعد أن يتلقي الردود الإيجابية ، ويعلن المذهب الذي عُقّد القران علي أساسه شرعاً ، ثم يعلن إعلان الزواج .. ويدعوا الجميع للعروسين بالسعادة ، وبالرفاء والبنين ..

*أستجدت في بعض المجتمعات الإسلامية ، بعض السلوكيات المدسوسة ، والتي تهدف إلي إفساد الجو الروحي الذي يجب أن يسود لحظة عقد القران ، فالهدف واضح حتي وأن اكتست هذه السلوكيات بكسوة المرح ، والفرح والإبتهاج ..؛

كان يمزح البعض مع الموظف المختص ، أو المأذون بشكل ممجوج ليُضحك الجميع ، ويفسد الجو القدسي الذي يحيط بعقد القران .

أو أن ينبري أحد الموجودين ، أو إحداهن بأن تطلب من العروس أو من العريس أن يدوس بقدمه اليمني علي قدم الطرف الآخر .. ويكون ذلك في لحظه التوقيع علي قسائم الزواج .. وأن يُطلق البعض أصوات الأستحسان بينما يُطلق آخرون أصوات تدل علي التحسر .. أو الندم علي فقدان الحرية والدخول في سجن الزوجية ..

أو أن يتخاطف الحضور عبوات الملبّس ، والسكريات وسط تهريج الصبية .. أو أن يتسارع البعض إلي خطف المنديل الذي يُغطي به المأذون يدي العريس ووالد الفتاة .. أو تحاول بعض الفتيات "قرص" العروس .. أو خطف الزهور لكي تلحق بها في عرسها ..

مثل هذه التصرفات يجب البعد عنها .. وأن تكتسب ، أو أن تحتفظ هذه المناسبة بقدسيتها وروحانيتها التي تُمثلها .. وأن تظل قيمة الزواج قيمة مقدسة .. وأن تعمل الجهات المسئولة علي عودة القيم الجميلة إلي هذه المناسبة السعيدة ..

* حبذا لو اكترث معظم المجتمعات الإسلامية من صالونات ، وقصور الزواج ، وأن تجعلها بالشكل اللائق ، والمناسب كما هو موجود في دول الخليج والجزيرة العربية .. بحيث يكون للزواج رغبتة ، وسهولته .. وأن تسعي كل المجتمعات - وخاصة الخليج والجزيرة، والطبقات الجديدة من الحد من المغالات في طلب المهور .. ووضع الشروط التي تعجز معها ، وأمامها ظروف الشباب المقبل علي الزواج ..

* حبذا لو أكثرنا من مساعدات الشباب ، ومن تأسيس الجمعيات الخيرية التي تقدم هذه المساعدات جنباً إلي جنب مع الحكومات وأن تعمم تجربة الزفاف الجماعي الذي ظهرت بوادرها في منطقة الخليج ومصر المحروسة .

* * *

تُقام الأفراح في الوقت الراهن في عواصم ، وحواضر المجتمعات الإسلامية الشرقية في قصور الأفراح ، والقاعات المعدة لهذا الغرض خصيصاً ، ونادراً ما تكون في قاعات الفنادق . كما أنها تُقام في دور ، ونوادي القوات المسلحة ، والنوادي الإجتماعية ، ودور الضيافة للهيئات ، والنقابات ، والجمعيات المختلفة . وإذا كان المناخ مناسباً ؛ فتُقام في حدائق الفنادق ، وحول حمامات السباحة المتاحة في العواصم .. إما في المدن الصغيرة والقصبات والقري ، فغالباً في دور المناسبات ، أو السرادقات التي تُجهز لهذه المناسبة فقط . وفي الغالب الأعم في القُرى تُقام في المنازل أو في الساحات المتاحة بها ... مهما كان المكان ، ومهما كانت المستويات ، فإن الغرض واحد ، والهدف ، هو نفس الهدف ؛ هو الإحتفال بالزفاف لكي يتم الإشهاد ، والإشهار للزواج ..

– بصفة عامة ترتدي الفتاة ، وتتزين في بيت أبيها ، وتستعد ، وتتجهز فيه قبل أن تخرج منه .

– إذا كانت ستستعد ، وتلبس في بيت أبيها ، فبعد أن تستعد ، يحضر العريس ، أو بعض من آقاربه لإصطحاب العروس إلي صالون الأفراح .. وتُقام مراسم تمنطق حزام العفة السابق المشار إليه هنا ، قبل الخروج من المنزل ...

– تجري مباهج الفرح وفقا للإمكانات المادية المتاحة لكلا الطرفين ، وحسب الإتفاق المبرم مسبقاً فيما بينهما .. أو ربما يتوافقا مع البرنامج الذي يُقدمه صالون ، أو قصر ، أو دار الأفراح ..

– في اللحظات الأولى لبدأ برنامج الحفل ، يقوم آقارب ، وضيوف الطرفين بتقديم الهدايا الذهبية ، أو النفيسة التي لم يتمكنوا من تقديمها عقب عقد القران ، ثم ينطلق البروجرام حسب البرنامج المحدد .

– في العواصم ، بل وصلت إلي القري ، تسجيل الحفل علي شرائط الفيديو . وبرامج الموسيقي الغربية ، جنباً إلي جنب مع الآلات ، والألعاب ، والاغاني الشعبية .

وطغت في المدن بعض من العادات الغربية ؛ كمراقصه العريس لعروسه ، وكثيراً ما ينضم الشباب من الحضور إلي هذه الرقصات ويتخلل الحفل بعض من الرقص الشرقي، وفواصل من الغناء ، والطرب واللهو ، وقد وصل الأمر في بعض المجتمعات أن أخلّت هذه المستجدات بقدسية قيم الزواج . وليتنا نعود إلي التمسك بالمراسم والقيم العريقة، ونعود إلي آصالة المناسبة ونرفض كل مامن شأنه أفساد هذه الآصالة تحت دعوي الحداثة والتطور ... ألم تحافظ الكنيسة علي قدسية النكاح والزواج علي الرغم من عالم التكنولوجيا ، والعصرية ، والحداثة التي تعم المجتمعات الغربية ...

– إن الأمر أصبح كما لو لم يتبق من قدسيته وروحانيته أي شيىء ، وانقلب الامر إلي نوع من التهريج والترفيه ، بل والتفاهة التي لا تتناسب مع المناسبة ، وما يترتب عليها من قيم أسُرية .. ولم يعد يخلف لنا سوي الإرهاق المادي ، والجسدي والمعنوي .

– المجتمعات الزراعية تعرف نوعاً من التعاون أو التكافل الإجتماعي ، في الزواج .. وهو ما يسمي بالنقوط ؛ أي يقدم الأهل ، والآقارب ، والمعارف ، والأصدقاء والجيران مبلغاً للعريس ، ويقدمه الشباب الذكور علي أن يرد في مثل هذه المناسبة ، وتقدم الشابات للعروس في ليلة الحنة ، وترد هذه المبالغ من قبل المستفيد بها ، سواء العائلة الكبيرة ، أو الأسرة الصغيرة ..

–كما سبقت الإشارة ، فقد سبق ذلك عقد القران سواء المدني أو الشرعي .. كانت العادات ، والأصول القديمة تقضي بأن يكون للعريس ناصح في أمور ليلة الدخلة .. وكذا للفتاة ، كعمتها ، أو خالتها . كان الطرفان يحرصان علي تقديم النصح المناسب قبل "ليلة الدخلة "أو "ليلة الزفاف "حيث تزف العروس إلي عريسها ، أو يدخل العريس بعروسه . كما يطلق علي الغرفة التي سيقضي فيها العروسان هذه الليلة إسم"غرفة الدخلة " أو "أوضة الزفاف " . تدخل العروس أولاً إلي هذه الغرفة ، ثم يعقبها العريس ..

– في المراكز ، والقصبات ، والحضر ، والقري تسير الزفة بالعريس حتي باب غرفة الدخلة ، ثم تدخله وسط نوع من المرح ، والفرح ، والبهجة . كانت ، ومازالت في كثير من المجتمعات ، تقتضي الآصالة أن يصلي العريس ركعتي الشكر لله سبحانه

وتعالي ، ويتوجه إلي الله بالدعاء أن يُبارك له في زوجته .. ثم يتقدم من العروس ، ويرفع طرحة العرس .

* بعض المجتمعات ، كان الأمر يقتضي أن يقدم العريس إلي عروسه هدية من الذهب ، أو الأحجار الكريمة ، ككردان ، أو عقد أو سلسه ، المهم شيء يعلق في الرقبة حتي يرى الوجه ومن هنا تعرف هذه الهدية في التراث الشعبي بـ" هدية رؤية الوجه " .

* تحرص أم الفتاة علي إعداد " حلة الإتفاق " للعروسين في ليلة الدخلة وهى فى الغالب من الأطعمة التى تحبها الفتاة ، والفتى وغالبًا ما تكون من الطيور كالديك الرومى ، أو البط والحمام وأحيانًا ما تقوم خالة الفتاة أن تحل محل الأم فى إعداد حلة الأتفاق هذه .. وفى جنوب الجزيرة العربية شيء مشابه ، بحيث يقدم العريس هدايا للعروس ، وأمها ، وآخواتها ، وأخوتها ، وتتغير قيمة هذه الهدايا وفقاً لحالة العريس ، ومكان العروس وأهلها .. وكانت تُقدم قبل ليلة الدخلة ، تحت مسمي هدايا " فك الدكة " .

* تحرص المجتمعات الشرقية المسلمة ، حرصاً كاملاً على بكارة الفتاة قبل الزواج .. والتأكد بصفة قاطعة على عدم ممارستها لأي علاقات جنسية قبل الزواج .. فالبكارة أمر مهم في القيم الشرقية .. فالبكارة مرادف للعفة ، والطهارة وكلها أمور ، وقيم لايمكن التفريط فيها ..

* * *

إن شهر العسل يرتكز في المقام الأول علي الوضع الإقتصادي ، فبعد أن يتمم الطرفان مستلزمات البيت الجديد ، ومصاريف الفرح ، والزفاف ، وما شابهه ذلك ، فإن كانت الظروف تسمح ، فيمكن أن يخصص مبلغاً من المال لقضاء شهر العسل .. أو لقضاء فترة ما ، خارج نطاق بيت الزوجية تحت هذا المسمي .. ولكن يجب الا ننسي ، أن شرط السعادة الزوجية الجديدة ، لايعتمد أعتماداً كبيراً علي الأدوات الكهربائية ، أو الكماليات ، أو الحفل الكبير ، بل يمثل شهر العسل . لو توفرت له الظروف – ركناً ركيناً في هذه الظروف ، خاصة فيما بين الأجيال الجديدة

– لو تم فعلي الرحب والسعة ، ولكن قيمنا ، وآصالتنا لا تقبل قضاء شهر العسل بالإستدانة – . فالقطاع الأعظم من مجتمعاتنا لم تعتاده ، ولم يتحول بعد إلي قيمة ثابتة ، بل هو من مستحدثات الإحتكاك . بالمجتمعات والثقافات الوافدة .. بل كانت العادة أن يظل العروسان في منزلهما لا يبرحانه لمدة أسبوع ، ولايسمح لأحد بزيارتهما إلا بعد أسبوع ، وتُقدم بهذه المناسبة هدايا السبوع ، وتكون في معظمها تتعلق بمستلزمات المعيشة اليومية للبيت الجديد ..

– ترصد لنا المصادر ، أن بعض المجتمعات كانت تحرص علي "الصباحية" ، أي أن أهل العريس ، والعروس يحرصون علي زيارتهما في صباح اليوم التالي لليلة الدخلة .. كل طرف يحرص علي الإطمئنان علي الجانب الذي يخصه ؛ علي بكارة الفتاة ورؤية آثار دماء العذرية .. وعلي أن الفتي قد أثبت رجولته .

الأسرة الجديدة ، وزيارات الشكر

– بعد أن تنقضي أجازة الزواج ، ومدة شهر العسل ، وبعدأن يكون العروسان قد أستقرا فى عشهما ، وأعتادا حياتهما الجديدة .. تبقي عليهما بعض المسئوليات الإجتماعية كزيارة كبار العائلتين لتقبيل أياديهم ، والتبرك بالدعاء ، ثم تتوالي زيارات المجاملة ، ورد الزيارات ، وتقديم الشكر علي الجهد والمساهمة في إتمام العرس ، وبناء العش الجديد ..

– علي الزوجين الحديثين ان يقوما بالزيارات الواجبة إلي الأهل ، والآقارب الذين قدموا يد المساعدة ، أو دعموا هذه الزيجة ، وكذلك للأصدقاء الذين آزروهما ، أو عاونوهما مادياً ، ومعنوياً ، وعليهما أن يسطروا خطابات الشكر للذين هم بعيدين عن المدينة التي يعيشون فيها .. وحالياً .. ومع ثورة الإتصالات يتم الإتصالات الهاتفية.

– أحياناً يُبادر بعض الآقارب بدعوة العروسين علي العشاء ، أو الغذاء .. وينتظر الآقارب الآخرون إلي ان تحين لهم الفرصة .

– لقد أصبح للعروسين ، أُميَّن ، ووالدين .. وعليهما ان يرضيا الطرفين ، دون ان يكسرا خاطر ، أو يغضبا اي منهم .. لذلك يحرص كل منهما علي الا يُغضب الطرف الآخر ، وترتيب الزيارات بشكل متوازن .

– تحرص قيمنا الأُسرية الأصلية علي توطيد العلاقات الأُسرية مع الأُسرتين ، فمثلا يكون الإفطار الأول في رمضان عند أهل العروس ، بينما الأعياد تكون في منزل أهل العريس .. ويحرص العريس علي تقديم الهدايا لأم العروس ، وتحرص هي بدورها علي تقديم الهدايا لأم العريس في المناسبات التي تتطلب ذلك .. وعلي الزوجة أن تكون في المناسبات الدينية حيث يكون زوجها .. كما يحرص أهل العروس علي زيارة . بيت إبنتهم في المناسبات الدينية كالمواسم ، والأعياد ، والمولد النبوي الخ ..

– لم يغب عن عاداتنا ، وآعرافنا ، وقيمنا ان الزوجين الجديدين لن تكون حياتهما دائماً ناعمة ، هانئة .. وطُرقهما مفروشه بالورود بل هناك منغصات ، ومناوشات ، ومناقشات ، ومنازعات ، وتدخلات من الحموات .. وحتي تتوائم الطباع، ويتناغم الإيقاع ، وتتولد العشرة .. تدعو قيمنا ؛ الطرفين إلي الصبر ، ومحاولة التفاهم ، والتفهم لظروف ، وثقافات ، وعادات ، وطباع الطرف الآخر .. وأن ينظر كل طرف إلي آقارب الطرف الثاني بالمعقولية ، وأن يضع في إعتباره أن الطرف الثاني يعرف أهله وعاشرهم قبل أن يعرفها ويعاشرها بمدة تتراوح ما بين ٢٠–٢٥ سنة ومن حقهم عليه أن يحسن عشرتهم .. وأن يرعي كل طرف ، وخاصة الزوج الله في والديه .. ويجب أن تعينه الزوجة علي ذلك ..

– ما تُصر عليه قيمنا ؛ أن تلزم الزوجة بيت زوجها .. ولا تبرحة بدون إذنه ، وأن تحفظه في عرضه ، وماله ، وعياله .. إن غاب عنها وتوصي الطرفين بألا ينقلا خلافاتهما .. أو أسرارهما إلي خارج نطاق جدران بيتهما .. وسقف دارهما ..

الميلاد-الولادة

إن الميلاد هو بداية الحياة ، والطفل الذي يولد هو الذي يؤمن أستمرار النسل .. ولهذا السبب تحرص كل عائلة أن يكون لها طفل يؤمن هذا الإستمرار .. وأن التطور الطبي قد أمَّن أكثر من طفل لكل أسرة .. ورغم هذا التطور ، فقد عجز الطب أيضاً أن يُحقق هذا الأمل لبعض الأُسر .. وتراثنا الإسلامي .. ولغتنا الجميلة ، عندما أحتوت علي مصطلح التبني ، ومرادفه في اللغات الإسلامية الأخري .. مما لا شك فيه كانت تهدف تعويض هذا النقص ، وتلبية هذا التمني .. من ناحية أخري ، فإن كل المجتمعات ، علي إختلاف قيمها ، وإمكاناتها حرصت علي أن توفر الدعم الصحي ، والطبي لأفراد المجتمع ، لتأمين هذا التكاثر ، وإشباع هذه الرغبة ، وتحقيق هذا الأمل .. كانت القيم الأُسرية في الماضي ، تقوم علي أعتقاد أن الولد الذكر هو وحده الذي يؤمن إستمرار نسل ، وعصب الأُسرة ، ولكن مع تطور التعليم ، وإرتفاع المستوي الثقافي بدأنا نري تواري هذا الفكر رويداً رويداً.. والتراث الإسلامي قضي تماماً علي وأد البنات ، وساوي بين الولد والبنت في التربية ، والعطف ، والرعاية ، والعناية .. ولم يفرق إلا في مسئلة القوامة ، والميراث وأرجع ذلك إلي أسانيد شرعية ، وعقلية مقنعة .. وحتي في القانون المدني المطبق في تركيا ساوي بين الولد والبنت في إختيار لقب العائلة الذي يجب أن يستخدمه .. مهما كانت المعتقدات ، والقيم ، والعادات التي تسود في المجتمع .. فمما لاشك فيه ، وما تتساوي فيه كل المجتمعات علي إختلاف مستوياتها التعليمية ، والثقافية والمادية ، هو الفرحة الجارفة التي تشمل الأسرة مع ميلاد الطفل ، سواء أكان ذكراً أم أنثي .. فميلاد الطفل يخلق بسمة علي الشفاة ، وبهجة علي الوجوة ، وراحة في النفوس ...

– وقبل الولادة تمر الزوجة بما يلى :

* * *

إن بشـائر الحـمل ، التي تتـمـثل في دوار الرأس = "الدوخـة " والقـيء ، والوَحَمْ ، وزيادة إدرار البول ، وإنقطاع الحيض .. "الدورة الشهرية" لدي المرأة لما يخلق نوعاً من السعادة لدي الأسرة عامة ، والأم بصفة خاصة .. وما أن تظهر هذه البشائر حتي يهرع الزوجان لإجراء التحاليل ، والكشوفات الطبية التي تؤكد هذه البشارة ، وأخذ نتائج قاطعة في هذا الصدد . ما أن يتأكد هذا النبأ السعيد ، حتي يسارع الزوجان بإبلاغـه إلي الكبـار ، إلي العـائلتين .. هذا الإعـلام يمكن أن يتم إمـا بالزيارة ، أو بالهاتف، أو بالرسائل .. إن أخبار أول حمل له أهمية قصوي لدي جميع الأطراف .. ففيه إسعاد للكل ، الزوج والزوجة ، الأمهات والآباء .. لقد ثبت لكل طرف جدارته بموقعه في الأسرة ، أبوة الزوج ، أمومة الزوجة .. وأن يكون للأطراف الأخري حفيد .. "أعز الولد ولد الولد .." وما أن ينتشر الخبـر ، حتي يبادر الآقارب بتقـديم التهـاني للزوجين ، وإلي الجدات والأجداد .. وتحرص الأمهات ="الحموات "علي تقديم الهدايا مقـرونة بالتهـانى . هدايا للأم الصغـيرة ؛ تنحـصر بين الهـدايا الذهـبية ، أو فسـاتين الحمل، أو أطقم للطفل المنتظر .. وفي المجتمعات الفلاحية ، تُشعر الزوجة الحديثة بحـملهـا عن طريق وضع غطاء رأس مـشغـول ، مـزركش ، أو مـشغـول بالتـرتر .. = الإيشارب أو المنديل أبو أويه ، فهذا معناه أن مَنْ ترتديه حامل .

لا تكلف الحامل بأي أعمال ثقيلة .. ولا يسمح بالتعب ، أو الإرهاق ، أو حمل أثقال .. تبدأ مرحلة الإهتمام بالتغذية ، وتلبية كل مطالبـهـا التي تتعلق بالمأكل والمشـرب .. والإ ظهـرت علي جـسدها "الوَحـمَه" وتختـلف المسـميـات باخـتـلاف المناطق، ولكنها تتفق حول"أن المرأة الحامل تلبي طالباتها المتعلقة بالطعام والشراب " . تُنهي عن التدخين ، والكحوليات ، والمخدرات ، والمسكرات ، والمسكنات التي تدخل المواد المخـدرة في تكوينـهـا .. يُبـذل أقـصي جـهـد لعـدم إغـضـابهـا ، وبكاءها ، وعصبيتهـا .. يُراعي عدم تعرضها للبرد ، ونزلاته .. تُبذل المساعي لتجنب تناول الأدوية ، والتـعـرض للأشعـات ، والإشعـاع ، والتلوث .. تُنصح ، بل تُمنع من قص شعرها ، في الحـضر ، والمدن يُراعي ترددها علي الطبيب من حين لآخر لمتابعة الحالة

الصحية .. وبعد أن ثبت زيادة نسبة التشوة ، والإعاقة بين الأزواج الآقارب .. وتحت وطئة هذا الخوف زاد الحرص علي المتابعة الطبية الدورية ، كما زاد الحرص علي الكشوفات الطبية قبل الزواج نفسه في الأزمنة الأخيرة

إن الكبار في العائلة هم الآحرص علي مساعدة ، ومعاونة الحوامل ، فلا يتهاونون مع عدم المتابعة الطبية ، أو التخفف أو التخفيف من الأعباء المنزلية .. توصي الحامل بكثرة الخروج للتريض ، والتنزة وتُتاح لها الظروف لكثرة الإستحمام ، والإغتسال ، ومراعاة النظافة عما سبق .. كما لا يتأخر"بابا المستقبل " عن تقديم كافة الدعم ، والمساندة ، والمساعدة لمن سوف تمنحه الفرصة لكي يكون أباً .

تتغير الملابس ، وتتسع مع تقدم الحمل ، وحجم البطن ، بل والجسم بصفة عامة .. يُراعى فيها الإتساع والراحة .. ولقد أصبحت هناك أقسام خاصة بالحوامل في محلات الملابس الجاهزة .. كما أنها تتحاشي لبس الأحذية ذات الكعب المرتفع ..

مع ظهور الحمل ، يزداد الشغف بنوع الطفل المنتظر ... دقات القلب .. حركة الجنين .. الخ كلها بوادر التعرف علي ولي العهد المنتظر .. تراثنا يسجل الكثير عن طرق تخمين نوع الطفل المنتظر .. وإن تمكنت الموجات فوق الصوتية في الطب الحديث تحديد نوع الطفل فيما بين ٢٠-٢٤ اسبوعاً من بداية الحمل ... يحمل لنا التراث الماضى شغفاً لمعرفة نوع الطفل ، والتمني أن يكون ذكراً .. ومازال هذا الحلم يراود الأزواج في بعض المجتمعات الأقل تحضرًا ، وتعلمًا ، وثقافة .. وإذا ظهر هذا الميل في المجتمعات المتحضرة ، والمنافية لروح ديننا الحنيف في بعض الآحيان .. فالدافع إلي ذلك هو الإستعداد الواجب توفرة للقادم الجديد .. فالزوجان يودان المعرفة.. للإستعداد بالملابس .. والعقيقة ..

إن العائلات تكثف الإستعداد عقب معرفة النوع ؛ مكان النوم ، نوع اللبس .. المهد .. المرتبة . المخدة ، اللحاف .. المفارش والملاءات . الاغطية .. تُشتري .. أم تُعد في البيت ؟ فبعض الأمهات تحب أن تشتغل بيديها بعض الأطقم .. والجدة .. تود أن تفرح بشغل الإبرة .. جميع الأسواق في مجتمعاتنا الشرقية تعرف الكثير من لوازم الطفل .. بل هناك محلات مخصصة لهذه اللوازم فقط .. في بعض المناطق في تركيا قماش يسمونه "قيرق بارچه" "أربعون قطعة "لصنع لحاف الطفل فقط .. هذا .

ناهيك عن الجوارب والأربطة ، والأحذية ، والأغطية .. والكافولات .. والبابرونات ، والبازّازات والمناشف ، وطست الإستحمام .. والصابون ، .. والبودرة .. وماشابه ذلك .. وما تغير مسمياتها ، وتتحد آهدافها وكلها تدور حول الإستعداد للضيف القادم ، وبذل أقصي الجهد لراحته ، وإسعادة ، وأستنشاق اقصي ما يتاح من نسَيم السعادة التي يبثها مع كل صرخة ، أو بسمة ، أو خطوة .. إن كبار العائلة يساعدون، ويعاونون في هذه الإستعدادات والتجهيزات بما يقدمونه من هدايا عينية ، أو مادية تحت مسميات عدة .. ومما تتفق عليه المجتمعات الشرقية الإسلامية – دون سابق إتفاق – أن اللون الأبيض، والأزرق يفضل في ملبوسات الطفل الذكر ، أما البنت فتفضل لها الألوان الحمراء بدرجاتها المختلفة ..

* * *

علي السيدة التي ترغب في الولادة في المستشفي ، أو في مراكز التوليد ، وأقسام الولادة أن تضع مستلزمات الطفل مع حاجياتها في شنطة مناسبة منذ أن تشعر بقرب الوضع ، وعلامات الولادة .. فإن وضع المولود في المستشفيات ، أو مراكز التوليد ؛ هي بكل المقاييس أصح ، وأضمن لصحة الأم ، والإبن معاً .. والتطور يستدعي مراعاة ذلك .

المدة الطبيعية للحمل الطبيعي تسعة أشهر ، وعشرة أيام تقوم الداية = "المولدة" بإجراء عملية التوليد في البيوت ، والمنازل ، أما في المستشفيات ، والمؤسسات الطبيه فيقوم الأطباء بهذه المهمة .. بعد مولد الطفل مباشرة لابد من قطع الحبل السُرِّي ، ويُربط ولو كان هناك إتفاق علي الإسم الذي سيتسمى به المولود ، فيوضع هذا الإسم علي الحبل السُرِّي . ينظف المولود ، ويُغسل ويُلف جيداً .. أما الأم فيتم تنظيفها جيداً هي الأخري ، وتَلبس ملابس نظيفة ، وتُرقد في الفراش . تُرسل البشارة إلي الوالد القلق ... إن اقصي ما يتمناة أي أب في مثل هذه اللحظات أن يتلقي أخباراً تُطمئنه علي صحة الأم ، والطفل .. وإذا ما أخبره حامل البشارة ، وطمئنه عليهما ، فعليه أن يتمني ، ولا يملك الأب إلا أن يكافئه بما هو متاح ؛ نقوداً ، ملابس .. هدية عينية .. ثم يسرع بإبلاغ كل مَنْ يهمهم الأمر ، بالولادة ، تليفونيا ، برقياً ، كتابياً .. والبعض يعلن ذلك في الجرائد ، والصحف .. حتي يُعلم الأهل ، والآقارب ، والأصدقاء ، والمحبين .. وما أن يتلقي الجميع هذه الأخبار حتي يشاركوا الأبوين الفرحة ، ويحمدون الله علي سلامة الأمُ ، ويقدمون التهاني ، والتمنيات الخيرة للمولود .

- جرت العادة علي أن والد المولود الجديد يقدم هدية ، مهما كانت قيمتها - حتي ولو كان شيئاً رمزياً إلي أول مَنْ تُلقي بالطفل إلي أحضانه ؛ سواء أكانت الأم ، أو الداية ، أو الممرضة ، فلو تلقي الطفل من زوجته ، فيقلدها سواراً ذهبيًا ، أو عقداً .. فعلي الأب أن يُهدي الأم ، التي انجبت له ، هدية قيمة .. وربما يكون قد فكر في ذلك من قبل ، وأعد نفسه لهذا اليوم .. وأكثر الهدايا تداولاً في مثل هذه

المناسبة ؛ الأساور ، السلاسل الذهبية ، الأقراط ، الخواتم المرصعة .. أو أطقم الملابس الجميلة ويمكن أن يُرجيء ذلك إلي يوم السبوع .. ففي هذا اليوم ؛ يقدم الزوج والحماة ، والوالدين والآقارب ، والأصدقاء ، والرفاق هدية النفاس .. ونصيب الأم والمولود محفوظ في هذه الهدايا..

تنال الأُم في الغالب ، أُسورة ، أو قطعة ذهبية ، أو ماشاء الله ، أو حتي دفتر توفير بنكي .. وربما يكون ذلك من نصيب المولود مع أطقم ملابس للطفل ، أو عربة طفل ، أو لعب ، وربما خراف ، ونعاج أو أبقار في المناطق الزراعية ، أو الفلاحية ، والرعوية .

– القيم الإسلامية ، وتراثنا الإسلامي ، والسنه الغراء تحض علي :

أ– ان يؤذن في أُذن المولود اليمنى ، وتقام الصلاة في أُذنه اليسرى ..

قال رسول الله « ﷺ » **﴿ مَنْ وُلِدَ له مَوْلُودٌ فأذن في أُذنه اليمنى ، وأقامَ في أذنه اليُسْرىَ لَمْ تَضُرُّهُ أمُّ الصبْيَان ﴾** .

ب– أن يحلق شعر رأسه ، ويتم التصدق بوزنه من الفضة علي الفقراء والمساكين .

ج– تذبح العقيقة ، ويدعي إليها الفقراء ، الوجهاء . وللبنت عقيقة ، وللولد عقيقتان .. ولا حرج في أن يوسع صاحب السعة ، والثراء :

قال رسول الله « ﷺ » **﴿ كُلُّ غُلاَم رَهين بِعَقِيقَته تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سابعه ويُحَلَقُ ويُسَمَّى ﴾** .

* * *

تقضي الزوجة حديثة الولادة مدة أربعين يومًا فيما يسمي بالنفاس . وتُعتبر هذه المدة إجازة كاملة الجوانب للزوجة الموظفة ، أو العاملة . ويتم الإستعداد لفترة النفاس هذه حتي فيما قبل الولادة ، وترقد النافِسْ وهي بكامل زينتها في فراش النفَاس . حيث مازالت مرهقة .. مجهدة ضعيفة المناعة ضد الميكروبات ، والأمراض .. لابد من البقاء في الفراش ما بين إسبوع إلي عشرة أيام ، ولابد من بذل أقصي الجهد ، والنظافة ، والعناية ، والرعاية بها خلال فترة النفَاس ، ويعاونها الكبار ، والجيران ، والآقارب في أعمال البيت ، ورعاية الرضيع حتي تُسرع بالنقاهة ، وتعود إليها عافيتها .. ويراعي عدم خروجها من المنزل ، وعدم تعرضها لأي ملوثات طوال مدة النفاس هذه ، والتي تبلغ أربعين يوماً . وفي هذا حفاظ عليها ، وعلي رضيعها .. وإلا فأنها تكون معرضة لحمي النفاس ، ولها مسميات عديدة بين الشعب ، ومَنْ تقع في براثن هذه الحمي ، فلا مجال للحديث عن نجاتها ..

وكما يكون هناك إحتفال بالرضيع في اليوم السابع ، ويحتفل به وسط فرح وبهجة من كل الأهل ، والآقارب وأطفال الجيران ، ويوزع علي الحاضرين الحلوي ، واللعب علي الأطفال بهذه المناسبة في بعض المجتمعات تتم المراسم والعادات خلال هذه المدة ، فلها طعام خاص ، وشراب خاصُ – "الموغات " في الإسبوع الأول ، وخلال حفل السبوع يوضع الرضيع داخل غربال ، ويلف الأطفال والنساء حوله وهم يرددون بعض الأغاني ، والآهازيج .. كما تدق بعض النسوة في الهون ، وهم يرددون الضحكات ، وسط مطالب معينة من الرضيع ؛ فأهل الزوجة يطالبونه بسماع كلام الأم ، بينما أهل الزوج يطالبونه بسماع كلام الأب ..

– بعد أنقضاء الأربعين يوماً ، تغتسل الأم ، والطفل وسط مراسم معينة – تُسمي هذه الفترة بمسميات مختلفة في المجتمعات ، والتجمعات الإسلامية المختلفة . وتُختتم مدة الولادة بعد أنقضاء مدة النفاسة .. وإن كان الإغتسال ، والتطهر لا يرتبط بنهاية المدة ، بل يمكن أن يتم الأغتسال والتطهر للأم ، وحَمُوم الطفل خلال هذه المدة ..

التراث الإسلامي يحرص علي حُسن إختيار الإسم للمولود الجديد ، وغالبًا ما يكون قد تم الإختيار ، أو شبه الإتفاق علي إسم للذكر ، وإسم للأنثي قبيل الوضع . وتتم التسمية في غضون بضع أيام من الوضع .. فالتسمية من أهم العناصر التي تتبع الوضع .. حيث أن المولود سوف يحمل هذا الإسم طوال حياته ومن هذا المنطلق حرصت القيم الإسلامية علي حُسن الإختيار ، فالرسول ﷺ يقول ﴿ **إنكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ بأسمَائِكُمْ وأسْماء آبائِكُمْ فأحْسِنُوا أسماءَكُمْ** ﴾ .

وقد ساعد التطور العلمي ، وظهور الأشعة فوق الصوتية علي تحديد نوع الجنين ، وهذا بدوره ، قد سهل عملية إختيار الإسم ، وحتي هؤلاء الذين لا يلجئون لهذه الوسائط فإنهم قبل الوضع قد أعدّا إسمين ؛ للذكر ، والأنثي . ويوضع فى الإعتبار وجهة نظر الكبار عند الإختيار .. والذين لم يختاروا من قبل ، أحياناً يختارون الإسم وفقاً للمناسبات التي يمكن أن تتصادف مع الوضع ، كالعيد ، أو عرفات ، وقادر ، أو رمضان ، أو شعبان ، أو رجب .. أو وفقاً للمواسم ؛ ربيع ، شتا .. أو من البيئة المحيطة ، وردة ، زهرة ، قمر ، شمس النهار .. بحر ، أو وفقاً لآحداث تقع ساعة الميلاد ؛ رحاب ، صيام ، جمعه ، مطر ، أو وفقاً لاسماء يحبها اهل المولود ؛ سواء من الأسماء الدينية ؛ خير الأسماء ماعبِّد ، وحُمدٌ ؛ عبد الله .. محمد ، أحمد ، محمود ، مصطفي .. أو الصحابة ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، خالد ، خديجة، أو من أسماء آل بيت رسول الله ؛ عائشة ، فاطمة ، أم كلثوم ، الحسن ، الحسين ، أو وفقاً لإسم الأب ، أو الأم ، أو الجدود .. أو أسماء عزيزة يتمني الطرفان إستمرارها ؛ من العائلة ، أو من القادة أو السادة ، أو نجوم الفن ، والمجتمع ، ..

ومهما أختلفت الأسباب ، يتم التفاهم بين الطرفين في الإختيار ، وإن الحق المطلق هو من حق الأب .. فهي مسئوليته التي سيسال عنها .. والإسم الذي تم إختياره ، يُطلق علي المولود من قِبل الجد ، أو الجدة ، أو الإمام .. سواء ساعة الوضع ، أو بعده.. والذي سيطلق الإسم ؛ يحمل الطفل إلي احضانه وهو في قِماطه يجعل وجهه ناحية القبلة ، ويؤذن في أذنه اليمنى ، ويقيم الصلاة ، ثم يذكر الإسم في أذنه

اليمني ثلاث مرات ، ويدعو له بالخير ، وأن يباركه المولي . الي جانب هذه الأصول ، فهناك أيضاً ، في بعض المجتمعات المسلمة ، عند قص الحبل السُّري ، وهو ما يُعتبر وريد الحياة ، وتطلق بعض العائلات أسماً من وحي لحظة الميلاد ، وفي الغالب ما يكون من الأسماء المذكورة في الكتب المقدسة .. ومن أسماء الله الحسني ، وصفاته القدسية ، أو النبي ، أو الآنبياء الآخرين ، كعبد الله .. ، محمد ، أحمد ، إدريس رسول ، إبراهيم ، اسماعيل ، زكريا ، يحي ، حسين ، حسن ، الصادق ، فاطمة ، مريم ، زينب ..

* بدأت تزحف بعض العادات الوافدة ، علي بعض المجتمعات الشرقية المسلمة في وضع الإسم ، وإختياره . مثل إيقاد مجموعة من الشموع ، وكل شمعة تحمل إسماً ، وآخر شمعة تنطفيء ، يُطلق الإسم التي تحمله علي المولود الجديد .. أو يقع الإختيار عليه .

أو تنزع ورقات زهرة ، أو وردة ، ومع كل ورقة يذكر اسماً ويطلق علي المولود الإسم الذي يتصادف ذكره مع أخر ورقه ..

قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ﴿ إنْ أَحَبُ أَسْمَائكُمْ إلى اللّهِ عزّ وَجَلّ عَبْدَ اللّهِ ، وعبد الرَّحْمَنِ ﴾ .

كما قال « ﷺ » ﴿ تَسَمَّوُا بأسْماء الأنبِياء ، وأحَبُّ الأسْماء إلى اللّه تعالى عَبْدُ اللّهِ وعَبْدُ الرحْمَن ، وأصْدَقُها : حارِث وهَمَّام ، وأقْبَحُها : حَرْبُ ومُرَّةُ ﴾ .

* * *

لا يتردد الآقارب ، والمعارف ، والأصدقاء ، والأهل ، والزملاء والجيران عن زيارة الوالدة في فترة النفاس .. وتُعتبر هذه الزيارة للتهنئة بالمولود ، والوضع بالسلامة ، ورؤية الرضيع .. فالوضع أو الميلاد من الآحداث التي يهتم بها الأهل ، والآقارب ، والأصدقاء، والجيران ، ورفاق العمل ، وحتي أهل الحي ، لا يتوانون عن تقديم التهنيئة بهذه المناسبة ، ويحرصون علي التعبير عن أمانيهم الطيبة ..

ساعة الزيارة تكون النافس ، في فراشها ، ومفروش عليها مفرش مشغول ، أو مطرز .. أو تكون هي مرتدية فستان مطرز ، أو مشغول .. والرضيع في مهده بالقرب منها ، في الأيام الثلاثة الأول يزورها كبار العائلة ، واقرب الآقرباء .. تستمر الزيارات طوال أيام النفاس الأربعين .. ولا يحضر الزوّار وآياديهم خاوية بل كل منهم أحضر هديته إما للأم ، أو للمولود .. وغالبا ماتكون الهدية مصحوبة بباقة من الورود ، أو صندوق من الحلوي ، في المدن يحرص صاحب الهدية أن تكون فى لفافة أنيقة ، ومحاطة برباط أحمر .. إذا كانت ماكولات ، فيحرص الكبار علي أن تكون من المواد الغذائية المدرّة للبن الأم ، إذا كانت ملابس للأم ، فيراعي فيها أن تُناسب وضع الجسم بعد الوضع ، وما يمكن أن يكون عليه .. إذا كانت الهدية للمولود ؛ فتكون عبارة عن أطقم الملابس ، أو قطع ذهبية ، أو لعب أطفال .. أو دفتر توفير ، أو حصّالة نقود .. ويَحرص الزائر علي شرب "المغات " أو "شربات النفاس " في معظم المجتمعات العربية ؛ يُقدم"المغات" : وهو عبارة عن مشروب يُشرَب ساخناً وأهم عناصره الحلبة المطحونة .. في تركيا ، يٌقدم شربات أحمر اللون ، وفي العادة ما يُصنع من سكر يٌطلق عليه إسم "سكر النفاس " .. ومهما اختلفت الكلمات أو أشكال التعبير ، فكلها تدور حول مفاهيم ، وجوب تهنئة النافس وفي كل اللغات الإسلامية، تدور حول المعاني التالية ..

– باسم الله ، ماشاء الله ..
– حمدا لله على السلامة ..
– ألف مبروك ..
– كَچمش اولسون ..
– كَوزكز آيدين ..

- ليبارك الله فيه .. - خير لي ، اوغورلي اولسون
- فليتربى فى حضن أبويه .. - أنه لي ، بابالي بويوسك
- آطال الله فى عمره .. - اوزون عمرلي اولسون
- ليكثر الله فى رزقه .. - الله نصيبني بول ايتسين
- ربنا يخلّيه لوالديه .. - الله ، آنه سينه ، باباسينه باغيشلاسين
- بارك الله فيه لوالديه ، وأمته ، و و طنه .. ودينه ..
- وطنه ، ميللتنه ، دينِنه خير لي اولسون .
- أثبت الله قدميه على طريق محمد .. - محمدي آخلاقي اولسون
- وهبها الله أخلاق فاطمة .. - فاطمه آخلاقي اولسون

* * *

لا يحتاج المولود في الإثني عشرة ساعة الأولي إلي تغذية ، بعدها يتغذي علي لبن الأم. وعلي الأم ان تنظف صدرها ، وثديها جيداً قبل أن تُلقم رضيعها حلمة ثديها . . ولبن الأم مهم جداً بالنسبة لتغذية الرضيع وتنميته ، وتربيته . .

لابد من مراعاة الا تقل درجة حرارة الغرفة ، أو المكان الذي يتم فيه حمَّام الرضيع عن عشرين درجة . تسقط السُّرة في غضون من ثلاث إلي سبعة أيام . . وعلي الأمهات ان تكون سعيدة ، مرحة وهي تُرضع وليدها . . وأن تهدهده وهي ترضعه . . وأن تداعبه وتلاطفه وهو يقضي حاجته . . وتترنم له بالأغاني ، أو الأهازيج ، أو الكلمات اللطيفة . . في اليوم السابع . . يقام في البيت له السبوع يُقرأ فيه القرآن، أو تنشد الآناشيد الدينية . . وتذبح الذبائح والأضحيات ، وتوزع علي الفقراء والمساكين لسلامة الوضع . . .

عقب تسمية الرضيع ، يتجه الأب الي السجل المدني ويقيد المولود ، ذكراً كان ، أو أنثي . . ويتسلم شهادة بالميلاد ، مقيدفيها مكان ، وتاريخ الميلاد ، وإسم المولود ، وإسم الأم ، و الأب . . في المناطق الزراعية يمكن أن يُشتري للمولود بعض الأغنام ، أو المواشي تنمى بإسمه ، لكي ينتفع بريعها في مستقبل أيامه . . في بعض مناطق تركيا تُغرس بعض الأشجار ، بإسم المولود الجديد ، ولما كان الذكر هو الذى يتحمل العبء الأكبر في مصاريف الزواج وتأسيس البيت الجديد . . لتغطية هذه المصروفات، تغرس بإسمه مجموعة من الأشجار ، وعند بلوغ سن الزواج ، تُقطع هذه الأشجار ، ويصرف بثمنها علي الزوج . . وفي الغالب ما يكون من أشجار الحور . . فهي معمرة ، وتنمو بسرعة ، أما إذا كان المولود بنتًا فيغرس لها أشجار التوت ، أو الجوز ، أو التفاح أو من تلك الأنواع التي تصلح لصنع جهاز الفتاة . . أو أن تزرع وتنمي البساتين من أجل الأولاد ؛ ذكوراً ، وأناثاً معاً . . .

* * *

التسنين

تظهر بواكير أسنان المولود قبيل الشهر السادس .. ظهور أسنان اللبن ، في هذه المرحلة ، تُعتبر علامة طيبة علي صحة الطفل ، وتطوره بالشكل الطبيعي .. ويخلق هذا نوعاً من الفرح والسعادة بين أفراد الأسرة الصغيرة ، والعائلة الكبيرة علي حد سواء .. وتُقام الولائم بهذه المناسبة في بعض المجتمعات ، وفي بعضها الآخر ، يُطبخ "البلغور أو تسوي البليلة " لهذا السبب . وماهذه إلا قمحاً يغلي في الماء ، وبعد أن يسوي لكي يسهل قضمه ، وأكله ، يقدم للحضور من الآقارب والجيران ، وسط جو من المرح ، والفرح ولا ينسي الحضور إحضار بعض الهدايا للطفل معهم ، وخاصة من تلك التي تُساعد علي سرعة نمو الأسنان – "عضاضه " أو من ثمار الفاكهة الجافة "الياميش " حتي يوضع في البليلة " قبل التقديم للحضور .. ويُصنع الفشار أيضاً ... وأحيانًا ، يوضع الوليد علي صينية ، أو مفرش من القماش، وتُنثر علي رأسه كمية = "حفنة " من البليلة أو من الفشار ..

نمو الطفل

علي الآباء ، والأمهات الذين يلاحظون شيئاً غير عادي ، في نمو الطفل ، كتأخير التسنين ، أو المشي ، أو النطق ، أو حركات لا إرادية ، الا يصغوا إلي التلقين ، أو التأويل المحلي من المحيطين بهم ، ويتجهون به إلي أقرب مركز طبي يهتم بطب الأطفال.. وعلي كل الآباء ، والأمهات أن يواظبوا علي التردد بأطفالهم علي أقرب المراكز الطبية التي تهتم بالأسرة ، والأمومة ، والأطفال .. وألا يهملوا في قيد أطفالهم بها .. والمواظبة علي التطعيم ، والتحصين ضد كل الأمراض التي يمكن أن يتعرض لها الطفل ..

* * *

تمثل عملية الختان في التراث الإسلامي مكاناً مهما للأطفال والصبية الصغار .. وتجري هذه العملية بمشارط قاطعة لقطع الجلد الزائد الذي يغلف عضو التذكير لدي الطفل.. ويُطلق عليها كذلك "طهارة" ويقوم بها في المدن الأطباء .. وفي القري ؛ حلاق الصحة أو بعض التمرجية ، أو الممرضين الرجال . وتمثل مرحلة غاية في الأهمية في حياة الأطفال الذكور..

– كانت هذه العملية تَجرى وسط مراسم ، وعادات واحتفالات تختلف من مجتمع إلي آخر ..

تُجري عملية الختان فيما بين عمر ٤ –٥ أو ١٤ – ١٥ بينما في اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، تتأخر في بعض المناطق إلي ما بعد سن البلوغ ، أو قبيل الزواج .. وأحياناً تتم عملية الختان بشكل جماعي ، لكل الأولاد الذكور في القرية أو الحي معاً.. والتراث الإسلامي يُسجل أن السلطان أو الملك ، أو الأمير ، أو الصدر الأعظم أو الوزير كان يأمر بإقامة حفل كبير بمناسبة إختتان ولي العهد ، أو الأمير ، ويخْتتن معه الأولاد الذكور في المدينة كلها .. وتُقام الأفراح والليالي الملاح ، وقد أستمرت سبعة ليالي أحياناً كما بلغ عدد المختتنين ما يزيد عن خمسمائة صبي . ولم يقل سن أصغرهم عن أربع سنوات . كما كان يتكفل أهل الخير ، أو الآقارب الأثرياء بختان الصبية الفقراء ، واليتامي والمساكين .

تفضل فصول الربيع ، والصيف والخريف للإختتان ، كما تفضل شهور مايو ، ويونيو ، وسبتمبر = أيلول مراعاة للظروف الدراسية للأطفال والصبية . وتكثر عمليات الختان في أيام الخميس ، والسبت ، والأحد .. مراعاةً للناحية الدينية ، وعطلة نهاية الأسبوع في بعض المجتمعات الإسلامية .

حفل الختان

– المختتن ملك الأسرة ، أما العريس فملك العروس ، من هذا المنطلق تكتسب حفلة الختان أهمية قصوي في بعض المجتمعات الإسلامية ، بحيث يخرج المبشرون ، والداعون– في المناطق الزراعية – قبل الموعد المحدد بأيام عديدة .. حيث يوزعون الدعوات التي سبق طباعتها بشكل فاخر في المدينة .. كما توجه الدعوة إلي الجيران

والمعارف جنباً إلي جنب مع الأهل والأقارب والأصدقاء .. ومن ناحية أخري يتم إعداد وتجهيز الصبي الذي سيختتن .. تخاط له في المدينة زي الإختتان ، أو يُشترى من المحلات التي تخصص قسماً لذلك فيها ..

– في الغالب الآعم ، ملابس الإختتان ؛ تكون عبارة عن جلباب = دشداشة = عنتارى أبيض ، وطاقية = غطاء رأس منقوش عليها "ما شاء الله " وحذاء أبيض جديد .. أو جاكت وبنطلون أبيض ، وحذاء أبيض ، وطاقية بيضاء مطرزة بكلمة "ما شاء الله " . يوضع فوق الملابس ، وشاح من اللون الأحمر ، أو الأزرق أو الأخضر .. ومما لا شك فيه أن هذا الوشاح مع الجاكيت ، والقميص الأبيض ، والحذاء والجورب الأبيض ، ورباط العنق مع الطاقية يخلق نوعاً من التكامل اللوني الظريف .. أما في المناطق الريفية ؛ فهذا الوشاح مع الجلباب والسروال الطويل ، والجورب والحذاء الأبيض مع الطاقية المطرزة بما شاء الله . يخلق نوعاً من البهجة والفرحة فى النفوس ..

وبصفة عامه – ومن أجل لحظة الإختتان – وسواء أكان الحفل في المدينة ، أو الحضر ، أو الريف ، فيخاط جلباب أبيض قصير – يصل حتي الركبة فقط – أو قميص أبيض طويل يصل حتي الركبة أيضاً . ومن المعتاد ان تُهدي ملابس الختان للصبي ، أو كسوة الختان من أم الأب = الجدة ، أو أم الأم ، أو الجد والد الأُم ؛ أو العمة ، أو الخالة .. أو الأخت الكبري .. أو الخال . تُزين غرفة المختتن قبيل حفل الختان .. كما ينقش أو يُزخرف سريره وفراشه .. توضع الأوراق المذهبة ، والمفضضة أو الأوراق الملونة ، والبلونات في كل أركان الغرفة .. وأحياناً ما يُعلق السجاد الفاخر علي الجدران أو تُفرش به أرضية الغرفة .. وفي اليوم السابق علي الإختتان ، أو في صباح نفس اليوم يطوف الآقارب بالصبى وهو علي صهوة جواد ، أو عربة حنطور أو سيارة ، أو جرار زراعي ، بكل الأحياء، أو القرية والقري القريبة وتكون هذه الزفة بالطبل ، والزمر ، والآلات الموسيقية الشعبية، والأطفال تتغنون بالأغاني ، والمواويل والآهازيج .. وبهذه الزفة يكون قد تم الإعلان عن الختان بشكل أوسع .. وسمعت به البيئة المحيطة ، والقري أو الأحياء المجاورة ...

لا ينسي الأهل زيارة أضرحة آولياء الله الصالحين الموجودين في المنطقة ، لقراءة الفاتحة ، والتأسى بأعمالهم ..

وخلال الإعداد لحفل الختان ؛ يتم أستحمام الغلام ، وحلاقة شعره .. تُجري عملية الختان في داخل المنزل ، أو الحديقة .. أو في كازينو أو حتي في قصر من قصور الأفراح .. وأينما جرت هذه العملية ، فيطلق عليها في تركيا (فرح الختان) وفي المجتمعات العربية ؛ حفل الختان – أو طهارة الغلام ، أو وليمة الختان .. وقبل إجراء العملية يتم الإتفاق مع المختص ، وإن كان إجراء الختان في المستشفيات والمراكز الطبية من قِبل الأطباء قد أخذ في الأنتشار في الأيام الأخيرة . بل أصبح هناك مَنْ يحرص علي إجراءها في نفس مركز التوليد قبل مغادرة الأم حين الوضع .. وذلك حرصاً علي سلامة الطفل ، وتهرباً من النفقات يستقبل الطفل الذي سيختتن ، وهو في ملابس الختان . أستقبالاً لطيفاً ، وبكلمات لينة ، ومطمئنة .. وخلال ذلك يخلع الطفل بنطلونة ، وسرواله ، ويرتدي قميص ، أو جلباب الختان .. مع الحفاظ علي الطاقية المزخرفة بعبارة « ما شاء الله » .

– يقوم واحد من أهل الطفل ، أو الآقارب ، أو الجيران أو مَنْ يكون له حق عند والد الطفل أو ممن يساعدوا الطبيب ، أو حلاق الصحة سابقاً ، بإمساك الطفل خلال إجراء العملية ، ويطلق عليه " كِرْوَه Kirve " .. بحيث يَجْلس الشخص هذا علي كرسي ، ويُجْلس الطفل في حضنه ، ممسكًا بفخذيه ، ومبعدهما عن بعضهما البعَض، وهو ممسك به جيداً ، خلال ذلك يكون الخاتن ، قد جلس أمام الطفل ، وأنحني نحوه آخذا في قص جلد الختان ..

يقوم الخاتن بمهمته هذه ، وهو يكبر ، وما أن ينتهي وسط بهجة الحضور حتي ينطلق الجميع مطمئنين الطفل بان كل شيء قد إنتهي ، مرددين "ما شاء الله .. والحمد لله .. إنتهت علي خير ما يرام " يُؤخذ الطفل إلي فراشة المزخرف ، ويُقدم والد الطفل أو جده للخاتن هدية إلي جانب المبلغ المتفق عليه ، أو المعتاد ، وكذلك تُقدم هدية للممسك بالطفل ، وتكون في المناطق الرعوية أو الزراعية ، كبشاً ، أو جدياً ، وأحياناً عجلاً .. أما في المدن فتكون الهدية أقمشة أو ملابس ...

يقدم الحضور ، وفي مقدمتهم الخاتن ، والممسك التهاني إلى والد الطفل الراقد في فراشه بعد الأختتان ، وإلي أمه وسائر الآقارب ، متمنيين له طول العمر ، ويقدم المدعوون هداياهم إلي الصغير .. ومن أشهر الهدايا التي تقدم في مثل هذه المناسبة ؛

القطع الذهبية ، ساعة ، قلم حبر قيم ، دفتر توفير ، كتاب ، دراجة ، أو ألعاب مختلفة ، أو طقم ملابس جديد .. والكثيرين الآن يفضلون وضع مبلغاً من المال في ظرف ، ويضعونه تحت وسادة الطفل ك "نقوط " الختان ..

يحرص بعض الأغنياء علي إجراء عملية الختان لطفل أو أكثر من الفقراء والمساكين، أو اليتامي مع إبنه ، وتقدم الهدايا للإثنين معاً..

حسب الوضع المادي للعائلة ؛ ترتب حفل الختان .. فتقام عروض القركُوز أمام الطفل لتسليته ، لكي ينسه آلامه .. أو يُقدم له عرضاً من عروض خيال الظل ، أو ألعاب السحرة والحواة ، أو عروض كوميديا مضحكة يشترك فيها أشهر كوميديان في المنطقة .. ربما يقدم حفل موسيقي صغير بمشاركة بعض المطربين ، والمطربات ، بل والراقصات أحياناً .

تشهد المناطق البدوية ، والرعوية ، والزراعية العروض الشعبية كالتحطيب ، ورقصة الخيل .. أو العرضة .. أو لعبة السيف وغيرها من الألعاب الشعبية والتي تشتهر بها فرق الفنون الشعبية في المنطقة ...

خلال ذلك تُعد الوليمة للضيوف ، أو يُكتفى بتقديم الحلويات ، والجاتوهات ، أو البقلاوة ، أو الأرز باللبن ، أو الزردة ، أو المشروبات المثلجة ؛ عصائر الفواكه .. ومع الصحوة الإسلامية في كثير من المجتمعات ؛ بدأت تعود الإحتفالات الدينية ؛ في كثير من المجتمعات ؛ حيث يتلي القرآن الكريم ، والإنشاد الديني ، ثم يعقب ذلك تقديم طعام الوليمة ..

إن الطعام الذي يُقدم في حفل الختان ، لا يختلف كثيراً عن طعام حفل الزواج = الفرح .. وإن تراثنا يدعو إلي عدم الإسراف في مثل هذه الظروف ، ويحض علي تقديم الصدقات للفقراء ، والمساكين ، واليتامي ورعايتهم ، وإرضاءهم بهذه المناسبة . ومما ورد في كتاب "مرآة جزيرة العرب " في الفصل الخامس عن الختان ما يلي :

.. إعتاد البدو علي ختان أولادهم الذكور بعد سبعة أيام ، وأحياناً بعد أربعين يوماً من الولادة . وبعضهم يترك هذه العملية إلي ما بعد ذلك ، أما أعراب قبيلة (هذيل) التي تسكن بالقرب من مكة المكرمة ، فقد أعتادوا علي عدم ختان أولادهم قبل

موعد الزواج . أي أنهم كانوا يقرون إتمام الختان ، قبل موعد القران مباشرة .

ص٢٩٥، ٢٩٦ .

وكان حفل ختان الشاب يتم فى جمع غفير ، يضم أصدقاء الفتى وأحبابه . كما كانت تدعى القرى المجاورة لهذه الحفلات . وكان كل مدعو يقدم إلى المختتن أو عائلته من الأغنام والإبل والأبقار حسب قدرته . وكانت من العادات المرعية أن تصل هذه الهدايا قبل موعد الختان والعرس بعدة أيام .

وكان المدعوون يتوجهون إلى مكان العرس فى جماعات تضم كل منها خمسين أو ستين شاباً ، لأن التوجه إلى العرس فرادى من الأشياء المذمومة لدى العرب .

وكان المدعوون يطلقون نيران بنادقهم إلى أن يقتربوا من قرية العريس . وعندما يقتربون ينطلقون فرحين ينشدون بصوت واحد أشعاراً كلها مديح لأوصاف العريس . وبينما البعض يقرض الشعر ، كان البعض الآخر يرقص ويلعب بالبنادق والمزارق أمام الجموع المتجهة نحو مكان العرس .

وما أن يسمع أصحاب الحفل وأقرباء العريس هذه الأصوات ، حتى يخرجون لإستقبال المدعوين وسط قصائد المدح وطلقات البنادق والطبنجات ويصحبوهم حتى الأماكن المخصصة لهم .

وعند وصول المدعوين إلى الأماكن التى خصصت لهم من قبل ، يقدم صاحب العرس لكل عشرة منهم خروفًا ومقداراً كافيًا من الارز ووعاء كبيراً ، ويرجوهم أن يظلوا فى عالمهم الخاص بهم حيث يقيمون .

ومواقع إقامة الضيوف لا تكون وسط المنازل والخيام بل تكون خارج القرية فى الوديان أو فى أحضان الجبال .

ويقوم الضيوف بإعداد الطعام الذى بعث به صاحب العرس ، حيث يذبحون الخراف بأنفسهم ويسوونها ويطبخون الأرز بمرقها .

وبعد ذلك يجتمع المدعوون فى مكان العرس ، ويخصص مكان لكل قرية أو خيمة، يشعلون أمامها ناراً كبيرة . وعلى الرغم من أن المدعوين جميعًا واقفون ، إلا

أنهم يقسمون أنفسهم إلى مجموعات . تقف كل مجموعتين حول نار من النيران، وتقوم كل مجموعة بذم المجموعة الاخرى أو مدحها ، ويستمرون هكذا حتى الصباح.

وفى اليوم التالى يتجمع كل المدعوين وهم يلعبون ببنادقهم لعبة (الأردة)[1] تتقدمهم مجموعة من رجال أهل المختتن ، وتأتى خلفهم النساء حتى يصلون إلى الميدان المخصص للختان . وبعدها ينزوى الشاب الذى سيتم له الختان مع شخصين من أقارب الفتاة ومن سيقوم بعملية الختان نفسها . وينفرد الفتى وقد أمسك فى يديه جنبيتين ، والمختن أمامه ، ويقوم وهو واقف بقرض الشعر الذى يفتخر فيه بشجاعته ويعدد نسبه أباً عن أب . ويكون المختن فى هذه الأثناء مشغولاً بواجبه . وما هى إلا دقيقتين حتى تكون المهمة قد انتهت ، وإن كانت تتم بسلخ العضو كله ، ثم يصل الفتى إلية الكرسى المعد لجلوسه .

وتذكر بعض الروايات ، أن الفتى يقوم بعملية الختان لنفسه ، وتتم العملية أمام الفتاة نفسها. ويعد ذلك من جملة الآداب والأعراف المعترف بها بين الأعراب . ومن أكبر العيوب أن يحدث أثناء إجراء هذه العملية أى نوع من البكاء أو الصراخ أو العويل أو ما شابه ذلك من قبل الفتى .

وإذا ما حدث أى شئ من ذلك فإن هذا الفتى يسقط حقه فى الزواج من هذه الفتاة، ويتصف بالجبن وعدم التحمل . وتنحط سمعته بين قبيلته والقبائل الاخرى التى لا توافق بدورها على إعطائه أى بنت من بناتها . وبناء عليه يكون مضطراً إلى الزواج من إمرأة ثيب .

وأمام هذا الموقف ، فإن الفتى يتحمل الألم ويصبر عليه قدر الطاقة ، مهما كان قاسيًا . وعليه أن يترنم بالأشعار التى قيلت فى المدح والفخر ، وأن يظهر الصبر والثبات ، وعدم التأوه حتى تنتهى العملية .

كل ذلك كان يتم وسط تصفيق وهتافات الإستحسان والتشجيع من ذويه ، والتقدير والإعجاب من فتاته . وكان الفرح يبدأ عقب إلتئام هذا الجرح .

---

(١) الأردة : هى لعبة الحرب التى تشبه رقصة الحرب عند العرب .

وكثيراً ما يلتئم الجرح فى أربعة أشهر ، وإن كانت نسبة الوفيات المترتبة على هذه العملية تصل فى كثير من الأحيان إلى أربعين فى المائة . ولما كانت هذه الطريقة من علامات الشجاعة والبطولة ، فإن عدد الوفيات مهما إرتفع لا يثنى القوم عما تعودوه . حتى وإن كانوا على يقين كامل بوفاة كل من يختتن بهذه الطريقة .

وقبيلة هذيل من القبائل المتمسكة بهذه الطريقة ولذلك فهم لا يقدمون على ختان أولادهم قبل أن يصل الغلام إلى الخامسة عشرة أو العشرين من عمره ، حتى يكون قادراً على تحمل الألم والصبر والثبات عليه . وكثيراً ما تجرى حفلات الختان فى أيام الأعياد .

وما أن ينتهى المختن من مهمته حتى يتقدم الفتى بضع خطوات إلى الأمام وهو يصيح قائلا : (أنا فلان بن فلان الشجاع البطل ... إلخ) .

ولإثبات صبره وتحمله وبطولته كان يثب ما يقرب من مائة خطوة بعد الانتهاء من العملية ، وعلى الفور يقوم الرجال الحاضرون بإطلاق النيران والنساء بدق الطبول والدفوف والتغنى بالمواويل ، ويزفون الغلام فى كل أرجاء القرية . وفى النهاية يحضرونه إلى منزله ومرقده . وبعد، يقوم صاحب الفرح بتوزيع الأطعمة المعدة على المدعوين جميعاً .

والطعام المعد لمثل هذه المناسبة عبارة عن دقيق مطبوخ صب على سطحه زيت الزيتون .

وكانو ينثرون على مرقد الفتى حفنات الزبيب ، إيذاناً بانتهاء الحفل .

* * *

مكانة الطفل في العائلة

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

البنون هم أقيم شيء في العائلة ، ويجب أن يحتل الإبن أهم ، وأقيم ، وأوضح مكان فيها .. وهذا ، لا يتأتي بالمال فقط ، بل هي عملية تعليمية في المقام الأول ، تراثنا ، وقيمنا الإسلامية تَعتبر الطفل آمانة مقدسة لدي العائلة .. هم أكبادنا تمشي علي الأرض ، العائلة ، الأمة كلها تَعتبر الأولاد "خير خلف ، لخير سلف " . ومن هذا المنطلق وجب حسن التعليم ، والتربية . وإتسع نطاق مفهوم التعليم ليشمل الجنين وهو في رحم أمه .. وعقب خروجه للحياة مباشرة .. وإهتم التراث بإسداء النصح للأم ، ومازال الجنين في بطنها " .. فالعرق دساس ، ومَنْ شبَّ علي شيء شاب عليه ، ويموت المرأ إلا مَنْ ثلاث ... ولد صالح يدعو له ..

إنطلاقاً من هذه المفاهيم ، فالأسرة هي المهد الأول الذي يتلقي منه الطفل مباديء تعلم الصدق ، والخير ، والتعود علي الصدق ، وعدم الكذب ، والتعود علي العادات الجميلة ، إكتسابها .. فلهذه التنشئة الحسنة ، يجب أن تكون الأسرة هي المهد التطبيقي الأول ، وأن تبذل قصاري الجهد لتحقق ذلك .. وكل أفراد العائلة ؛ هم القدوة ، هم النبع ، هم المغذيّ الذي يتشرب منه الطفل مناهله .. فكل حركة يأتي بها أي فرد من أفراد العائلة هي نموذج يُقلد ، ويحتذي من قبل الطفل ، وتُخزن في لا شعوره ، حتي تنطلق في الوقت المناسب .. مثل هذه الأمور يجب الا تغيب عن وعي الجميع .. وأن يدركوا مدي التأثير الذي ستتيركة تصرفاتهم .. والتراث حافل بالحكايات التي تدعم هذا الطرح . كما أن نظم التعليم الحديث لم تُغفله .

تصرفات الأبوين ، مرصودة ، مرئية ، ومنقوشه في الذاكرة ، هذه أصبحت ، بل كانت .. حقائق يجب علي الأبوين مراعاتها .. وأن يتحكموا في تصرفاتهم أمام أطفالهم .. مِنْ هذا المنطلق أيضاً أصبح الإهتمام بمدارس الحضانة ، ومناهجها ، وما يدور فيها ، ينال إهتماماً كبيراً ، حتي لا تترك الأسرة وحدها ، وحيدة في هذا المضمار فالقيم السلوكية التي يكتسبها الطفل في هذه المرحلة هي التى ستحدد في

المستقبل حياته ، علاقاته مع والديه ، وأخوته ومَنْ يكبرونه من الآقارب والرفاق ، والجيران . يجب أن تكون الحضانة ، والأسرة مساعدة لهم .

إن الطفل يتعلم من والديه حب الناس ، ومشاعر الأخوة الإنسانية ، وإحترام الكبار، والعطف علي الصغار ، ومحبتهم ، والرفق بالحيوان ، وحماية المال ، والإلتزام، وإدراك أن الإسراف فيه ضرر بالأهل والوطن ، والأمة .. إنه يتعلم هذه المشاعر كتطبيق من والدته وأبيه ، ويجب أن يتعلمها ، وتغرس فيه من هذه السن المبكرة وعلي الزوجين قبل أن يتخذا أي قرار فيه تأثير علي الأطفال كتغير المسكن ، أو الحي ، أو القرية والمدينة ، أو طبيعة العمل ، أو المدرسة أن يفكرا في هذاالقرار ، ويحسبا توابعه ، وتداعياته قبل إتخاذه وتطبيقه .. .

* * *

تعليم الطفل

إن تربية الطفل ، وتعليمه ، يجب أن يكونا هما العنصر التالي مباشرة ، والذي يتلو التغذية الجسدية ، وتنمية البدن في حسابات الأسرة ، ومجالات إهتمامها .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن هذا التعليم ، وهذه التربية قد بدأتا منذ نعومة أظفار الطفل ، بدأتا في البيت والشارع ، والحي ، وأن هذه البداية سوف تستمر وتُنمي في المدرسة ، وأن هذه الأماكن تكمل بعضها .. فالعائلة "البيت "والحي ، والمدرسة يجب أن تتعاون في تشكيل نفس القيم في نفس الطفل .. وأن تجعلاه عنصراً سوياً ، سليماً ، ومعافاً لوطنه ، وللأمة التي ينتسب اليها .. فالقيم والتربية ، والتعليم الذي يتلقاه في البيت ، يجب أن يكون متوازياً مع ما يكتسبه من البيئة ، والمدرسة .. وما لم يتحقق ذلك ، ويُغذي بإستمرار ، فإن ذلك يمكن أن يخلق خللاً يصعب ترميمه وإصلاحه فيما بعد .. لابد من الموائمة بين قيم البيت ، وتطبيقات البيئة المحيطة ..

تعليم الصبية في المجتمعات القديمة

لم تشهد العصور السابقة ، في تعليم الصبية وتربيتهم ما تشهده الأيام الراهنة من تعدد الروافد .. فنحن نري اليوم إلي جانب البيت ، هناك التعليم المدرسي ، والتعليم الديني ، والتلقين البيئي .. كانت المباديء ، والقيم التعليمية تُنقل من جيل الي جيل عبر الوالدين ، ومَنْ يعيشون في محيطهم من الكبار ، ومن رجال الدين في محيط حياتهم اليومية .

كان الصبية والشباب بهذه الوسائط التعليمية يكتسبون المعارف ، والمهارات ، والوجدانيات السائدة في مجتمعاتهم .. فإن الأجيال التي تنمو ، وتترعرع متعلمة القيم السائدة بين الأمة عامة ، والمنطقة ، والبيت خاصة ، تنقل تلك القيم التي تعلمتها إلي الأجيال التي تأتي بعدها بواسطة التوارث ، والتراث ، والعادات ، والتقاليد ، وهم يؤمنون بذلك الوحدة الثقافية بين عناصر الأمة .

إن المجتمعات الرعوية سواء في الجزيرة العربية ، أو في أواسط آسيا ، كانت لها

نُظمها التعليمية الخاصة بها ، والتي تتلائم مع حياة التنقل والترحال التي تعيشها .. " علّموا أبناءكم الرماية ، والسباحة وركوب الخيل .. " من هذا المنطلق حرصت الأسرة الرعوية علي تعليم الأبناء منذ الصغر إستخدام السيف ، والرمح ، والرماية ، وركوب الخيل ، والهجن .. والصيد بكل أنواعه .. وكانت كل فئة عمرية تفي بمسئولياتها .. كان الطفل إذا ما بدت عليه علامات الشجاعة ، والبطولة ، ينال ما يستحقه من شهرة ، حقوق قد توصله إلي الزواج المبكر .

هذه القبائل الرعوية ، تغيرت حياتها بعد أن عرفت الإسلام ، والتوطن والإستقرار، وتغيرت في حياتها أيضاً أنماط التعليم ، والتربية ، والتنشئة . في هذه المرحلة ، بدأ الأطفال يعرفون الكتاتيب ، والمدارس = الكليات ، والتكايا ، والزوايا ومكاتب الصبيان ، وكتّاب الأحياء ؛ وتشكيلات السرايات والقصور . كل هذه الموسسات التعليمية ، كانت تغذي الأبناء بأنماط ، ومستويات مختلفة من ا لتعليم ..

كانت جميع الأسر المقتدرة ، والمتطلعة ، تسعي أن يتلقي الأبناء تعليماً يؤهلهم لتحقيق ما تحلم به الأسرة .. ولما كانت دول الشرق كلها دولاً إسلامية ، فقد حرصت علي التعليم الديني ، وبنت مؤسساتها الدينية ، وفقا لهذه الإحتياجات .. وكانت الريادة في المؤسسات التعليمية آنذاك للعلوم الدينية ... ومع بدايات القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين الميلاديين ، الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، بدأت تزحف علي المجتمعات الشرقية نظم التعليم الدنيوى ، والمستقي من الغرب المسيحي .. ورويداً .. رويداً بَدأت الثنائية التعليمية تُعبر عن نفسها .. وما زالت هذه الثنائية تسود في كل المجتمعات الإسلامية تقريباً .. التعليم الديني يُلبي إحتياجات الجوانب الدينية ، والروحية ، والمعنوية ، أما التعليم المُستَغْرب فيبث المادية ، والتفسخ الأسري بدعوى العصرنه ، أو تحت مسمى الحداثة ..

تعليم الصبيّة بصفة عامة

إن هدف تعليم الصبية ، والشباب ؛ أن يكون صاحب معارف ، ومهارات تمكنه من إدارة أموره الحياتية ، بشكل مستقل ، معتمداً علي نفسه ، ومكتسباً الشخصية السوية ، والسليمة ، المتوائمة مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وكعنصر من عناصره . إذا

ما وضعنا أمام أعيننا حياة الإنسان فهي تنقل ، وإنتقال من مرحلة الي أخري ؛ فمن الرضاعة إلي الطفولة ، ومن الطفولة إلي الشباب ، ومن الشباب إلي النضج .. وهدف الأسر ، والعائلات ، والمجتمعات أن تُنمى ، وتُربي ، وتنشيء أبنائها بشكل صحيح ، وسليم لكي يتمكنوا من التوائُم مع شتي جوانب الحياة .. أو بتعبير آخر ، إكسابهم الشخصية الناضجة .. والمهارات ، والخبرات التي تمكنهم من خدمة أمتهم وأوطانهم.

لقد أُجيب في علم الأجتماع علي مفهوم الشخصية علي النحو التالي ؛ إن كل مجتمع يخلق لنفسة نمطاً واضحاً ، ومميزاً . بالشكل الذي إرتضاة لنفسه بتصرفاته الشخصية والتي راها متوائمة مع أحكام الخير ، والشر ، والصدق ، والكذب ، وعاداته وتقاليده ، ومؤسساته ، وأحكامه القيمية ، والتي يقدمها للمطالب الثقافية الخاصة بواسطة التربية ، والتلقيد ، والتلقين .. إن الشخصية التي تظهر مُشبعة ، ومطعمة بكل القيم التراثية ، هي الشخصية الشائعة ، والسائدة في المجتمع ..كما أن أفراد المجتمع الذين يأتون بتصرفات تختلف عن القيم التراثية التي تسود في المجتمع ، توصف علي أنها شخصيات غير مناسبة ، أو غير سوية .. فالآعراف ، والتراث تدعو إلي (جاريهم مادمت في جوارهم .. وداريهم ما دمت في دارهم) ومن هذا المنطلق ، فإن الإنسان الذي يحمل الشخصية التي قبلها المجتمع بعيداً عن الوراثة البيولوچية ، يكون قد أستمد كل صفاته من المجتمع ، ويكون قد أكتسب شخصيته هذه بتأثير المؤثرات الثقافية التي تتخلل في كيانه ، وتنساب في وجدانه كإنسياب الهواء في رئتيه منذ لحظة ميلاده .. إن الإنسان أمام الثقافة لايكون متلقياً أو مستهلكاً فقط، بل هو بحكم قدراته ، يستطيع أن ينتقل إلي موقع الإرسال ، والإنتاج ، وأن تكون له إسهاماته ، وإضافاته إلي ميدان الثقافة ، والفنون الجميلة ، والتكنولوجيا ، والإقتصاد، وغيرها من المجالات والميادين المتعددة .. ويساهم في إحداث التنوع ، والوفرة الموجودة في المجتمع ..

إن المجتمعات الإسلامية ، شأنها شان كل التجمعات الإجتماعية تعيش تغيّرات إجتماعية متسارعة .. وكسائر العالم المعاصر ، فإن التغير المرتبط بعصر الصناعة ، والتكنولوجية المتطورة قد أحدث تخبطاً ، وتأزماً ثقافيًا ، وإجتماعياً في حياة الأفراد ،

والمجتمع .. فهذه المجتمعات الإسلامية في مصر ، وتركيا والجزيرة العربية وإيران وأواسط آسيا ، وفي شمال أفريقيا ووسطها ، بل وفي أسيا كلها – وهي تترك عنعناتها وآعرافها المتوارثة القديمة ، لم تتمكن بعد من إحلال الجديد المتأصل مكانها ، وحتي الجديد الذي أقرته ، أو ذلك الذي تريد أن تقرة ، لما كانت حتي الآن لم تُؤمن له التوائم الكافي مع عاداتها ، وقيمها ، ومعتقداتها ، فهي تعيش حالة من التخبط .. تعيش حالة من الدهشة .. ولا تعرف ماذا تفعل .. مما يجعلها جميعاً تعيش مرحلة الحيرة .. مرحلة الثنائية المحيرة ..

إن التغير السريع الذي أحدثته الثقافة المادية ، والتكنولوجية في حياة المجتمعات اليومية ، قد أحدث بدورة تغييرات ثقافية ، وإجتماعية بشكل موازي . إن الإنسان – في كل العصور – في حاجة ماسة إلي خلق علاقات وطيدة مع البيئة التي يعيش فيها، وتأسيس روابط ، وإتصالات مع المجتمع الذي يحياه ، وأن يفرض وجوده علي الذين يحيطون به ، وحاجته إلي مشاركتهم إياه في المشاعر ، والأنشطة لا تقل عن حاجتهم إليه .. فالإحتياج متبادل .. والرغبة متشاركة ولهذا السبب ، وَجب الإكثار من هذه المشاركة ، وتزكيتها بين جميع أفراد المجتمع ، وما يخلق التوائم ، والتناغم في هذه المشاركة هو التعليم .. إن إرتفاع نسبة الأمهات اللا ئي خرجن للعمل خارج منازلهن، قد ترك بصماته الواضحة علي تعليم ، وتعلم الطفل منذ المهد فإن هذا الدور برمته من المهد ، والحضانة وحتي الجامعة مروراً بالمراحل الأولية ، والمتوسطة ، والثانوية قد تُرك بالكامل تقريباً للمؤسسات التعليمية .. لقد حد هذا الخروج من الدور التربوي ، والتعليمي للإمهات وأصبح التعليم داخل الأسرة محدوداً ..

* * *

بالرغم من كل ماسبقت الإشارة إليه ، فعلي الأسرة أن تُعلم طفلها حب بيته وعائلته ... وأن تقنعه أنه لن يجد راحته وأمانه إلا في بيته ، وسعادته في العائلة .. يجب أن يشتاق الطفل إلي بيته وذويه بإبعادة في زيارات قصيرة متقطعة ، يجب أن يحب الطفل أمه ، وأن يثق بها .. وأن يلمس أن أُمه ، والآخرين يحبونه لذاته ، وكما أنه يتحدث عن الإيجابيات التي قام بها يجب أن يتعلم كيف يجد في نفسه الشجاعة لكي يعترف بالأخطاء التي إرتكبها .. يجب أن تتحقق الوعود التي تُعطي للطفل ، أو تُبرر له الأسباب التي أدت إلي عدم الوفاء بها .. يجب أن يُكلف . ويحمل ببعض المسئوليات التي يُسأل عنها .. وبها يُشْعَر بمدي حاجة العائلة إليه وإحتياجها لخدماته دون إفراط في ذلك ..

يجب ألاَّ يغيب عن ذهن العائلة أن النصح المباشر لا يجدي ، وأن الأفضل توصيل الحقائق التي يُراد توصيلها إليه عن طريق الحوار ، والمصاحبة مع الأم ، والأب ..

إن محادثة الطفل ، ومصاحبته بشكل مباشر تكسبه الشخصية السوية ، ويمكن بهذا الشكل مشاركته في مناقشة ميزانية الأسرة ، ووضعها المالي .. فإن كانت ميسرة .. فلابد أن يتم إقناعة بأن الإعتدال في الصرف من مصلحة الوطن ، والأمة ، وأن الإسراف فيه مضرة للذات والمجتمع .. وإن كانت الأسرة فقيرة ، فيجب الا يري في هذا عيباً .. وأن هناك مَنْ هم أفقر منه .. وأنهم لا يخجلون من ذلك .. وأن العمل الجماعي .. وبالتصرفات الملتزمة يمكن تغيير الوضع المادي إلي الأفضل .. وأن يكون كل ذلك داخل إطار من الحب .. والبشاشة .. والصدق .. وفقاً لعاداتنا ، وتقاليدنا في المجتمعات الشرقية ، فإن الأب هو رئيس العائلة . ولكن يجب ألاَّ يتبادر إلي الذهن أن معني ذلك هو التسلط علي الأسرة .. وعلي الطفل هو ، وأفراد العائلة ، أن يشعروا بمكانة الأب وسط العائلة من تصرفاته ، وحنانه ، وإحتواءة لكل أفرادها .. ويجب أن يتعلم الطفل أن طاعة الأب ، وحبه ، وإحترامه لا تتولد بالخوف ، بل من العطف ، والحب ، والحنان، والإحتواء ..

يجب أن يكون صديقاً ، ورفيقاً لاطفاله ، وأن يوصل إليهم بعض الحقائق عن

طريق اللعب معهم ، أو تلعيبهم .. وبهذا الشكل يتشكل وجدانه تجاه الأب ، وتزداد ثقته به ، وأن يشعر بالأبوة بالعطف ، والشفقة ، والحماية التي يَشمله بها والده .. علي الأب، بدوزه ، إذا لزم الأمر أن يتحدث إلي طفله كإنسان ناضج ، وأن يسمع منه، ويصغى إليه ، ويهتم بوجهة نظره ..

يجب ألا يسعي أحد في الأسرة إلي تحطيم شخصية الطفل بالتصرفات المسيئة ، أو الكلمات القاسية – بل يجب إشعاره ، وإكسابه المشاعر التي تغذي فيه كونه شخصية لها كيانها في الأسرة كما يجب الا تُعالج أخطاء الطفل ، وشقاواته ، ودلعه بالضرب ، أو السب ، أو معايرته برفاقه الآخرين ، أو مقارنته بإخوته فإن ذلك يولد في داخله مشاعر سلبية ، بل أن يكون علاج النقص باللين ، والتفاهم ، وإذا لزم الأمر ، بالشدة الملتزمة بحدود الأبوة ، ومراعاة البعد النفسى للطفل ، والبعد تماماً عن الإسراف في الشدة والقسوة ..

يجب علي الأم ، والأب أن يبتعدا تماماً عن إستخدام السباب أو الكلام السوقي أو العامى الدوني أمام الأطفال .

كما يجب عليهما الا يناقشا اي مشاكل قد تنشيء فيما بينهما بصوت عالٍ ، فيه حدة ، وخروج عن المألوف أمام الأطفال ، كما يجب الا يدخلا في شجار ، أو نزاع مع كبار العائلة أمامهم .. والا يغيب عنهم ، أن ما يراه الطفل بعينيه ، ينطبع في ذاكرته، وربما يتصرف بنفس الشكل مع والديه بعد أن يشب عن الطوق..

علي الأم ، وخاصة الأب كذلك ، أن يبتعد كل البعدعن التصرفات التي من شأنها أن تهز مكانتيهما في أعين الأبناء ، والا يقوما بما لا يحبا أن يعتادة الأطفال كالخمر ، والقمار ، بل يجب الا يتلفظا بما يوحى بهذه العادات السيئة امامهم.. بل إن تكليف الطفل بشراء الممنوعات ، أو المحرمات ، أو حتي المكروهات ، وخداعه بالقول ، أو العمل ربما يدفعه إلي الإعتياد علي عادات يصعب تخلصه منها.. إن المزياع المرئي = التلفاز ، والفيديو ، والدِّش ، والإنترنت قد أصبحت أطياف ، بل ضيوف ثقلاء يقتحمون علي الأسرة غرف نومها ، ومن هنا ، علي الوالدين أن يراعيا ذلك ، وأن يمتنعا هما أيضاً عن مشاهدة البرامج ، والأفلام التي لها أبعاد تخل بالبناء الأسري

والروحي للأبناء وأن يلزما أنفسهما بذلك .. فحماية الأبناء من هذه الهجمات الشرسة ، والغزو الفكري ، والثقافي يجب أن تعلو فوق كل أهواء أو نزعات .. وعبارات مثل .. أنا .. أو نحن نشاهد هذا .. ونم أنت .. فما زلت طفلاً فمثل هذه الأقوال تزيد من تحريك فضول الإبن ، وتدفعه إلي الثورة والعصيان .. وبنفس القدر من الأهمية ، والعناية يجب حماية الأبناء من الصحافة الماجنة ، والكتب الخليعة ، وألا يسمح بإدخالها إلي المنزل لما يمكن أن تسببه من خلل نفسي لدي الأبناء ..

ماضينا التليد، وتراثنا الأصيل .. والبعيد عن الزيف الدخيل يُسطرلنا أن الأبناء كانوا يشبون علي حب العم ، والعمة والخال ، والخالة ، وخاصة الجدة .. والجد .. يشبون فوق بساط من الحب والعطف ، والتراحم .. أما الظروف الأقتصادية الراهنة ، فرضت إنتشار وسيادة نموذج "الأسرة النواة" أي الأسرة الصغيرة . فهي عبارة عن الأب ، والأم ، والإبن ، والإبنه فقط .. تحديد النسل .. تنظيم الأسرة .. الأسرة المُثلي.. الأسرة النموذج .. كلها مسميات بدأت تطفو علي السطح .. وتطلب لتحقيق ذلك، بُعد الطفل عَمنْ يحب .. رغم هذا .. يجب ان تُبذل الجهود لعدم إتساع الفجوة وأن تُبذل الهمم لكي تظل العلاقة بين الطفل ، وجده ، وجدته لكلا الأبوين حيَّة ونشطة في الذاكرة .. فهذه الأمور ، في غاية الأهمية من ناحية الصحة النفسية ، والروحية للطفل .. خاصة لو كان الطفل يعيش معهم ، أو بالقرب منهم ، يجب أن يعرفهم ، ويتعامل معهم كاصدقاء يستحقون الحب ، والإحترام ، ويعتبرهم من الشخصيات التي يجب أن تصغي الأسرة لنصائحهم ، وتُسمع كلماتهم .. يجب ألاَّ يتأت إلي ذهن الأبناء ، أن الجدات ، والجدود شيء زائد ، بل يجب أن يستشعروا أهميتهم، ووجودهم الفعال في كيان الأسرة الكبيرة .. لقد إتفق التربويون علي أن تعليم الطفل "الوحيد " في الأسرة ، أمر صعب من وجهة النظر التعليمية ..

وعلي الأسرة التي لها أكثر من طفل ألا تقوم بأي تصرفات ينتج عنها أي نوع من التمايز ، أو التفرقة بين الأخوة .. إلاَّ فيما يدعم التعاطف فيما بينهم ؛ كمرض احدهم ، أو غيابه .. أو صغر سنه بشكل واضح .

يجب مراعاة المساواة في التصرفات اليومية بين الأخوة ، مثلما يتم المساواة في الهدايا ، والتعليم ، وحتي الميراث وكل ما يتعلق بالأخوة ، لابد من مراعاة المساواة ،

والتساوي فيما بينهم .. كما يجب مراعاة المساواة فيما بينهم في أمر ميزانية الأسرة ، يجب ألا تُساعد الأسرة في أي أمر يساعد علي التنافر ، أو الغيرة فيما بين الأخوة .. وإذا ما بدت بوادر الغيرة بين الأخ ، وأخيه الذي تلاه ، فيجب السعي لتحويل الغيرة إلي حب ، وعطف ..

يجب أن ينال الإبن المجد في الدراسة أو الحاصل علي جوائز ما يستحقه من التكريم، والمكافئة – ولكن بشرط ألأ يمثل ذلك نظرة متعالية عن الإبن الآخر ، أو التقليل من قدراته بسبب إخفاقه الدراسي ، بل يجب البحث بعناية عن أسباب هذا الإخفاق ، ومحاولة تلافيها ..

يجب أن يتعلم الصغار ، إلي جانب حب إخوتهم الكبار ، يجب أن يتعلموا كيفية إحترامهم .. وعلي الكبار حب إخوتهم الصغار ، ورعايتهم ، ومراقبة سير تطورهم ، وأن يفهم الكبار أن هذا ضمن مسئولياتهم ..

إن الهدف الأساسى هو إستمرار الأسرة ، وعدم إنفصال الزوجين ، ولكن علي الوالدين المنفصلين التصرف بدقة ، وحرص ، وعناية تجاة أبناءهما .. وعليهما ألأ يستخدما الأبناء ضد بعضهما . وألأ يحرض أحدهما أحد الأبناء ضد الطرف الآخر .. بل يجب التصرف حيال الأبناء وفقاً للاحكام التي تكون قد صدرت بشأن هذا الإنفصال .. وأن ينطلق كل طرف من أرضية فيها إحترام للطرف الآخر ، أمام الأبناء ، وأن يشعر الأبناء ، وأنهما رغم الإنفصال فيما بينهما ، إلا أن العلاقة ، بينهما قائمة علي الإحترام المتبادل .

* * *

التعليم المدرسي

إن المدرسة في حياة أطفال ، وشباب اليوم لا تمثل مؤسسة تلقي التعليم فقط ، بل هي أكثر من ذلك ، فهي المكان الذي تتشكل فيه شخصيته إلي حد كبير .. ولهذا السبب ، فإن تصرفات الصبية ، والشباب في التعليم ، بقدر أهميتها تمثل تصرفات المدرسين قدوة لهم .. فإلي جانب علم المدرس لابد من توافير قوة الشخصية .. وهي بدورها تُساعد علي إبراز القدوة ، التي تمثل نقطة إرتكاز خطيرة في العملية التعليمية ..

سن الدراسة :

إن مرحلة بدأ الدراسة ، وبلوغ سن دخول المدرسة تمثل نقطة إنطلاق مهمة في حياة الطفل ، فالطفل ، منذ اللحظة التي يبدأ فيها التوجه إلي المدرسة ، يكون قد بدأ فى التعرف علي محيط جديد عليه ، بعيد عن محيط الأسرة ، والبيت .. محيط غريب عليه ، ولكنه سيبدأ الإتصال به .. إن المدرسة الإبتدائية ، بالنسبة للطفل ، حتي وإن كان قد إكتسب خبرة تعليمية من الحضانه ، ستكون أول مؤسسة تعليمة تمنح الطفل قدراً من التعليم ، بعيداً عن اللعب ، فالطفل في هذه المرحلة خارج نطاق اللعب - سيتعلم نظام تلقي التعليم المنظم ، وسيضطر منذ هذه السنوات المبكرة إلي الدراسة المنظمة ، بعيداً عن اللعب ، والنوم ، و الكسل... كانت مجتمعاتنا الإسلامية تبذل جهوداً ، وأنشطة محمودة لإعلام المحيط الذى يعيش فيه الطفل ببداية المرحلة التعليمية .. تقام الليالي الدينية ، والولائم للفقراء ، والمساكين بهذه المناسبة.. أو يُدعي أحد المنشدين الدينين لإحياء هذه الليلة .. وإذا كانت العائلة علي صلة بإحدى الطرق الصوفية ، فقد كانت تُقيم ليلة للذكر والماحية = "الْمحَيْيَة" . وتحرص بعض العائلات بزيارة أضرحة بعض علماء الدين ، أو الصحابة ، وآل البيت ، ومعهم الطفل ، وكأنهم يتوسلون ، أو يتأسون بهم .. أو يتمنون لهم هذا النهج الصالح . ففي إيران تُزار أضرحه الأئمة .. وتحرص العائلات علي زيارة مدينة مشهد ، وفي العراق تُزار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء ، وفي سوريا تزور العائلات المسجد الأموي ، وضريح السيدة زينب ، وفى أستانبول يحرص

الجميع علي زيارة جامع أبي أيوب الأنصاري "أيوب سلطان " وحاجي بايرام ولي وفي مدن مصر يزور الأهالي المشايخ ، وأضرحة الأولياء ، وآل البيت ، يقرأون الفاتحة .. ويتوجهون بالدعاء أن يفتح الله علي طفلهم ، ويسهل له طرق العلم والنجاح . بل يكثر الأهالي من أطلاق إسم الولي ، أو صاحب الضريح علي الإبن ، أو الإبنة .

يتم تلقين الأطفال الذين سيبدأون الدراسة الابتدائية ، بعض المسئوليات التي تُشعرهم أنهم كبروا ، وأن النجاح شيء عظيم .. وتُحبب إلي نفوسهم بعض العلوم ، والمهن ، ويُطلب منهم أن تكون تصرفاتهم تليق بأهل العلم ، والتعليم .. كل هذا يتم بطريقة محببة إلي النفس .. وبطريق القدوة الحسنة .. ولو أسرفت العائلة في الترغيب ، أو الترهيب لربما كانت النتائج عكسية لدي الصبي ...

إن زيارة كبار العائلة كالجد ، أو الجدة ، أو العمة ، أو الخالة ، والذين يقدمون للصبية هدية بهذه المناسبة لمن الأمور ذات المردود النفسي علي الطفل في مستقبل حياته ، ويمكن أن تكون هذه التصرفات مما يدفعه إلي التفوق .

إن منح الطفل مصروف نقدي في هذه المرحلة ، وترك الحرية المطلقة له – بعد أسداء بعض النصح – في شراء ما يريد أو التصرف بمصروفه كيفما يشاء هو لمن الأمور المطلوبة في هذا السن المبكرة .. فتعليمه كيفية التعامل مع الآخر ، وكيفية التصرف مع اقرانه ، وتُظهر مشترياته عن نوع تفكيره ، وهواياته المبكرة ..

أما تلميذ المدارس المتوسطة ، والثانوية .. وطالب الجامعة لابد أن توضح لهم – كلٍ حسب مرحلته العمرية – المسئوليات الجديدة .. والإمتيازات المتاحة له .. والمستقبل المشرق الذي ينتظره .. لو هو صرف النظر عن اللهو ، واللعب فى أوقات الدراسة ، وقام بواجباته خير قيام .. ولو أمكنه التوفيق بين هواياته ، ودراسته لأصبح من المرموقين .. يجب إشعاره بشكل جميل ، وغير خطابي ، أو مباشر بأن العلوم التي يتلقاها توسع من مداركه .. وتزيد من فهمه لمجريات الحياة ، تُعلي من قدره فى محيطه ، وترفع من مستوياته الإجتماعية ، والفكرية . وأن يُكافيء علي نجاحه ، وتفوقه .. وتُحلل أسباب رسوبه ، وعوامل تخلفه الدراسي بشكل عقلاني ... كل هذه الأمور تدفع بالصبية والشباب إلي النضج، والتفوق في الحياة الدراسية ، والحياة

العامة ، وتدفعه إلي الإقبال علي المراحل الجديدة من دراسته بشوق ، ورغبة أكيدة في النجاح ..

إذا كانت هذه الأمور تتم في محيط الأسرة ، والمدرسة معاً فعلى المدرسة أن تُحيِ المناسبات القومية ، وتُنشطها في ذاكرة الصبية ، والشباب .. فالأعياد القومية ، والإحتفال بها ، وأيام النصر ، وذكرياتها .. يجب أن يكون لها برنامج ، ورصيد في النشاط الإجتماعي ، والثقافي في المؤسسة التعليمية ، كل حسب المستوي الذي تُخاطبه .. إن هذه الأنشطة ، لو تمت بشكل علمي ، وتربوي ، وترفيهي مدروس لأصبح لها مردود علي المستوي الشخصي ، والقومي لا يمكن إغفاله .. ولابد من أن يكون للصبية ، والشباب دور فيها ، والمشاركة في تحمل مسئولياتها .

– ويمكن ترتيب التصرفات الجميلة ، واللائقة ؛ والتي يجب أن يكون الصبية والشباب هم رصيدها ، والقائمون بها :

- احترام المدرس :

إن الصبية الذين تعلموا كيف يحترمون الكبار ، يكون من السهل تعلمهم كيفية إحترام المدرس . فالمعلمون ، والمدرسون ، شخصيات تليق بالإحترام ، وتستحقه ؛ فهم الذين يغذون الأطفال ، والشباب بالمعارف ، وما يستجد فيها ، وهم الذين يكملون نقائص الجيل ويقومونهم .. فإحترام المدرس وتوقيرة من المهام الملقاة علي عاتق الأسرة، فهم الذين يلقنون الأبناء خلال مصاحباتهم ما يجب أن يفعلوه تجاه المعلم ؛(قم للمعلم وفه التبجيلا .. كاد المعلم أن يكون رسولاً) وعلي المعلمين ، منذ دخول الصبية أبواب المدرسة ، أن تنم تصرفاتهم ، وتحركاتهم عن أنهم يستحقون الإحترام ، لابد أن يلتصقوا بتلاميذهم ، وطلابهم ، ويحرصوا علي أن يكتسبوا ثقتهم.. لا تخويف ، ولا إرهاب في التعليم ، والتعلم . بل هناك شجاعة أدبية يجب أن يحرص المعلم علي تلقينها لابناءه التلاميذ ، أو الطلاب .. وأن يصبر عليهم، ويحبهم "فبالحب ، والصبر يلين الحجر .. أو يحلوُ الحَصْرم " فبالحب ، والصبر علي الأطفال يتولد الإحترام ، والحب المتبادل ، وتزول الجفوة ، وينطبق عليهم ؛ ﴿ **من علمني حرفاً صرت له عبداً** ﴾ ..

- التحيــة :

علي الصغار ان يحبوا الكبار دائماً ، علي هذا المبدأ يجب أ يكبر الصغار ، وأن يحيوا معلميهم سواء في داخل المدرسة أو خارجها ..وأن تكون هذه التحية بالشكل اللائق ، وأن يحني التلميذ هامته لأستاذه حيثما وجده ...

- إفساح الطريق ، وإخلاء المكان :

لابد من إفساح الطريق أمام المعلم ، وأن يُخلي له المكان سواء داخل المدرسة ، أو خارجها مع أداء التحية الواجبة . وفي وسائل النقل العام ، إذا كان الذوق العام يتطلب إخلاء المكان ، وتركه للكبار ، فهدا واجب إجتماعي للمعلم " قُم للمعلم " ويُعتبر ذلك تصرفاً ظريفاً ، وينم عن إحترام جم .. فهؤلاء الصبية ، والشباب سيكونون كباراً في يوم ما ..

- التصرف في الأماكن المشتركة :

علي التلاميذ ، والطلاب ان يتصرفوا بشكل لائق في الأماكن المشتركة في المدرسة كالحوش = الفناء ، والسلالم ، والممرات ، والملعب ، والأ يتدافعوا علي الأبواب ، أو في الحديقة ، والا تتسبب تصرفاتهم في أي ضرر لأي طرف آخر .. والأ يأتي بأي تصرف لا يحب ان يقوم الآخر به تجاهه .. والأ يتجاوز دوره عند الشراء من المقصف ، أو الدخول إلي الصف ، وأن يتم التنبيه بشكل لطيف ، لمن يتجاوز الحدود في تصرفاته .. وعلي الجميع الأ ينسي أن التدافع ، والتزاحم والتنافر في الشراء هو الذي يؤخر الشراء، أو يجعله ناقصاً.

- القيام للمعلم :

إذا كان على الصغار ان يقوموا ، ويقفوا للكبار عند دخولهم في نطاق إجتماعات الأسرة ، ويقدموا لهم التحية الواجبة .. فمن الأولي أن يقوم لمعلمه عند تحيته ويوفيه التبجيلا .. وأن ينهض الجميع عند دخول المعلم إلي الفصل .. وعلي المعلم ان يلفت إنتباه التلميذ الذي ينشغل عن الدرس ...

- حمايـة المال العام :

إن كل الوسائل ، والوسائط التعليميـة ، والفصول ، وما فيها من أثاث ، وتجـهيزات هي مـال عـام ، يخص كل الأجيـال ، وتنتـقل من جـيل إلي جـيل ، ومن هنا يجب الحـفاظ علي المـال المشتـرك ، كمـا لـو كـان ملكنا الخـاص .. تُحافظ عـلي نظافتـه ، وسلامتـه ، وأن نتركـه سليـماً ، ونظيفـاً كما وجـدناه .. ومـن اللازم ، والواجب علي التلاميـذ أن يتعامـلوا مع وسائل النـقل العام كـالحافلات ، والقطـارات ، والسفن ، وما شـابـه ذلك ، بنفس العناية الواجبـة حيـال أموالـهم الخاصـة ، ويعتـبرون ذلك ضـمن واجباتهم ..

- الإلـتزام :

يجب علي كل إنسان أن يكون ملتزم في تصرفاته ، وحتي الأثرياء المفروض عليهم دائماً ألا يسرفوا ، ولا يقتروا .. فالإسلام يحرم الإسراف ، والتقطير في نفس الوقت.. وخاصة في مجتمعات الشرق المتخلفة .. يجب أن يتعلم الصغار أن الإسراف يضر بالتنمية ، وأن الإلتزام بالوسطية أمر هام .. وأن يتعودوا علي صرف مصروفهم اليومي، وفق نظام ، وترتيب معيَّن .. بل يجب ألاَّ يسرفوا في إستـهلاك أدواتهـم المدرسيـة كالأقـلام ، وألوان الرسم ، والممحاة وغيـرها من أدوات ، وألاَّ يتـفاخـر بالإسـراف في إستخدامها .. وأن عَليه أن يحافظ عليها سواء في المدرسة ، أو المنزل .. فأطفال اليوم هم رجال الغد ، وعليهم أن يتعودوا علي الإلتزام بما هو متاح لهم .. ولو تعودوا علي الإقتصاد في صرفهم ، وإستهلاك أدواتهم لإعتادوا ذلك ، وطبقوة في حياتهم .. وإذا ما عرفوا قيمة الموجود في حوزتهم ، لعرفوا كذلك كيف يحافظوا عليه .. فما زالت مجتمعاتنا تُعاني الفقر .. وفي حاجة إلي التنمية .. وأن الكثير من أطفالنا قد تركوا التعليم بسبب الفقر .. ولو تعلمنا كيف نقتصد منذ الصغر ، لأدركنا كيف نستفيد مما ندخره ، وكيف نجعله ينعكس علي الآخرين .. وما نُسرف في تبديده هو من حق هؤلاء الفقراء .

- تناول الطعام :

تشتـمل المدرسة الواحدة ، علي مستـويات مختلفة من التـلاميـذ، والطلاب ..

وليس من اللائق على الإطلاق أن يصطحب الأطفال الأغنياء طعاماً غالياً إلي المدرسة. وأن يتباهوا به أمام الآخرين . .إن تراثنا الإسلامي يُعطي للجار حقاً في الطعام الذي تفوح منه الرائحة . . وعلي رب الدار أن يخفى ما يشتريه إلي منزله من مأكولات ، أو أن يُعطي منها ... يجب أن توضح هذه الأمور للطفل بشكل مبسط ، وأن نساعده علي أن يسلك علي منوال ذلك في المدرسة .

يجب أن يتعلم الأطفال ، ويعتادوا علي عدم الشراء من الباعة المتجولون في الشوارع ، وحول مدارسهم . . ويُنْصَحوا بالإستعانة ، ويفضلوا ما هو موجود في مقصف المدرسة . لما في ذلك من حفاظ علي صحتهم ، ونظافة البيئة المحيطة بالمدرسة.

- اعتياد القراءة :

إن براعم اليوم ،هم ورود ، وثمار الغد . . بقدر ما تكون البراعم عفية ، تكون الورود ذكية ، والثمار ناضحة شهية . ولكي يكون أشبال اليوم علي أهبة الإستعداد لإستقبال الغد يجب أن يعرفوا البيئة التي يعيشون فيها . . والمحيط الذي يلفهم ، والمجتمع الذي يحتويهم ، والعالم الذي يعيشونه . . ولن يتمكنوا من كل ذلك إلا بالقراءة فالقراءة هي جوهر الإنسان . . هي نواته وقشرته . . هي باطنه وظاهرة . . ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) ﴾ ﴿ . . نٓ وَالْقَلَمِ . . ﴾ ولا يتبادر إلي الذهن أن المطلوب هنا هو التعليم المنظم ، والمقسم إلي مراحل – ليس المطلوب هنا هو أستكمال التعليم بأي شكل من الأشكال . . فتراثنا القديم مبني علي كثير من القيم المبنية علي الإقتناع بأنه بقدر معرفتك لنفسك ، وللمحيط الذي تعيشة يكون إقترابك من الغاية التي خُلقت من أجلها (أسأل مجرب ولا تسأل طبيب . .) فالقراءة هي التي تُطْلعنا علي تجارب ، ومعارف الآخرين . . هي التي تُفجر فينا منابع الإبداع . . هي التي تُلبسنا حُلْيَة الثقافة . . ﴿ هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون ﴾ فالفرق بيِّن ، والبون ، والقرأة هم أقصر الطرق للعلم والمعرفه . .

إن التعليم يتم حين نبلغ سن التعليم . . ولكن القراءة تأتي بالتعود . القراءة ليست

لها مرحلة عمرية محددة .. ومن الممكن أن يعتادها الطفل منذ المراحل التعليمية المتوسطة ، بل يجب أن تُغرس فيه منذ المرحلة الإبتدائية .. ومن هنا ؛ فإن أهم عادة ، أو لنقل هواية ، يمكن أن يُكْسِبَها المعلم لطلابه هي ﴿عادة القراءة﴾ .. إن هذا أفضل من التلقين ..

أُول ما أنزل علي نبينا الأمين ، ﷺ ، كان الأمر والتكليف بالقراءة .. هذا أمر معروف .. وسبقنا به كل الأمم .. ولكن لا تتوقف القراءة مع الإنتهاء من مراحل التعلم ، بل هي تبدأ بهذه النهاية .. وحبذا ، لو سارا معاً .. فالمؤسسة التعليمية التي تُعلم العلم ، وتُكسب المتعلم حب القراءة ، والتعود عليها ، هي بكل المقاييس مؤسسة ناجحة ، وأمّنت لخريجيها إستمرارية التعليم ..

القراءة هي التجديد ، وكلما جدَّد الإنسان في حياته إكتسب التنوع ، وبلغ المراد ، ووصل إلي ماخلف السطور .. لو إعتدناها لعرفنا كيف نستفيد من الوقت المتاح لنا ، ونُقيّمه .. لأصبحت لدينا القدرة علي الإستفادة من الوقت المتاح لنا في رحلة قطار، أو حافلة ، طالت أو قصرت الرحلة ؛ فمطالعة كتاب ، أو مجلة أو جريدة .. أو مطوية خلال هذه الرحلة .. ألا تخلصنا من الأفكار المادية ، أو المعنوية التي تزلزل كيان النفس .. ألا تُنقذه من الأوهام ، والوساوس ، والتخيلات التي لا طائل من وراءها .. ألم نتعلم أن الكتاب أوفى صديق .. وأعز رفيق ..

- نمط الحديث والمحادثة :

يجب أن يعتاد الطلاب علي التحدث بلغة جميلة ، وسليمة ، وأن يدركوا أن من أكبر نقائص المثقفين ، أن يتحدثوا باللغة العامية الدارجة .. وأن يراعي النطق السليم ، فالنطق الخاطيء تتولد منه معاني خاطئة .. ومفاهيم مغلوطة .. يجب أن تُدرك البراعيم قواعد محادثة الكبار .. ونمط مخاطبة الأم ، والأب ، والجد ، والجدة ، والخال، والخالة ، والعم والعمة .. فلا يجوز الصياح أمامهم .. وألا تغيب صيغ الإحترام ، والتبجيل عند التحدث معهم ، أو إليهم .. لابد أن تتعلم البراعم لغة التخاطب ، والحوار ، فهم تلاميذ اليوم ، ومثقفوا الغد .. يجب أن يتعلموا متي يعتذروا .. ولِمَنْ يقدموا الشكر .. وما هى دواعى الشكر ، ومتطلبات الإعتذار ..

وجمال التعبير.. والا يتعود وا.. في الفصول الدراسية علي إستخدام الكلمات السوقية ، أو العامية الفجة ، والا يُسمح لهم بذلك .. بل يجب الا يغيب عن بالهم أن ذلك يفسد الذوق وأن حسن الأداء ، وجمال الخطابة ، يَفْتح أمامهم طرق الرقي ، والتقدم ، ويصلوا إلي الدرر الثمينة في لغاتهم .. وحتي باللغة الجميلة يمكنه أن يحكي طرائف جميلة .. وقصص عجيبة .

- المساعدة والتعاون :

﴿ **وتعاونوا علي البر والتقوي .. ولا تعاونوا ...** ﴾ يجب أن يدرك البراعم ، والطلاب أنهم يكملون بعضهم بعضاً ، وأن يعاونوا بعضهم ، في استكمال نقص ، يكون قد فات أحدهم . يجب أن يعتادوا علي العمل الجماعي .. وتُنمي فيهم روح الفريق .. فالتعاون ، والإشتراك ، والمشاركة كلها قيم تجعل الحياة تسير في هدوء ، وسكينة ، وتناغم . فمحيط الهدوء والسكينة ، والآمان يولد التفوق .. ويدعم النجاح ، ولا يخل بالمنافسة الشريفة .. يجب أن يتعلم البراعم ، والشباب أصول العون المادي ، بدون منِّه ، أو تفاخر .. وأن يبحثوا عن سبل تقديم العون المادي إلي مَنْ هم أقل في المستوي المادي دون إيذاء « ..**كلمة طيبة .. خير من صدقة يتبعها أذى..** » أو منَّه .. أن تسود التمنيات بالنجاح ، والتفوق للجميع دون الإخلال بالحقوق ، أو شروط التنافس الشريف .. والا يبخل أحدهم علي الآخر بما تعلم ، أو فهم .. بل يجب أن يتنافسوا في مساعدة المتعثر .. أو المتغيب بعذر مقبول لهم .. وأن يتسابقوا في السؤال عن الغائب ، وأن يعودوا المريض منهم .. ويكملوا ما فاتهم بروح الود والتعاون .

- الغش ؛ والبرشام :

إن الغش ؛ والبرشام في الإمتحانات التحريرية أمر غير مستحب ، وأمر مرفوض شكلاً ، وموضوعاً .. « **فمن غشنا فليس منا** » فالإمتحان ما هو إلا وسيلة لقياس مدي التحصيل لدي التلميذ ، أو الطالب في الموضوعات المطالب بها ، والمسئول عنها .. وعلي الطالب بمساعدة معلمه ، وإستكمال النقص الذي يتبين له بعد عملية الإختبار.. وتصحيح الأخطاء بعد تحليلها . ربما يساعد الغش ، والبرشام علي الإنتقال من صف الي آخر ، ولكن ذلك لا يؤمن النجاح بشكل متوالي ، أو مستمر .. وعلي

الأسرة أن تغرس في الأبناء رفض هذا النمط من السلوك ، بل ومقاومته لدي الآخر ، لما فيه من ضرر لهم ، واعتداء علي حق الغير من قبل من يرتكبه ، وإذا ما قُدِّر لمثل هذا الغشاش أن ينطلق إلي الحياة العامة ، فلن يكون إنساناً سوياً ، بل غشاشاً ، ومدلسًا ، بل ومرتشياً .. إن إغتصب منذ الصغر حقاً ليس له .. فإذا ماكَبُرَ علي هذا السلوك فلن يكون غير ذلك ، والأخطر إذا كانت فتاة .. فلن تكون أمينة علي شرفها، ولن تكون أمينة علي أطفالها في المستقبل .. فعلي البيت ، والمدرسة أن ينظرا إلي عملية الغش ، والبرشمة إلي ماهو أبعد من اللحظة الحالية .. فمن شَبَّ علي شيء شاب عليه ...

- تصرفات المعلمين :

إن إحتقار المدرسون ،ومجازاتهم للطلاب الذين تعثروا في سنوات الدراسة تصرف خاطيء تماماً .. فالعقاب في مثل هذه الظروف يؤدي إلي نتائج عكسية ، بل عليهم رصد أخطاء التلميذ ، أو الطالب المتعثر ، ومساعدته في إستكمال النقص الذي يعاني منه ، أو الخطأ الذي يتكرر الوقوع فيه .. فالتعليم بالصبر ، والمثابرة تستقيم قواعده .. وتؤتي ثماره ، ونتائجه .. الغضب والحدة ، والشدة كلها عوامل تفصم عرى الصلة . ، المودة بين المعلم والمتعلم ... وإذا مافُصِمت الصلة ، وقطعت العلاقة ، فلا تتم التربية ، ولا يتحصل التعليم ..

إن التعليم ، والتعلم يتحقق فيما بين الطلاب الذين هم في وضع المتلقي ، عن طريق كادر المعلمين ، في الموسسات التعليمية ، ويجب أن تكون الموسسات التعليمية مجهزة بالمباني ، والأجهزة التي تتلائم مع أغراضها ، وبالمعدات ، والوسائل ، والوسائط التي تسهل علي المتلقي مهامه .. وأن يكون المعلم مؤهلاً ، وفقاً للمرحلة التي يقوم بالتدريس فيها .. ولا يجب أن تُغفل العوامل المساعدة كالإدارة ، والملاعب، والمعامل ، والحدائق ..

يجب البعد تماماً عن العيوب الخِلْقية ، والخُلُقية فيمن يقوم بالعملية التعليمية ، فإلي جانب الصحة البدنية ، فإن الصحة النفسية ، والروحية مهمة للغاية .. وبنفس القدر من الأهمية يجب توجيه المتعلم – وفقاً لإمكاناته وقدراته – إلي الرياضات

البدنية والفنون الجميلة ، وتنمية النباتات ، ورعايتها ، ومتابعتها في التربة الزراعية ، وتغذية الطيور ، والحيوانات المستأنسة ... أي كيفية رعاية الثروة الداجنة ، والحيوانية ، والأسماك ... هذا ، جنباً إلي جنب مع تنمية القدرات الفنية في المجالات المختلفة كالخطابة ، والإذاعة ، والصحافه المدرسية ، والتمثيل ، وجماعات الشعر ، والقصة ، والمقال ، وتنمية القدرات الإبداعية لدي التلاميذ ، والطلبة ورعايتها طواال المراحل التعليمية .. ويجب ألاَّ يغيب عن ذهن الأسرة ، والمؤسسة التعليمية معاً ؛ أن التفوق في هذه الانشطة يجب الا يكون علي حساب الدراسة ، بل تؤدي إلي التفوق فيها ، ولمتابعة هذا التفوق لابد من الموائمة بين الهواية ، والدراسة .

إن حب القراءة والتعود عليها .. يمكن تدعيمهما بدفع التميذ ، أو الطالب ، وتشويقه للقيام بالأبحاث في المجالات التي يحبها ويهواها .. هذا الدفع ، أو التشويق الذي يمكن ان يبدأ بتقديم المراجع المتاحة ، أو التوصية بها لابد وأن يُؤتي ثماره الطيبة بالإرشاد ، والمتابعة ، ومراجعة المزيد من الكتب ، والمراجع التي تخدم الموضوع .. وكما أن متابعة الرياضة تُساعد في تنشئة البطل .. فالريادة العلمية تُساعد في خلق الباحث المخترع ، والفنان المبدع ، والناقد المنصف .

- الزي والملابس :

إن الزي يعكس الشخصية الحقيقة للإنسان ، ولهذا فإن الزي ، والملبس الذي لا يعكس وضعنا الإقتصادي ، ومحيطنا الإجتماعي ، وبيئتنا الثقافية .. لابد وأن يخلق إنطباعاً خاطئاً لدي الآخرين ؛ فالتقليد الأعمي للآخرين في السلوك ، والملبس ، والثقافة الحياتية اليومية يدعم هذا الإنطباع الخاطيء عنا .. وكما يفقدنا إحترامنا لتراثنا ، فإنه يدفع بالآخرين إلي عدم إحترام قيمنا ، وتراثنا ، بل وإحترامنا لذاتنا . إن مفاهيمنا الشخصية ، وما نتلقاة مخالفاً لواقعنا ، وبيئتنا يجعلنا نصطدم بوقائع ، وأحداث ستأثر علي حياتنا كنتيجة لهذه المفاهيم ، والتلقيات المغايرة .. أو أنها – علي الأقل – لن تمكننا من تاسيس ، وتكوين علاقات سليمة وصادقة مع البيئة المحيطة بنا ، أو الواقع الذي نعيشه إن إختيار الزي ، والملبس الأصيل ، والذي يتفق مع واقعنا، وشخصيتنا الحقيقية بعناية يُبين إلي أي مدي نحن نثق في أنفسنا ، وفي عطاء تراثنا .. وليس من الصواب في شيء بذل العناية الفائقة بالمركات ، والعلامات

التجارية الغالية الثمن في الملبوسات ، بدعوي الموضة ، أو الحداثة العالمية .. إن الهوس الذي يجتاح الشباب في الأزمنة الأخيرة ، والولع بكل ماهو أجنبي ، وخاصه ما هو أمريكي ، أو أوروبي.. انما ينبع ذلك من عدم الإهتمام بالتراث ، وتحقير الذات، والإعلاء من شأن الآخر الأمريكي والأوروبى... إن هذا يتولد عن الشعور بالدونية الذاتية .. وسطوة الإعلام الغربي .. والتسليم بهذه السطوة من قبل القائمين علي حفظ التراث الثقافي للأمة الإسلامية ..إن الصين ، والهند ، واليابان .. وجنوب شرق آسيا قد أخذت بالحداثة والمعاصرة ، دون ان تفقد الآصالة الثقافية التي تحفظ لها قيمها .. أو تُفقدها إحترام ذلك الآخر المتربص .. يجب أن نعلم أطفالنا أصول الزي القومي، وكيف يفتخر به ، والا يستهجنه .. وأن يتعلم كيف يستفيد من مفردات الحضارة الغربية في الملبس دون أن تطغي علي الزي القومي ..

يجب أن تشيد هنا بالجهد المغربي ، والباكستاني ، والسعودى بل والأفريقي في الحفاظ علي الزي القومي .. فقد تعلموا كيف يحافظوا علي آصالة زيهم .. دون المساس بالقيم الروحية بل سايروها .. حافظوا علي آصالة الجوهر .. ولم يهتموا بحداثة المظهر فقط .. يجب الا يخجل أطفالنا من لبس الدشداشة أو الثوب ، أو الجلباب .. أو السروال ..

- تقييم الزمن .. وقيمة الوقت :

الوقت كالسيف .. إن لم تقطعه قطعك .. للزمن قيمه وللوقت قيمة .. وعلي التلميذ ، والطالب ، والمتعلم مهما كانت مراحله التعليمية، أو العمرية أن يتعلم كيف يستخدم الوقت المتاح .. وكيف يُقيِّم وقته . وان يحدد لكل هدف وقته ؛ فللمذاكرة وقتها ، وللتسلية واللعب وقتهم .. وإذا ما تم إستخدام الوقت بالشكل المناسب بمعني الكلمة .. فسيعرف كيف يستريح ، وكيف يعمل ، ويجتهد .. ويجب الا يُبعد المذاكرة ، وعمل الوجبات الدراسية عن هذا الهدف .. فالتلاميذ الذين يعرفون كيف يفصلون بين وقت النوم ، ووقت اللعب ، ووقت الدرس ، ووقت الراحة والإستجمام ، فهم دائماً ناجحون في حياتهم الدراسية .. ويكونون ناجحون بعد الإنطلاق إلي الحياة العملية ، فالطالب الذي يعرف كيف ينظم وقته بهذا الشكل، يستطيع كذلك أن يعرف كيف يستفيد من أوقات فراغه .. وسيعرف كيف

يطوّع الوقت لسعادته ، ويُيَسّره ، معه لسعادته ، وتوفيقه في الحياة .. ويستطيع أن يجعل هذا الوقت طوع بنانه في تنمية شخصيته ، إذا ما إستغله بشكل منظم ، ومرتب . واستطاع أن يستغل أقل وقت متاح حتي في القطار ، أو الحافلة ، أو السيارة، أو السفينة في القراءة ؛ سواء أكانت هذه القراة لكتاب ، أو مجلة أو حتي جريدة ، فلسوف يجد فيها ما يُفيده .

- **علاقة الأسرة والمدرسة :**

إن دخول الطفل إلي المدرسة ليس معناه إنتهاء دور الأسرة ، بل يجب عليها أن تُتابع وضعه في المدرسة ، وأن يلتقي ولي الأمر بالمعلمين والإداريين في المدرسة ، إذا ما تطلب الأمر ذلك .. وأن يُشارك في مجالس الآباء ، ويرد علي مكاتبات المدرسة ، ويتابع اللقاء مع الأخصائين ، والمشرفين الذين يساعدون علي تفوق طفله ، أو حل مشاكله التي لابد أن تقابله في المدرسة .. فحل هذه المشاكل ، إذا مابدت في حاجه إلي تضافر الجهود ، والتعاون المكثف بين الوالدين والمدرسين .. ومتابعة سير الدراسة مع المعلمين من حين لآخر يدعم عوامل التفوق ، ويحد من تفاقم عوامل الفشل لدي الأبناء، ويزيد ذلك من هوايات الطفل ، ورغبته في إثبات الذات والتفوق ..

إن للمؤسسات التعليمية في وقتنا الراهن مشاكلها المادية ، والمعنوية .. ولن تتمكن هيئة التدريس من التغلب علي هذه المشاكل بمفردها ، بل يجب أن يتعاون معهم الأسر ، والمحيط الإجتماعي ، في دائرة المدرسة .. لابد من تعاون مجالس الآباء ، والجمعيات الخيرية ، وأهل الخير ، ورجال الأعمال في حل هذه المشاكل .. ويمكن أن تتكون جمعيات محبي المدرسة من الإدارة ، والتلاميذ ، وأولياء الأمور ، وخريجي هذه المدرسة الذين أصبحوا في مواقع مرموقة ، أو من أصحاب المقدرة المادية ، بهذه الأمور يشعر الجميع أن هذه المدرسة ملكه الخاص ، يخاف عليها ، ويرعاها ؛ رعاية أمواله الخاصة ، وبيته الخاص به . في مثل هذا الجو ، والمناخ المشبع بمشاعر الحب ، والتعاون ينشيء الطفل وهو يعرف معنى الإنتماء المتدرج من البيت إلي المدرسة ، إلي

الحي أو القرية ، ومنهـا إلي الوطن ثم الأمـة كلهـا .. فـالإنتـمـاء سلوك ، ثـم وجدنيات...

إن مثل هذه الجمعيات ، كما أن هناك جمعيات الإسعاف ، والهلال الأحمر والشبان المسلمين ، وجمعيات محبي الآثار ، وجمعيات أصدقاء البيئة ، وجمعيات تنمية الريف ، والمجتمع ، وجمعيات تحفيظ القرآن ، والحفاظ علي المساجد.. فلماذا لا تكون هناك جمعيات لرعاية المدارس ، وتنمية العلاقة بين الأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة بالمدرسة .. في هذا المناخ يتدعم العمل الجماعي ، ويتفاعل الطفل مع بيئته ، ويَزداد في داخل لا شعوره ؛ الشعور الجماعي ، وروح الإنتماء الي الوطن والأمه ..

يجب أن تبتعد الأسرة ، كما يجب أن تبتعد المدرسة عن التهرب من تحمل المسئولية، أو الإلقاء بها علي الآخر.. فهذا يغرس في الأبناء السلبية .. واللامبالاة .. وعدم الأنتماء يجب عليهما معاً ومع الجمعيات ، والأنشطة ، أن يُهيئوا المناخ المناسب لتربية ، وتعليم مفيد .... وفاعل ..

- أطفـال ، وشـباب العمـل :

قد تدفع الحياة ببعض الأطفال ، والشباب الي معترك الحياة العملية في سن مبكرة وكما أن هناك علاقات تربط بين التلاميذ والمعلمين ، فهناك علاقات أيضاً تربط بين الأسطي والصبي .. علاقة نقل الخبرة ، والحرفة من الأسطي إلي الألفه = "القلفه" ومنه إلي الصبي .. هذ العلاقة ؛ هي علاقة حب وإحترام وكما تحدثنا عن العلاقة بين المعُلّم ، والمتعلم .. فهنا أيضاً العلاقة بين الأسطي أو المعَلّم والصبي .. هي علاقة إحترام .. يجب علي الصغار أن يحترموا مَنْ يمنحونهم خلاصة تجاربهم .. ويفسحون لهم الطريق في الوقتِ المناسب لكي يسلكوا مسلكهم ، أو يمتهنوا مهنتهم .. يجب أن يعترف الصبيان لأسطواتهم بالفضل الذي هم فيه بعد أن يستقلوا بأعمالهم ... وحتي لو وقف بعض الإسطوات كعقبة في طريق إستقلال صبيه ، بحجة المنافسة في نفس ساحة العمل .. يجب أن يتسامح الصبي ، ويترفع الأسطي .. فلكل رزقه ، ونصيبه .. وعلي الألفة ، والصبي قبل أن يستقل بحياته العملية أن يسترضي معَلّمه، ويطلب الإذن من أسطاه ، ويرجو منه الرضاء ، ومباركة العمل قبل أن ينفصل عنه ..

فالشباب .. الألفة.. حتي ولو صار أسطي فهو يظل في حاجة إلي إستشارة مَنْ هم أكثر منه خبرة لمدة ما ..

واجب الشكر للمعلمين والأسطوات :

علي التلاميذ ، والطلاب الذين ينتقلون إلي مرحلة أعلا ، وعلي القلفات الذين إستقلوا بأعمال خاصة بهم ، أن يستغلوا أي مناسبة قومية ، أو دينية وأن يتذكروا أساتذتهم ، وأسطواتهم ، وأن يسألوا عنهم ، وألأ يهملوا واجب التهنئة بالعيد ، أو بالمناسبة . الوفاء سمة من السمات المحببة إلي النفس البشرية .. وتليق بالإنسان وإذا ما وَفَيْنا نحن للذين علّمونا .. وإذا ما تذكرنا السؤال عن كبارنا .. فالأجيال التي تخلفنا ستنقل إلينا ما تعلمته منا .. ويكون الوفاء لنا بنفس القدر الذي كنا به أوفياء لمن سبقونا .. ولمن توفاهم الله ، واجب الدعاء والترحم منا ؛ فكما تدين .. تُدان .. الإحترام ، والحب ، والوفاء ..والبشاشه ميراث توارثته الأجيال الشابة في جميع ربوع أُمتنا علي إختلاف ثقافاتها المحلية .. فسقف الحضارة الإسلامية أشمل .. وينابيع الوفاء فيها رقراقه .. ولم .. ولن تنضب ، ويجب أن نكون أهل لهذا الميراث .. وأن نكون خير خلف لخير سلف ...

* * *

المسنون فى العائلة

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنـــدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا(٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ إن مكانة الأبوين ، والجد ، والجدة مقدسة في العائلة المسلمة .. لهم حصانة لا تمس . ولا تُرفع تحت أي ظرف من الظروف .. فـأنت ومـالك ملك لأبيك ، وأُمك .. هذا المنظور .. وهذه النظرية ، وهـذه الفلسـفـة يجب أن نـحـمـيـهـا ، وأن نحـافظ عليـهـا .. بل ونقدسها ..

في مجتمعاتنا يعيش المسنون مع الأبناء سوياً أو مستقلون في حياة خاصة بهم . إذن هم في حالتين ؛ لكل حالة متطلباتها .. وشدائدها .. لها محاسنها .. لها حقوق وعليـهـا واجـبـات . ولا مناص من أن نقف أمـام كل نمط علي حـده ، نتـبـينه ، ونستكشفه ..

أ- السكني معاً :

من الأرجح ، والأفضل ؛ لو أن الظروف الإجتماعية، والدخول الإقتصادية تسمح ، بالمعيشة بشكل مستقل ، فلو أستقل كل طرف في بيته بحيث (لا يسبب إزعاجاً لأحد) ولا يكون محتاج إلي أحد .. إن أي إنسان يرجح هذه الحياة ولكن لو كانت هناك ضرورة تُحتم الحياة سوياً ، فلهـذه الضرورة أصول .. لها قواعد .. وفلسفة .. ومنظور ..

فلو أدركنا هذه القواعد ، والأصول ، ودرسنا هذه الفلسفة ، ودققنا النظر في ذلك المنظور ، لو عرفناها .. وطبقناها علي الوجه الأكمال ، لأصبحت الحياة سوياً أفضل .. أقل كلفـه .. وأكثر راحة .. وسكوناً وإطمـئناناً .. إن علي الأبناء ، والأحـفـاد الذين يعيشن معهم الجد ، والجدة أو أحدهما بعض المسئوليات تجاههما .. هذه المسئولية متساوية أمام الأم والأب سواء أكانوا للزوج أو الزوجة . فالحق واحد .. والواجب فيه تكافيء ..

– إذا كـانت الظروف الصـحـيـة لهـمـا تـسـمـح .. فـيـجب أن يُعْتَرف لهـمـا بحق

المشاركة في الأعمال المنزلية المترتبة ، علي الحياة اليومية ، وأن تُعطي لهما الفرصة للتواجد في مجريات الحياة اليومية ، وتدابير شئوون المنزل . . .

– يجب الحد والحيلولة فوراً ، وبشكل قاطع دون عدم الإحترام الذي قد يصدر من الأطفال سواء بقصد أو بغير قصد . .

– يجب أخذ رأيهما في الموضوعات المتعلقة بالبيت ، وأخذ مشورتهما في مثل هذه الأمور . .

– إذا مانشب سوء فهم ، أو نزاع بين الأحفاد والجد ، أو الجدة ، فيجب عدم التدخل فيما بينهما بقدر الإمكان . . وألا يتم الدفاع عن طرف ضد الطرف الآخر . .

– يجب عدم النزاع معهما أمام الاطفال ، أو الحديث معهما بصوت مرتفع . . أو تجريمهما . .

– إذا ما نشب نزاع ، أو خصام بين أحد الزوجين ، والمسن الموجود ، فليحاول صاحب المشكلة أن يحلها ، دون أن يشكو إلي زوجه . .

– في حالة مرضهم ، يجب معاملتهم بشكل لائق ، وأن نمنحهم الحب ، والإهتمام، والإحترام . . وألاً نبخل عليهم بالمساعدة والعون . . بل يجب أن نبالغ في رعايتهم . . . وأن نضع نصب أعيننا دائماً ؛ ما تحضنا عليه قيمنا ، وآصالتنا . . وعاداتنا وآعرافنا .

إن ما لا يجب ألا يغيب عن الشباب هو أن الشيخوخة ، أو الكهولة لها بعض شدائدها ، ومضايقاتها . . وفي بعض الأحيان يكون لهم نقدهم اللاذع ، أو ظلمهم البين ، أو خشونتهم المفرطة ، فعلي الشباب أن يستقبلوا كل ذلك برحابة صدر . . وبشاشة وجه . . وتفاهم حتي النهاية . . وأن يبذلوا قصاري جهدهم في هذا الصدد . .

ب- السكني في بيت مستقل :

– إذا ما سكن المسنون أي الوالدين أو الجدين ، أو الجدتين في دار مستقلة بها . . فيجب زيارتهم ، والسؤال عنهم بالتليفون ، أو الرسائل والسعي إليهم ، والإطمئنان

عليـهـم ، وتلبـيـة مطالبـهـم ، وأن نشـعـرهـم أنهم ليـسـوا وحـدهـم .. وأنهـم مـازالوا محبوبين. وأن يقتنعوا أن هناك شوق إليهم ..

– يجب ألا ننسى المناسبات الحلوة في حياتهم كأعياد الميلاد ، أو مناسبات الزواج .. والأعياد الدينية ، والمولد النبوي ، أو المواسم الدينية أو الأيام التى لها مكانة فى قيمنا الأسرية كعيدالأم .. وما شابه ذلك من المناسبات العامة ..

– يجب أن نُقدم إليهم الهدايا ، مهما كانت بسيطة ، من حين لآخر ، وأن نكسب قلوبهم ، حتي ولو بالكلمة الطيبة ..

– إذا ما طلبوا منا شيئاً ، يجب أن نسعي إلي تلبيته ، وإذا ما إحتاجوا ، أو طلبوا عوناً مادياً ، فيجب السعي قدر المستطاع ، لمواجهة هذه المطالب النقدية . وألاَّ نسلك أمامهم مسلكاً فيه شئ من الملل أو الضجر .

– إذا كانت الأسرة تمتلك سيارة ، فيجب إحضارهم من حين لآخر إلي الأماكن التي يحبون الذهاب إليها .. أو الأماكن التي لم يروها ، ويحبون رؤيتها .

– إذا ما أُعد في المنزل طعاماً من الأطعمة ، التي يُحبها الكبار ، فإما أن يكون ذلك وسيلة لدعوتهم إلي البيت لتناوله سوياً ، أو الذهاب إليهم ، وإحضارهم لهذه الوجبة، أو أن يُحمل الطعام إليهم ، حيث يكونون ..

– إذا كانت هناك مناسبة سعيدة في الأسرة الصغيرة = "النواة" وإذا كان الوضع يسمح ، فيمكن دعوتهم لحضور هذه المناسبة .. وإذا كانت دعوة خاصة فيجب ألا تُخفي عنهم ، وتوضح لهم الظروف ، والملابسات التي أدت إلي عدم دعوتهم ، ويكون ذلك بشكل مناسب ، وقلب مفتوح ، ووجه بشوش ..

– يجب البعد النهائي ، وبشكل قاطع عن أي تصرف أو تحرك أو قول يمكن أن يفهم ، أو يستشف منه أن هؤلاء الكبار قد إنتهي دورهم ، ولم تعدُ هناك حاجة إليهم ، أو إلي خدماتهم ، وأنه لم تعد هناك قيمة لحياتهم ، أو أنهم قد أصبحوا عبئاً ، أو حملاً ثقيلاً ..

– إن التراث العائلي الشرقي الإسلامي ، يعتبر وجود الكبار في الدار بركة .. و"يكفي نفسهم" .. يجب أن نعمق هذا التراث ، ونتفهمه ، فشباب اليوم هم

الكبار، وعجائز ، وكهول الغد .. ويجب الا يغيب عن الصغار أنهم سائرون ، وصائرون الي هذا المصير في يوم ليس ببعيد .

– يجب إشعارهم بأننا مازلنا في حاجة إلي خدماتهم أو إستشارتهم ، أو مشورتهم .. وأن نكلفهم ببعض الأعمال التي يقدرون عليها إنطلاقاً من هذا المنظور الإجتماعي ..

– إذا كانوا يعيشون بعيداً.. فعلينا أن نبعث إليهم بالأحفاد من حين لآخر لكي يكونوا ضيوفاً عليهم .. وأن يكون الأحفاد بشكل جماعي ، أو فراداً حسب ظروف كلا الطرفين .. وأن يبقوا معهم بضع أيام .. أو العطلة المتاحة كلها ، أو بعض منها.. ويزداد هذا الحرص في المناسبات التي تخصهم ، وفي المناسبات الدينية كالأعياد ، والموالد ، والمواسم ، فمثل هذه الزيارات تُدعم صلة الرحم، وتجعل الروابط الأهلية ، والعائلية حيّة ، وحميمة .. وتُظهر الضوء الساطع ، والمستمر لتقديم فروض الطاعة ، والإحترام للأجداد والجدات .

وإذا لم يكن هناك ما يشغلهم ، فيجب أن نفكر في إيجاد مشاغل ، وأُمور تُسعدهم ، وتُشغلهم ، وتمليء عليهم فراغهم ، وأن يكون ذلك بشكل منظم ، وغير مرهق ، ويمكن أن نُقدم إليهم آلاف الآشياء من هذا القبيل .. والتي تزيد إشعارهم بالحب ، والإحترام ، والأهتمام بهم ..

– إذا ما أصاب أحد المسنين في العائلة وعكة صحية ؛ فيجب علي الجميع أن يهتم به حقاً ، وصدقاً ، ودون إفتعال ، أو تهويل ، وضرورة التردد عليه ، وزيارته ، ومواجهة طلباته ، وحاجاته ، ببشاشة ، وإرتياح .. كإستدعاء الطبيب ، أو شراء روشتة الدواء .. أو تقديم العلاج في موعده .. إعداد الطعام الذي يريحه ، ومساعدته في تناوله بالحب والحنان . وحسب الحالة المرضية للمريض ؛ فيمكن إصطحابة الي منزل الأسرة ، ووسط العائلة ، أو أن يبقي أحد أفرادها بجواره لخدمته ، وإذا لزم الأمر ، والعمل ، والإسراع بنقله إلى المستشفي ، ومهما كان الأمر ، يجب معاملة المريض باللطف ، والعطف ، والحنان ، وعدم المبالغة في إظهار القلق ، وعدم إزعاج المسنين ، أو ترويعهم .. أو مفاجئتهم بأخبار أو أمور لم يكن يتوقعوها ...

- **كيفية تصرف المسنين ؟**

سواء عاش المسنون مستقلون ، في منازلهم ، أو مع الآخرين في بيوتهم فعليهم الإبتعاد عن :

- ظلم المعاملة . .

-الإمتناع عن كثرة العتاب ، وترديد عبارات الإحراج مثل نسيتمونا .. تركتمونا . . لا تسألون عنا . . الخ .

- عدم تكرار الشكوي من الأطفال ، والأحوال ، والناس والأحداث بشكل مستمر

- عدم الشكوي من الزوجة ، أو الزوج ؛ أو شكوي أحدهم للآخر ، أو شكواهم للآخرين .

- عدم أفساد ذات البين . . أو الشماتة في طرف من أطراف العائلة . . بل بذل الجهد لجبر الخاطر . .

- البعد عن التصرفات السلبية كالمقاطعة ، أو الإنزواء ، أو "القمصه" . .

إن تجنب مثل هذه الصرفات ، والبعد عنها يسهل عليهم حياتهم ، سواء كانوا في بيوتهم . . أو مع الأطفال، ووسط الأحفاد . .

إن المسنين في البيت حريصون دائماً علي أن ينقلوا تجاربهم ، وخبراتهم إلي الأبناء . . ولكن هذا ، يجب الا يرسخ في أذهانهم أنهم هم وحدهم الذين علي حق . . وأن رأيهم هم فقط هو الذي يجب الأخذ به . . بل يجب أن يحرصوا علي عدم تكرار (ما أقوله هو الصواب) أو (عليكم تطبيق ما أقوله . .) . وأن يعترفوا للآخرين بحق التعبير عن الرأي .

ولإختلاف الرؤية ، ووجهات النظر ، والأجيال ، وخاصة في رعاية الأطفال ، وتربيتهم ، فيجب وضع وجهات النظر الأخري في الإعتبار ، وعلي المسنين العناية الفائقة بآرائهم ، ووجهة نظرهم في كل مايتعلق بالاطفال . . والأ يصروا علي الأمهات الصغار ، أو الآباء قائلين :

- أعْطِية هذا العلاج فبه يتحسن . .

– ألبسيه الفانلة .. قد حدث هذا بسب عدم إلباسه .

– ما الدّاعَى للطبيب ..

– أسرع بإستدعاء الطبيب..

– هذا الطفل لا يحترم آباة .. أو لا يحب آخاة أو أُخته قط ..

– البنت تأخرت مرة أخري ، ومَنْ يدري أين تلف .. وتدور ؟

– قل لإبنك ان صديقه "فلان" لا يليق بصداقتة ولا "ينزل من زوري"أو "لم يخب فيه ظني "يجب عليهم الا يسرفوا في الشكوي أو الإنذارات ..وإذا كانت هناك ضرورة تستدعي ذلك ، فيجب مراعاة الحرص ، والدقة فيما يقولون والا يبالغوا فيما يبدون من خوف علي الأحفاد ، فهم علي اي حال أحفاد .. والمسئول عنهم فى المقام الأول هم الآباء ، والأمهات ..

علي الأبناء ، أن يكون حبهم الأول ، وإحترامهم الواجب أولاً للأب والأم .. والأ يتفوق علي ذلك اي حب .. أو اي شخص آخر ، والا تُقدم إليهم "الأبناء" الهدايا المبالغ فيها أو تلك التي بدون مناسبة .. أو ان يخَفْوا التصرفات التي يقومون بها ، ويترتب عليها ضرر ما عن الوالدين .

– العائلة كل متكامل . ويجب علي الجميع –وخاصة المسنون الا يقوموا باي تصرفات ، أو سلوكيات يمكن ان يترتب عليها إخلال بهذه الكلية .. أو ان تفسد وحدة الأسرة ..

وفيما يجب عمله تجاه الضيف :

– علي المسنين الا يخرجوا لمقابلة كل قادم إلي البيت أو كل المقربين ، وقرناء ، وزملاء الزوجين ... وإذا خرجا فلا يظلا جالسين إلي أخر اللقاء . الا يَنْضما إلي كل الحوارات ، أو مناقشة كل الموضوعات التي تُطرح في الجلسة . والا يستعجلا نهاية الحديث .. والا يكررا السؤال حول موضوع ما ..

– يجب عليهما الا يتدخلا في الأحاديث التي لا تعنيهما ، أو تلك التي لا تدركها عقولهما .. والا يحرصا علي التدخل في كل الأحداث .

– علي الضيوف ، والمضيف "الأبناء" ألا يتحدثوا في شتى الموضوعات أمام المسنين، والأطفال ، وألا يطلقوا العنان للنكات ، والفكاهة .. وعلي الضيف أن يختار عند الجلوس المكان الذي لا يجرح البيت ، وألا يأتي بتصرفات لا تليق ، وهو في البيت ..

– الأفضل للجميع أن يبقى المسن مع الضيف لفترة ما ، وأن يسأل عن الأحوال ، والصحة ، والأهل ، والأقارب إن كان يعرفهم .. ثم يستأذن بالأنصراف .. ولكن لو أصر الأبناء ، والضيوف علي بقاء المسن الموجود سواء أكان الجد أو الجدة .. فعليه قبول هذا الرجاء .. هذه كلها أمور متروكة للفهم .. والتفاهم . وترتبط بالرؤية الإجتماعية ...

– وأفضل ما يمكن عمله من قبل المسنين هو ألا ينسوا أنهم كانوا شباباً .. وألا ينسوا ما كان يضايقهم .. أو يستحسنونه وهم شباباً .. ويتصرفوا بعدالة ، وإنصاف حيال الجميع ..

* * *

إن مجتمعاتنا ، كسائر المجتمعات الاخري، قد إنتشرت فيها فى الأزمنة الأخيرة دور رعاية المسنين . . ولكن يجب ألا يتبادر إلي الذهن ان هذه الدور ، هي دور الخلاص ، والنجاة لهم ، ولن تكون كذلك في أي وقت . . وأنها حل طاريء ومؤقت . وإذا ما كان المسن هو الذي يطلب ذلك ، وتفاهم مع الأبناء علي ترجيح الإقامة في بيت رعاية المسنين . . فيجب إحترام رغبته ، ولكن بشرط الا يُترك هناك دائماً ، وحيداً . . وكانه مقطوع ، لا جذور له ، ولا اصول . . بل يجب زيارته ، من حين لآخر ؛ بشكل عائلي . . وخاصة في المناسبات الدينية كالعيدين ، والمولد النبوي ، والمواسم التي يُراعي فيها أي نوع من الإحتفال . . ففيها ، إما ان يُزار حيث هو ، أو يتم إصطحابه حيث بيت العائلة ليقضي وسطها هذه المناسبة . . فإذا ما تم ذلك ، فسيكون له مردوده النفسي ، والحسي ، والإجتماعي الطيب . . ويخلق نوعاً من السكينة والإطمئنان الروحي لدي الجميع . .

- المطلقة .. اليتيم .. والوحيد .. والأرمل :

– مَنْ مات عنها زوجها فهي سيدة "أرمل "أو ثيب أما مَنْ انفصلت عن زوجها . أو انفصل عنها زوجها لسبب من الأسباب فتسمي "مطلقة" المجتمعات الإسلامية لا تحبذ الطلاق ، ولكن لاتمنعه ، أو تحرمه . . «آبغض الحلال عند الله الطلاق» وللمطلقات حقوق أقرها لهن الاسلام ، ومن هنا لا ننظر إليه علي أنه تراث . . أو قيم . . فالمرأة الأرمل ، أو المطلقة لا تختلف في طبيعتها الأنثوية عن أي إمرأة آخري . كل ما هنالك أن السيدة الأرمل ، والتي مات عنها زوجها . . وخاصة إذا كان الموت استشهاداً في سبيل الدين ، أو الوطن ، أو الواجب فإن المجتمع ينظر اليها ، ويتصرف نحوها تصرفاً في غاية الخصوصية .

فعلية القوم في الحي ، أو القصبة ، أو القرية جنباً إلي جنب مع المسنين ، وإمام المسجد ، وخطيب الجامع ، وشيخ البلد ، والعمدة الجميع يتعامل مع الآرامل ، وكأنهن بناتهن ، ومشكلاتهن بالنسبة للجميع نفس مشاكلهم . . لها الأولوية في الحل ، أو البحث عن الحل . . الجميع يحرص علي عدم إيذائهن ، والوقوف ضد

الطامعين فيهن يسعي الجميع ويسارعوا إلي مساعدتهن .. وخاصة إذا كان لهن أطفال.. هنا يتغير الوضع تماماً .. فهي أم اليتيم .. وكأنها أم البطل .. فاليتيم ، والمسكين في التراث الإسلامي الأسري في مكانة محببة إلي نفس المسلم ، والمؤمن ، بل في نفس كل مَنْ يملك نفساً إنسانية .. فالأرملة ، واليتيم قد توحدا في نفس بشرية واحدة .. منذ ظهور الإسلام .. وعلي مر العصور التالية .. خاضت الجيوش الإسلامية حروباً عديدة، أو فرضت عليها حروباً عديدة ، قدمت فيها الأسر ، والعائلات الشهداء .. وترك هؤلاء الشهداء من خلفهم ؛ أمهات ، وآباء .. وزوجات، وأبناء . لقد أصبح هؤلاء جميعاً أمانات مقدسة في أعناق الجميع .. هم أبناء الشهداء .. هن زوجات الشهداء وأمهاتهم .. وفي الأزمنة الأخيرة التي فيها الإرهاب والتعصب ..والحرب المغرضة .. قدمت الأسر ، العديد من شهداء الواجب ، من رجال الجيش ، والأمن المركزي ، والبوليس ، ويعتبر المجتمع أن أبناء هؤلاء الشهداء هم أبناءهم يمنحونهم ما يستحقونه من العناية ، والرعاية ، والعطف ، ويحتفلون بهم ويكرمونهم – خاصة المتفوقون منهم – في كل المناسبات . بل إن أمهات الشهداء ، حتي وإن لم يمت أزواجهن فهن يلقين من الرعاية ، والاحترام ، والتبجيل الشيء الكثير.. وهن يستحقنه . فهن أمهات الأبطال .. وأمهات الشهداء .. فللأرامل ، وأمهات الشهداء ، والمساكين الذين لا يملكون قوت يومهم مكانة عالية في الإسلام .. فالرسول ﷺ يتمني أن يُحشر يوم القيامة مع المساكين .. ومكانة المسلم الذي يجري علي الأرامل ، أو علي الوالدين في أمر المعاش يوازي عند الله الجهاد في سبيل رفعة الدين . ومن العادات ، والقيم المحببة في المناطق الزراعية ، هو السعي ، والمعاونة في إنجاز الأعمال الفلاحية للأرمل ، واليتيم ، والمسكين ، ويعتبرون ذلك من الآعمال التي يصونون بها شرف القرية ، أو القصبة ، أو الحي كله ، فالتسابق في ذلك محمود ، والتخلي عن ذلك مزمة .

أما إذا ما انتقلنا إلي اليتيم ؛ الذى توفي عنه والده ؛ فالتراث الاسلامي ، وقيم الشرق ، وحضارته تُعطيه مكانة قل أن نجد لها مثيلاً في الحضارات الأخري .. فرعاية اليتيم ، والحفاظ علي ماله حتي يشتد عوده من المكرمات .. وأكل مال اليتيم من المنهي عنه إلا بالمعروف .. وكافل اليتم ممن يحشرون مع النبي ﷺ ويكونون في صحبته ﷺ يوم القيامة ، وفي رياض الجنة .

وإلي جانب التلقي الديني ، فالتراث الشعبي ، والعادات ، والتقاليد في كل المجتمعات الإسلاميه تحض علي الحفاظ علي مال اليتيم .. وفي المجتمعات الزراعية تجعل مجرد المرور من أرض اليتيم شبه محرم .. وتحض علي رعايته ، ومساعدته والحنو عليه .. وتأصل ذلك في التراث الاجتماعي لكل المجتمعات الإسلامية.. فمحمد ﷺ كان يتيم الأب ، ثم ماتت عنه أُمه ، فاصبح يتيم الأبوين .. وانتقل حب اليتيم منه ﷺ إلي أُمته .. وجعل كافل اليتيم سواء كان من آقارب اليتيم أو من الغرباء عنه معه في الجنة وملازم له كتلازم إصبعيه الشريفين "الشهادة والأوسط إلي أن يرث الله الأرض وماعليها " .

جعل الإسلام الأرمل ، واليتيم والمسكين ممن يستحقون الزكاة ، والصدقة . بل ويحض علي تقديمها إليهم . وجعلت قيمنا التراثية ، والدفاع عن الأرمل ، واليتيم والمسكين من سمات الشهامة والرجولة ؛ والبطولة ، وخاصة إذا كان الوقوف بجانبهم ضد ظالم ، أو طامع ، أو مغتصب ، وقدمتهم في الحماية والمؤازرة على الاقارب ..

ومما لا شك فيه ان هذه العنعنات الدينية ، والتراثية قد إنتقلت إلي دساتير وقوانين مجتمعاتنا الإسلامية علي إختلاف منابعها ، وتوجهاتها ...وجعلت رعاية الأرمل ، واليتيم ، والمساكين ، وكفالتهم من الشئون ، والأمور الإجتماعية المقدمة عن سواها .

في بعض التعريفات التراثية ؛ "أن اليتيم الحق هو مَنْ ماتت عنه أُمه " فالمحروم من حب، وحنان الأم كمن حرم من متاع الدنيا كلها . فالأم هي أقرب مخلوق إلي الطفل.. هي مَنْ تخالطه ، وترعاه .. وتلازمه .. بعد أن حملته ، واحتضنته ، وارضعته ، وغذته من رحيق روحها .. وسقته من ينابيع فيضها وحنانها .. هذه كلها أُمور لا يقدر عليها الأب .. إلي جانب كون الأب خارج البيت معظم وقته .. من هنا جعلت مجتمعاتنا النظرة إلي الطفل اليتيم الأم مقرونة بالشفقة ، والعطف والمرحمة وجعلت مجرد البشاشة فى وجهه فريضة ، وواجب إنساني .. وحتى في أمر الحضانة ، إذا لم تكن جدة الطفل ، أو الطفلة موجودة ، جعلت الحضانة للخالة.."فالخاله نصف أم " كما أن " الخال والد " أي أن القيم التراثية جعلت قرابة

الأم مقدمة علي قرابة الأب في أمور الحضانة ، والرعاية ، والعطف ، والحنان. وإن جعلت أمور الرعاية المادية في قرابة الدم ، والنسب «أي الوالد» ، مقدمة علي قرابة الأم ، بالرغم من هذه الأمور الخلافية . فإن إظهار الحنان ، والرعاية ، والعطف كلها تصرفات حضارية منتظرة من الجميع تجاه اليتيم ..

* * *

إن الإنسان منذ أن عرف التوطن ، والإستقرار ، وهو يقضي نصف حياته ، بل أكثر من النصف في السكن الذي إرتضاه لنفسه .. ومن هذا المنطلق إختلف السكن في شكله ، وأثاثه ، ونظامه الداخلي وفقاً لاختلاف ثقافات المجتمع . إذا ما أستثنينا المجتمعات البدوية ، أو الرعوية المرتحلة .. لأمكننا تعقب عمارة السُكْنَي أو العمارة المدنية في المجتمعات الإسلامية بسهولة ويسر ، فبطون الكتب ، والمخطوطات .. وأطلال الماضي ، ومخلفاته المعمارية تعطينا فكرة واضحه عن البيت أو الدار .. أو المنزل . أو السكن الذي كانت – ومازالت في بعض المجتمعات – تقطنه الأسرة ، أو العائلة . فالبيت كانت تقسيماته الرئيسية عبارة عن ؛ غرف ، منضرة = صالون ، صوفة= صالة ، مَضْيَفَةَ ، حوش ، عزبة . عنبر ، مخزن إسطبل ، طويلة = طاولة = زريبة = حظيرة ، عشه للطيور ، مطبخ ، فرن ... هذه المفردات موجود ما يقابلها في اللغات الإسلامية الآخري كالفارسية ، والتركية ، والأوردية .. الخ وهذا يدل علي أن التقسيم المعماري للبيت الشرقي الإسلامي ، واحد ، أو علي الأقل متقارب .. ولم يكن المواطن ، أو الساكن الشرقي يفكر في الأزمنة السابقة في مسكن بلا حديقة ..

كانت العائلات تفضل السكني في بيوت خاصة بها .. كانت هذه البيوت تراعي المراحل العمرية لكل أفراد العائلة ؛ فللكبار ، والمسنين أماكنهم التي تمكنهم من الخلود إلي الراحة ، والعبادة والتأمل ، وللشباب غرفهم التي تطل علي الخضرة الي يهرعون إليها بعد الكد ، والتعب ، والنَصَب ليرتاحوا فيها بالنظر إلي الآشجار المثمرة ، والأزهار اليانعة .. وكنت تجد في البيوت القديمة الزوايا ، والأركان التي يلعب فيها الصغار دون أن " يُجننوا أو يُذهبوا بعقول الكبار » ..

كرم الضيافة ، وعنعناته تحتم إستقبال الضيف وقتما حل .. دون التقيد بموعد أو زمان معين . ومن هنا راعت العمارة الإسلامية . وبركة الضيف ضرورة وجود مَضْيَفة ، أو " علي الاقل غرفة " لاستقبال الضيوف ، وقتما حلّوا .. وصول الضيف لا يُسبب اي خلل في نظام البيت بل هو بالنسبة للجميع – وخاصة الأطفال – إحتفال وبهجة العائلات التراثية لا تشتري احتياجاتها يوماً بيوم ، بل تُخزن في

المخازن، وغرف الكيلار = "الكرار" مخزونا موسمياً .. في الصيف يحفظون طعام الشتاء .. لابد لكل بيت من حظيرته أو علي الأقل عشته .. فكل عائلة لابد وأن تغطي احتياجاتها من الألبان ، ومشتقاتها ، والبيض ، والطيور من إنتاجها الذاتي .. كان من العيب أن تُشتري مثل هذه المنتجات ... علي الاقل في القري ، والنجوع ، والكفور وبعض المراكز ما زالت هذه الأمور مرعّية ، ومطبقة .. هذا إلي جانب ان هذه الامور تنمّي في الأطفال والأبناء حب الحيوانات ، والطيور وكيفية تربيتها ، ورعايتها ..

علي الأقل لابد أن يُربي في البيت قطة = "هرة"أو كلب أو كليهما معاً.. وفي الحديقة تغرس بعض الأشجار إلي جانب أشجار الفاكهة ، والزهور ، وعشة صغيرة للدجاج ، أو الآرانب .

لم تهتم العمارة الإسلامية بصفة عامة بالمظهر الخارجي للدور ، بل ركزت جل اهتماماتها ، وزخارفها ، وتراثها للقسم الداخلي للسكن .. إن المتاحف الاسلامية التي تزدان بها معظم عواصمنا الإسلامية . تزخر بالنماذج التي تعكس لنا نمط حياة الأجداد ، ومعتقداتهم .. ونظرتهم إلي الحياة ، وقيمهم الجمالية وتلقيهم للجمال ، والذوق .. ومشغولاتهم اليدوية ،، ومنسوجاتهم المتعددة .. فلقد كانت بيوتهم ، هي في نفس الوقت ، ورشهم الفنية .

إن الحياة الاجتماعيةالقديمة قد ربطت الفرد ببيته إلي أبعد مدي .. فالبيت ، أو الدار ، تعني الحضور ، والسكينة ، تعني الزوجة التي نسكن إليها .. والأولاد ، والأباء ، والأجداد الذين نحبهم .. ولهذا.. وبالإضافة إلي ماسبق قوله .. فقد راعت العمارة الإسلامية ظروف البيئة ، والمناخ .. والطقس .. ومفاجئات الطبيعة من حرائق ، وسيول ، وزلازل .. ومن هنا كان داخل البيت ؛ من زخارف ، وزينات ، ونقوش ، ومحتويات ، ومقتنيات هي خير ما يعكس لنا حتي اليوم نمط حياة ، وتفكير ، وسلوك ، ومعتقدات ، ونظرة الأجداد إلي الحياة .

إن إنسان المجتمعات الشرقية الإسلامية ، كان يستمتع في داره.. ومن هنا حرص علي أن تكون الدار مرتعه ، ومعمله ، في أحد أركانها يستمتع باصلاح ما فسد من آثاث البيت .

معداته .. في أحد شرفاتها يكتب خطاً جميلاً ، أو يذهب مخطوطة بديعة .. أو يعمل علي نول ، أو مغزل فيبدع سجادة ، أو بساطاً ، أو كليماً ، أو جلباباً .. تُطرز في سهراتها الجوارب ، والمفارش ، والطرح ، والملاءات والستائر .. الأيد تعمل في الدار حُبّاً في العمل .. ومتعة بالعمل .. وترتفع الأكف حمداً لله علي الهبة .. والرزق .. والمشاركة في صنع الحضارة ، ووضع لبنة في رُقيها .. أو رسم بَسْمة علي وجوه صانعيها أينما كانوا .. مرت الآيام .. وتغيرت الظروف ، والمفاهيم في الأيام المعاصرة .. وتحت وطئة الظروف الإقتصادية ، والإجتماعية تم الزحف من القرية الي القصبة ومنها إلي المدينة ، ولم تعد هناك دور واسعة إلا بالنذر القليل جداً .. تغير مفهوم السكن تماماً .. لم يعد النمط السائد في عمارة السكن .. هو البيت أو الدار، بل أصبحت الشقة في الدَوْرَ .. والدور أي الطابق في العمارة أو البرج .. أو ناطحة السحاب ، هو نمط السكني السائد ..

لم يعد في الإمكان ، أو المقدور وجود هذه المساكن الفسيحة الواسعة .. البرَحة.. اختفت من معاجم العمارة إلا في القليل النادر مفرَدات القصور ، أو البيوت ، أو الدور.. وحل محلها التجمعات .. العشوائيات .. البلوكات .. الأبراج العمارات.. الطوابق .. الشقق . أصبح تربيه الحيوانات أو الطيور ، أو النباتات أمراً مُرعِباً .. مُزْعجاً .. مُكَلِّفاً .. إن السكن في العمارات الحديثة أصبح له متطلباته الآخري .. أردت أو لم ترد فانت حبيس الجدران .. تشم رائحة الخراسانة ، والبلاستيك ، يأتيك من الخارج ثاني أوكسيد الكربون مع الغبار.. وآلاف الملوثات ، ملوثات النظر ، والسمع ، والبيئة ..

إن حياة المدينة ، وليس التمدن ، هي التي سادت ، أصبحت الآعمدة الخراسانية تقوم مقام الأشجار السامقة ، وأضحت ، وأمست نسائم الرصاص . وغبار المصانع ، وعوادم المواصلات تهب علي الساكنين بدلاً من نسائم الصباح والمساء .. لم تعد المدن تُطاق .. لم يعد الجو ، أو الهواء فيها صالح للتنفس .. لابد من مراعاة أبسط قواعد التشجير ، ومساحات الخضرة .. ووسط العمارات ، والأبراج ، لابد أن نلمح الزهور والأشجار ..

* * *

نظافة المسكن

إن حياة العمارات ، والسكن في التجمعات ، والابراج السكنية في الوقت الراهن ، تفرض علينا بعض التصرفات الحضارية التي يجب مراعاتها ، والتاقلم عليها ، ومعايشتها .. لم يعد السكن في حاجة إلي تخزين المؤن لزمن طويل .. أو يتسع لمقام ضيف تطول إقامته .. ولم يعد الجيران يطيقون سماع نباح كلب ، أو مواء قطة .. أو رائحة سلح دجاجة ، أو حمامة ، أو بطة .. ولكن مازالت هناك بعض الشرفات ، أو البروزات ، أو الأركان التي يمكن ان نضع فيها غرسة ، أو زهرة .. يجب أن نحافظ علي نظافة مسكننا عل أقل تقدير .. لو لم ننظف الممرات .. أو نغسل السلالم والبسطات فماذا يمكن أن يكون عليه الحال ..

لابد من مراعاة الظروف الجديدة .. ونحاول ان نجعل لها تراثاً ، وأعرافاً ، وان نستمر في ديمومة الممكن من التراث الماضي . الأجداد قالوا "تَعْرِف الأسدَ من عرينه " والدين قد جعل النظافة نصف الإيمان .. إذا كان الأمر كذلك .. فاول ما يمكن ان نقف أمامه في نظافة البيت ، والأسرة هو مكمن الخطر عليهما .. إن مكمن الخطر ، ومرتع الأمراض ، وتكاثر الميكروبات هو عدم النظافة .. إن نظافة المكان الذي نسكنه، والمحيط الذي نعيش فيه ، هو خير وقاية من الخطر الذي يتهددنا ..

علي كل فرد في المنزل ، أو فى السكن الذي نقيم فيه ، بصرف النظر عن المسمي أو المستوي ، أن يحافظ علي نظافة المكان الذي يستخدمه والأجزاء المتعلقة بهذا المكان كالحمام ، والمرحاض ، والأركان ، الخ .. القدماء قالوا "لا تخرج من المرحاض قبل أن تنظر خلفك" . وعليه فكل مَنْ يُقيم في المسكن مسئول عن نظافته ؛ وتنقسم هذه المسئولية إلي :

أ- عدم وساخة المسكن ..

ب- نظافة أو تنظيف المسكن .

ا- عدم توسيخ المسكن

- لا تلج إلي داخل المسكن بحذاء كنت تلبسه ، وأنت قادم من الشارع ، بل إخلع

نعليك، وأنت علي الباب.. لا تدخل إلي الغرف وأنت في ملابس ، ملوثة أو مبللة..

– يجب أن تترك الحمام ، والمرحاض ، والحنفيات نظيفة بعد استخدامك إياها .. ولا تترك العب ء علي الغير دائماً

– لابد من توفير مواد النظافة ، ومناشف تتناسب مع . ادوات المطبخ ، كلٍ حسب استخداماته ..

– عند إستخدام الآخشاب ، أو الفحم في المواقد ، والدفايات أو الشوايات فيجب الحيطة ، وعدم توسيخ المكان المستخدم .

– يجب إستخدام أكياس القمامة عند تجميعها .. وأن تكون صفائح القمامة موضوعة هى الاخرى فى أكياس بلاستيكية عند استخدامها .

– يجب فصل مواد القمامة ، ووضع الزجاجيات ، والمواد الحادة في أكياس مستقلة.. وعند إمتلاء الأكياس تربط فوهاتها جيداً ، قبل أن توضع في براميل القمامة العامة ، يجب أن يتعاون الشباب ، والأباء في مثل هذه الأمور ..

– لابد من غسل صفائح القمامة ، ومعدات جمعها من حين لآخر .. ويراعي ضرورة إرتداء القفازات البلاستيكية ، والمرايل عند القيام بهذه الأعمال .

– إذا كان في السكن بعض الحيوانات ، لابد من مراعاة تنظيفها .. وتنظيف أماكن رقادها ، ومعداتها .. مع مراعاة أماكن تأدية حاجاتها وتنظيفها فوراً ..

– إذا كان البيت حريص علي تربية بعض النباتات لابد من العناية بها .. والقيام بالنظافة اللازمة .. ، مراعاة ما تحتاجه من ماء ، وتسميد ، وتشميس .. الخ ..

– لابد من وضع المطبوعات كالجرائد ، والمجلات ، والمطبوعات الدائمة كالكتب والدوريات إن وجدت في الأماكن المخصصة لها .

– عدم إلقاء الأوراق ، أو أعقاب السجائر ، أو مخلفات الأقلام ، ومناديل الورق في أي إتجاه .

– لابد من وضع أسبات بلاستيكية في الغرف ، والحمام ، والمرحاض والمطبخ ، وتعويد الصغار علي إلقاء المخلفات فيها ..

– إذا كان للمسكن حديقة ، لابد من مراعاة تنظيفها كالمسكن تماماً ، والحرص علي متابعة ذلك ..

– عدم الكتابة ، أو الرسم علي الجدران من الداخل أو الخارج ..

– بقدر الإمكان .. بل لابد من استخدام الصابون في كل وقت ، وفي كل مكان ..

– عند كنس المكان ، أو تنفيض السجاد ، والأكلمة لابد من إزاله الأتربة حتي لا تضر بنفسك ، وبالآخرين بصفة خاصة .

– عدم إلقاء أي مخلفات ، أوصب ماء ، أو تنفيض الأبسطة من النوافذ ..

– عند تنظيف أو غسل شرفة مسكنك ، يجب مراعاة عدم صب المياه بالشكل الذي يؤذي الآخرين ..

– إذا كنت تسكن في عمارة سكنية ، يجب عدم توسيخ الممرات ، أو السلالم ، أو المصعد بحذاء موحل .. بل يجب بذل الجهد ، والعناية للحفاظ علي نظافة العمارة، والأجزاء المشتركة فيها . وتطبيقاً للقاعدة .. "الوقاية خير من العلاج" .. يجب أن نبذل قصاري الجهد للحفاظ علي المكان نظيفًا .. فالتنظيف هو الجهد التالي للمحافظة علي النظافة .

ب- تنظيف المسكن

هناك عمليتان للنظافة ؟

١– التنظيفة الكبيرة .

٢– التنظيفة الصغيرة .

وتكون التنظيفة الكبري بصفة عامة :

أ– عند انتهاء الشتاء والإستعداد للصيف .

ب – عند انتهاء الصيف والدخول في الشتاء .

أ- تنظيفة الصيف

في المجتمعات الاسلامية ذات الأجواء الباردة ، والتي تحتم استخدام المدافيء بأنواعها، والتي يترتب عليها دخان ، وهباب .. وما شابه ذلك ، فلابد من الدهان ، والبياض وما شابه ذلك ..

– رفع الأغطية الصوفية ، والسجاجيد ، والأكلمة ، وتنظيفها ، وحفظها ..

– حفظ الملابس الشتوية كالبلاطي ، والمعاطف ، والبلوفرات والأبوات ، والأحذية الشتوية بعد تنظيفها ..

– إخلاء دواليب الملابس وصناديقها .. وغسل وتنظيف مفارشها ، وإعادة ترتيب محتوياتها ..

– غسل الستائر ، وما شابه ذلك ..

– حفظ الملابس الصوفية بعد وضع النفتلين لحفظها من العتة .

– إعادة تنظيف البيت من القمة حتي القاع كما يقال . تتم كل هذه الأعمال تحت إشراف الأم ، وبقية أفراد الأسرة .كلٍ يشارك حسب مقدرته ، وخبرته .. فمثلاً أعمال البياض ، والبويات تقع علي عاتق الذكور ، بينما أعمال الغسيل ، والمكواة ، والترتيب تقع علي عاتق الإناث .

ب- تنظيفة الشتاء

عقب إنتهاء موسم الصيف ، وقبيل الدخول في موسم الشتاء ، تبدأ عملية النظافة الثانية .. وأغلبها متعلق بالتدفئة ، في المناطق القارسة البرودة ، تتم عمليات الصيانة لمعدات التدفئة ؛ المدافيء .. أجهزه التكييف ، تخزين لوازم التدفئة كالفحم أو الخشب ، أو الجاز ، أو الغاز وتخزينها في الأماكن المعدة لذلك .

– القيام بتنظيف مواسير ، ومداخن المدافيء ..

– غسل الستائر وما شابه ذلك .

– إعداد وتجهيز النباتات التي في الحديقة أو الأركان لدخول الشتاء .

– رفع الملابس الصيفية ، وحفظها بالشكل المناسب ، وإخراج الملابس الشتوية ، وإعدادها للإستخدام . .

– معاودة تنظيف أعماق المخازن ، والعنابر ، والأركان وتحت الأسِرة ، وخلف الدواليب ، وخزائن الكتب وما شابه ذلك .

٢- التنظيف الصغير = البسيط

تنقسم هذه العملية إلي :

أ– تنظيف يومي ،

ب – تنظيف أسبوعي ،

جـ – تنظيف شهري .

وتشمل الملابس ، والأرضيات ، ومسح الزجاج، إزالة الأتربة ، تنفيض السجاجيد، والأبسطة ، والأكلمة . . تلميع أدوات المطبخ ، والبانيو ، والحمام ، والتواليت والأرضيات الخشب ، وجلي النحاسيات ، والأدوات المنزلية . . وتلميع الموبيليات .

– تنظيف الغسَّاله ، والثلاجة = البرادة أي إعادة التشغيل بعد التنظيف . . والتركيز علي نظافة الأجزاء البيضاء .

يمكن ان يُشارك كل أفراد العائلة في مثل هذه الآعمال بانفسهم كل حسب طاقته، وقدرته حتي لا يذهب جزء من ميزانية الأسرة إلي الخارج ، مقابل هذه الأعمال : كلها علي عاتق الأم وحدها فتُرهق الأم وتتعب من جراء ذلك . ويمثل ذلك ظلماً لها يجب ألا ننسي ، أن المسكن مال مشترك ، ما عدا الأجزاء ، والأشياء الخاصة جداً . . ويجب الترفع ، والتعالي علي الآنانية ، والذاتية في هذا المكان المشترك . وإنطلاقاً من هذا الإشتراك أو المشاركة في الإنتفاع ، والإستخدام لابد أن تكون هناك مشاركة في تحمل مسئولية الصيانة ، والنظافة ، والحفظ ، والعناية ، وأن يبتعد الجميع عن أي تصرف فيه ضرر بميزانية الأسرة . . أو تحميلها مالا تطيق . ويداً في يد نتعلم إلي جانب النظافة ، والنظام . . التعاون في العمل الجماعي . .

* * *

الشارع ... الحي ... المدينة
الجيرة ... الجوار

إحدي المنمنمات التراثية ، تُشبه الأحياء القديمة بالدولة . . أجهزة هذه الدولة هي؛ الإمام ، شيخ الحارة ، هيئة الكبار = هيئة المسنين ، الحارس = الخفير . . المسنون هم المتحدث الرسمي عن التجربة ، والتوثيق . . وماضينا ، أما الشباب فهم المتحدث باسم القوة ، الإثارة . . الفتوة . . والمستقبل . . أما الوضع الراهن فيتحدث عنه مَنْ هم في متوسط العمر . .

الإمام ، يعيش حياة سكان الحي ، حلوها ، ومرها . . في الميلاد . . وإختيار الإسم ، والختان . . والفرح ، والجنازة ، وكتَّاب الحي ، وتحفيظ القرآن . . وفي إقامة الصلوات الخمس . . أي أنه مع سكان الحي في الحشر ، والنشر . . هو العنصر النشط ، والفعَّال في فض المنازعات . . وحلِّ المشاكل . . ورأب الصدع في العلاقات . . والحسم في الخصومات . . والمصالحة في الدعاوي . . والمديونيات . .

إن الحي كان يحمل مفهوم العائلة الكبيرة ، التي كبرت بعض الشيء . . الكل يعرف بعضهم بعضاً . . مما لاشك فيه تعلو فيه آصوات كثيرة . . ولكن صوت الإمام ، وشيخ الحي هما الآعلي . معزوفات ثنائي [الإمام – وشيخ الحي] هي الأقوي ترددا . . الكل يصغي لها . . يستمتع بسماع ما يصدر عنهما . . ألحانهما هي التراث ، وشيخ الحارة . . أو الحي ينصح آصحاب المشاكل . . يوضح مسالك الدروب ، يزيل العقبات . . هو في دأب مستمر ، وكأنه ميزان الحي ، أو الترمومتر الذي يقيس حرارة العلاقات بين سكانه . . يعرف كل العائلات عن قرب ، بمساعدة هيئة الحكماء . = المسنين . . هو الذي يضبط موازين العلاقات . . ويوازي أو يوازن بين كفتي الميزان . . يعقد مجالس الصلح بمعاونة هيئة الحكماء ، والدعم الديني للإمام . . الحارس . . أو الخفير . . هو صاحب الأبواب المفتوحة ، ومراقب الأموال المتروكة في العراء . . هو عين المختار = شيخ الحي . . أو شيخ الحارة . . أو شيخ البلد . . أو العمدة . . الذي تري وأذنه التي تسمع دبيب النملة . . ويده التي تمسك بزمام الأمور ، وتلابيب الخارجين علي الأصول ، والعادات، والتقاليد . .

إن الذين يعيشون الأفراح ، والأتراح ، يفرحون .. ويبكون معاً داخل الحي .. يشهدون الميلاد .. ويودعون الأموات معاً لا تخلو حياتهم آيضاً من المنازعات .. والمناوشات ، وصراعات المصالح .. ومعارك الحياة .. ولكنهم أيضاً يملكون إمكانات حلها .. الكل يعرف الآخر .. تلعب العلاقات الموجودة بين منظومة القيم المتوارثة ، والمتشكلة ، عبر آجيال متعاقبة بين العائلات ، دوراً منظماً ، في تصفية كل هذه الخلافات ، لقد فقدت الأحياء ، وخاصة في مدننا الكبيرة ، كل هذه المميزات ، والصفات الأصيلة ، ولكن ما أحوجنا إلي إعادة هذا التراث الخيِّر .. إننا في أمس الحاجة لإعادته ، وتنشيطه ، وفقاً للظروف الحديثة ، والإمكانات الجديدة المتاحة من أجل خلق وتنمية مجتمع أكثر سلامة وأمناً . وترابطاً .. إننا في أمس الحاجة للبحث عن الطرق والوسائل التي تُقرب – إن لم يكن بين أهل الحي ، فبين أهل الشارع ، أو الحارة .. لكي يعرفوا بعضهم بعضاً .. لكي يحبوا بعضهم بعضاً .. لكي يتصافحا بعد صلاة الجمعة .. لكي يسألوا عمن غاب .. نحن في حاجة إلي إستمرار العلاقات الإنسانية بين أهل الحارة ، أو الشارع .. لكي نبارك أو نعيِّد علي بعضنا البعض في الآعياد ، والمناسبات السعيدة .. لكي نعود إلي مشاركة بعضنا البعض في السراء والضراء .. نفرح معاً ونشيِّع جنائزنا معاً .. نعود مرضانا .. ونودِّع موتانا سوياً .. مثل هذا التقارب ، والتعارف ينعكس أمناً ، وسلاماً علي أطفالنا في الشارع ، وفي الحي .. نأمن علي نسائنا .. وبناتنا من مفاجئات العودة إلي بيوتهن فرادا .. نأمن علي أموالنا التي نتركها أمام مساكننا .. لا نخاف من البائع المتجول ، أو العامل المتوغل داخل مساكننا .. لا نخاف من مهني يعرف مداخل البيت .. ومتي يغـــيب الرجل أو الزوج .. لا نتوجس خيفة من كل غريب .. ولانخشي قطع الطريق ..

إن الانسان هو أحوج مخلوقات الله إلي التآلف والتعايش .. في أمس الحاجة إلي بعضهم البعض .. إن حب البشر .. يبدأ بذوي القربي .. والجار الجنب .. والجار .. حتي سابع جار .. كاد الجار ان يُوَرث في جاره ، فكيف ونحن لا نعرف الجار الجنب .. إذا ما بدأنا بحب ذوي الرحم ، وذوي القربي المكانية .. وأتسعت الدائرة لتشمل الحارة ، أو الشارع أو الحي .. لا نطبق علينا وصف الانسان المتحضر المثقف .. إذا ما تم ذلك ، لأصبحت حياتنا في مسكننا مكملة لسلوكنا في الحارة ..

أو الشارع .. أو الحي .. أو بشكل آخر تصبح حياتنا في الحارة ، أو الشارع .. أو الحي .. هي إستمرار أو إمتداد لحياتنا في مساكننا الخاصة بنا .. تتوحد ، وتتوائم سلوكياتنا في كليهما .. بلا تناقض .. أو إغتراب .. وسينعكس كل هذا علي نظافة حارتنا .. وشارعنا .. وحيِّنا .. ومدينتنا ويصبح الكل في واحد حقاً ، وصدقًا .. قولاً .. وسلوكاً .. بهذا المفهوم .. تكون عمليات تنظيف المسكن عنصراً مهماً من عناصر نظافة الحارة .. والشارع ، والحي .. والمدينة وكما نحرص علي نظافة المسكن .. سنشمل الحي .. والمدينة بنفس الحرص .. فنبدأ من باب الشقة .. إلي باب العمارة وتتسع دائرة الإهتمام بالنظافة لتشمل الحارة ، فالشارع ثم الحي فالمدينة .. وبهذا نكون قد طبقنا النصف المعطل في الإيمان .. فقد سبق القول .. النظافة ليست من الايمان فقط .. بل النظافة نصف الإيمان .. ولكي تتسع دائرة النظافة يجب مراعاة ما يلي :

– يجب المحافظة علي أمام الأبواب نظيفاً ..

– ربط أكياس القمامة ، ووضعها في الأماكن المخصصة لها ..

– يجب عدم الكتابة ، أو الرسم علي الجدران مطلقاً ..

– يجب عدم السماح للباعة المتجولين بإلقاء المخلفات في الشوارع .. ومقاطعة مَنْ يفعل ذلك ..

– ضرورة الحيلولة دون إحداث ضوضاء أو صخب ..

– يجب ذبح الآضاحي في الاماكن المعدة لذلك ، سواء في العمارات .. أو المدينة عامة ..

– ضرورة استهجان البصق .. أو النَّف في الشوارع ..

– عدم إلقاء مخلفات المشروبات ، والمأكولات و فوارغها ، وعبواتها في الشوارع والطرقات .. بل وضعها هي وأي أوراق أو مناديل ، أو محارم في الأماكن المعدة لذلك.. وكذا علب الكرتون .. والزجاجات .. والصفائح ؛ يجب الا يُلقي بها في الشوارع ..

– علي الذين يهتمون بتربية أي حيوانات الا يلقوا بفضلاتها في أي مكان مشترك .

– عدم التدخين ونحن نسير في الشوارع ،

– يجب حماية مواقف الحافلات .. وأكشاك الهاتف نظيفة وحمايتها من أى تعديات ..

– كما يجب حماية ، وصيانه أي تراث ثقافي غير منقول يزدان به الحي كالقصور ، والأسبلة ، والجوامع والمكتبات .. فهي تراث مشترك .. ويجب السعي إلي إعادة إحياء نشاطها لو كان معطلاً .. والتعريف به لدي الجميع علي أنه مال عام.. له وظيفة ثقافية قومية ..

– يجب بذل المساعي الجماعية من اجل إمكانية تكوين مؤسسات ، ومنشئات صحية ، ورياضية في الحي مثل حدائق أطفال ، أو ساحة كرة طائرة ، كرة سلة ، أو مركز طبي ، لخدمة أبناء الحي ، وتكون بشكل تعاوني .. وإذا كانت مثل هذه المنشآت موجودة ، فيجب تحمل مسئولية الصيانة ، والرعاية بشكل جماعي ، من قبل شباب الحي أو القرية أنفسهم .

– يجب تعويد الأطفال علي عدم مطاردة الطيور المهاجرة ، أو ترويعها ، وكذا عدم هدم آعشاش الطيور المحلية ، بل يجب تأسيس أعشاش ، ومساقي لها ..

– يجب عدم القيام بأي ضوضاء ، أو إستخدام سيارات تحدث ضوضاءً ، أو تلوث البيئة المحيطة ، بعوادمها .

ومراعاة عدم استخدام الكلكسات بشكل مزعج ، أو ركن السيارة في الممنوع أو فى مكان يُسبب إزعاجاً للاخرين...

وعلي الجميع التعاون في حماية المساحات الخضراء ، والأشجار والأزهار الموجودة ، وعدم السماح بقطفها .. أو قطعها أو كسرها . وإذا لم تكن موجودة ، فيجب غرسها في اي مكان يمكن غرسه بها ..

– بل يجب بذل الجهد لتعويد الأطفال ؛ والصغار علي حب الخضرة ، والأشجار ،

والأزهار وحماية الموجود ، وتعميم الخضرة حيث يجب ان تكون سمة الجمال موجودة.. وأن تعمم الحدائق الصغيرة في الأماكن المناسبة .. ويجب تجميع الجميع نحو هذا الهدف ..وتشجيعهم ، ومكافئتهم علي ما يقوم به المتفوق منهم .. وتعويدهم علي عدم إلقاء أي مخلفات في مياه البحر أو النهر ، أو البحيرة .. أو ترك قمامة علي الأرض ، أو في أماكن النزهة ، أو المعسكرات .. ويجب إحضار اكياس قمامة ، ووضعها في المتنزهات .. وإعتبارها هي – ودورات المياه العامه كجزء من منازلنا الخاصة . وعدم إلقاء مخلفات من السيارات ، أو الحافلات ، أو وسائل الشحن، والنقل المختلفة ..

– يجب ان تتضافر جهود سكان الآحياء ، والقري من اجل حل مشاكل البيئة ، وعدم تلويثها .. وشرح مفاهيمها بشكل مبسط ، لكافة المستويات ، حتي نصل جميعاً إلي فهم مشترك ، حول قواعد المحافظة علي البيئة .. وان يكون ذلك واجب المواطنة الحقة .. والإنسان المعاصر الذي يحب بلده ..

- الجوار .. أو .. الجيرة .. الجار :

التراث الشعبي الإسلامي بكل لغاته فيه ما يفيد معني (قبل شراء الدار ، إسأل عن الجار) أو قبل الدار إسأل عن الجوار .. فالجوار أهم من الدار في حياة البشر ، وللجار في الاسلام مكانة عالية لقوله تعالى ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ** ﴾ [النساء آية ٣٦] ؛ فالآحاديث النبوية الشريفه تحض على عدم أذية الجار ، والإحسان إليه ، وإكرامه ، واحترامه وتقديره يتضح ذلك من الآحاديث التالية :

١– ﴿ **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** ﴾ .

٢– ﴿ **مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره** ﴾ .

٣– ﴿ **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره** ﴾ .

٤– ﴿ **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره** ﴾ .

٥– ﴿ **من كان له جار فى حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه** ﴾ .

اللغات الإسلامية كلها تُعْرف الجار علي أنه المجاور في السكن أو في الحقل ، أو مكان العمل . أو حتي في الجلوس . . والجِيرة هي العلاقات التي تترتب على الجوار في السكن أو العمل . . وتدخل في العديد من المصطلحات الإجتماعية ، كالجار الجنب، وخاطر الجار . . وتعني إحترام الجار ، وحرمة الجوار ، مراعاة الحفاظ علي الجار . . الباب المجاور . . المجاورة ؛ جيرة الباب . . أي الدخول والخروج من باب واحد . وما أروع ما حدده لنا نبي الاسلام لتحديد هذه المعاني السابقة ؛ فعلى المسلم أن يحي جاره أينما وجده . وأن يُلبى دعوته ، إذا ما دعاه ، وأن يُشَنِّفه إذا ما عطس وحمد الله ، وهذا ينطبق علي الجار في الجلوس ، حتي وإن لم تكن تعرفه ، وأن تزوره إذا مرض ، وأن تسأل عنه إذا غاب ، وأن تسير خلفه في الجنازة . . وأن تقتسم قوت يومك مع الجار الجوعان . . فما أعظم هذا الترابط الإنساني ، والتكافل الاجماعي . .

تراث الجيرة ؛وقيمتها :

شهد الماضي القريب لنا بحسن الجوار ، حتي وإن كانت بيوتنا متباعدة . . فلم تكن البيوت متلاصقة ، أو متداخله كما هي عليه الآن ، ولكن كانت قلوبنا عامرة بالحب . . علاقاتنا متداخله باحترام ، وتعاون ومؤازرة . . ومزاملة في العمل . في المناسبات والأعياد يحرص الصغار علي زيارة الكبار ، وإظهار الحب ، والود ، والإحترام لهم ، الكبار يلاطفون الصغار ، ويشملونهم بالعطف والرعاية . . الجميع يعيش داخل منظومة إجتماعية متوائمة ؛ من يخرج عليها آثم ، مَنْ ينتهك حُرماتها ، مطرود من رحمة الله . . ، وحب الجماعة .

الآن ، فرضت علينا الظروف الاجتماعية في المدن ان تتداخل مساكننا . . ولكن تتباعد عواطفنا . . الجار لا يعرف جاره ، وفي القري والقصبات إلتصقت المساكن ، ولكن تفككت العلاقات والروابط . . .

ولكن علينا ان نُحافظ علي ما تبقي لدينا من قيم ، وأن تسعي وسائل الإعلام الحديثة أن تُعيد التركيز علي تراث الجيرة ، وقيمتها في محاولة لإحياء هذا التراث الخيِّر ، وهذه القيم الأصلية . . . فمثلاً ؛

- تعريفه ، وتقديمه بالشكل المناسب لبقال ، وقصاب وفكهانى الحّي .. وإشعاره أنه ليس وحيداً في الحي الذي اتي إليه ..

- الحرص علي دعوته - حسب الظروف - حتي تستقر أُموره فيمكن دعوته علي قهوة الصباح ، أو شاي المساء ..

- إذا ما لمست ست البيت ، أن جارتها يمكن تُعقد بينهما صداقة ، فعليها أن تُرتب لزيارة عائلية حتي يتم التعارف بين الجميع .. وتُعتبر هذه زيارة تعارف ..

- إذا كان هناك أطفال ، أو صبية في سن متقاربة ، فيجب تعريفهم ببعضهم البعض، وحضهم علي اللعب ، أو المذاكرة سويًا حتي يتعودوا علي حسن الجيرة .. والتعاون بدلاً من المشاجرة ، أو التخاصم ..

- لابد من زيارة الجار المريض .. والسؤال عنه ، وتقديم يد العهون إليه .. فإذا كان وحيداً ، أو وحيدة وجب تقديم الطعام إليه ، أو رعاية الطفل إن وُّجِد .. وإخبار أقارب الجار بمرضه إذا لزم الأمر ..

- إذا كان للجار بنت ستتزوج ، فيجب المساعدة في إعداد بيت الزوجية .. كالخياطة .. التنجيد .. ترتيب البيت استقبال الضيوف .. الخ ..

- إذا كان بين الجيران ، جارة وحيدة .. أو شابة ، وجائها المخاض .. أو فاجئتها الولادة .. فيجب الوقوف بجانبها في مرحلة الوضع ، والخلاص .. والنفاس وما شابه ذلك

- إذا ما حدث عند أحد الجيران .. وفاة .. فيجب عدم تركه وحيداً في هذه اللحظات .. وضرورة استضافة أطفاله الصغار في هذه الأحوال .. وإحضار الطعام إلي منزل المتوفي .. والحرص علي عدم تركهم جوعي ..

لابد من تقديم يد العون ، والمساعدة حتي في الاعمال المنزلية ، في أول ليلة للوفاة . أما في الزواج ، فلابد من تقديم بعض الآواني ، والأكواب ، والأطباق كإعارة ، ، إذا كان الحفل في البيت ..

- إذا كانت هذه الخدمات قد قدمت إليك ، فلابد من تقديم الشكر ، وأن تُعاد

الاطباق ، والآواني وقد وضع في أحدها شيئاً من الحلوي المصنوعة في المنزل .. ولكن الآواني التى أُعيرت لبيت المتوفي ، لابد وأن تعاد فارغة .

– عدم ترويج إشاعات عن الجيران ، أو الإنضمام إلي مَنْ يقوم بترويجها ، بل ضرورة التصدي لهم بالحسني ..

– علي الجار الذي يَعُدُّ طعاماً تصدر عنه رائحة فواحة بشكل ملحوظ ، أن يُقدم للجار بعضاً منه ..

بإختصار .. لابد من إعتبار جار الجنب صديقاً ، لا نتدخل في حياته .. بل نسعي لإقامة علاقات متوازنة معه ..

أما في حياة المدن ، التي شهدت تداخلاً في الحياة ، وتشابكاً في العلاقات السكانية ، فعلي الكل مراعاة ما يلي ؛

إذا كانت في العمارات السكنية إتحادات لشاغلي هذه الوحدات ، سواء بالتملك ، أو بالإيجار .؛

– حضور الإجتماعات المقررة للإتحاد ، أو العمارة ..

– مراعاة التطبيق الأمين للقرارات التي تم الموافقة عليها ، وتسديد الإلتزامات المالية في الوقت المحدد ..

– عدم الإعتراض فيما بعد ، علي القرارات التي أُتخذت بشكل جماعي .. أو التي وافقت عليها الأكثرية .

– تلافي التصرفات التي تخلق قلقاً في العمارة .. أو تلك التي تُسبب إزعاجًا للجيران .. كالضوضاء ، والزعيق ، والعراك .. المشاجرة .. تخريب الحديقة ، أو إتلاف مزروعاتها .. أو قطع المياه عن الأدوار العليا .. تنفيض الابسطة التي تحتوي علي أتربه .. عدم إلقاء السلام والتحية .. الزعيق المتكرر للبواب ، أو الحارس ، أو الزبّال .. أو الأطفال وما شابه ذلك ..

– حتي لو لم نكن علي معرفة وثيقة ببعض جيران السكن ، ففي الأعياد ، أو المناسبات الدينية ، أو الاجتماعية .. فلابد من التهنئة بالعيد ، أو التبريك بالمناسبة .. أو إجبار الخاطر ببعض عبارات المجاملة .

– عدم الإسراف ، أو التبذير في المياه ، والكهرباء خاصة إذا كانت مشتركة مع الآخرين . .

– ضرورة التوائم مع الإرشادات ، والأوامر ، أو النواهي التي تصدر عن المتولي للإدارة . .

– ضرورة المشاركة فيما يُقدم من هبات أو منح ، أو بقشيش إلي هؤلاء الذين يقدمون خدمات للعمارة ؛ كالحارس أو البواب . .

– الحرص علي عدم الإزعاج ، أو التسبب في ضرر للآخرين عند ذبح الآضاحي ، آو ما شابه ذلك . . أو الاستئذان إذا لزم الأمر ذلك .

– أحترام افكار ، ومعتقدات ، وسلوكيات ، وآراء الآخرين ، وعدم محاولة فرض تصرفاتنا علي الجيران . .

– إذا كانت لديك سيارة ، وكان أحد الجيران ينتظر وسيلة مواصلات ، ولديك متسع من المكان . . فلابد من دعوته إلي سيارتك ، حتي وإن لم يكن بينكما مودة . . « فمن كان عنده فضل ظهر فليَجُد علي ما ظهر عنده . . » . . فيجب الا ننسي أن أقرب المقربين إلينا بعد آقارب النسب هم الجيران . .

فالإحسان إلى الجار ، يتم وذلك بأن ينصره إذا استنصره ، ويعينه إذا استعانه ، ويعوده إذا مرض ، ويُهنئه إذا فرح ، ويعزيه إذا أُصيب ، ويساعده إذا احتاج ، يبدؤه بالسلام ، ويلين له فى الكلام ، يتلطف فى مكالمة ولده ، ويرشده إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه ، يرعى جانبه ، ويحمى حماه ، يصفح عن زلاته ، ولا يتطلع إلى عوراته، لا يُضايقه فى بناء أو ممر ، ولا يؤذيه بميزاب يصب عليه ، أو بقذر أو وسخ يُلقيه أمام منزله ، كل هذا من الإحسان إلى الجار المأمور به فى قوله تعالى : ﴿ **والجار ذى القربى والجار الجنب** ﴾ وقول الرسول (ﷺ) ﴿ **مَنْ كانَ يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره . .** ﴾ . .

* * *

الضيف... و... الضيافة

﴿ مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَهَ ﴾ الضيف ؛ هو الشخص الذي يبقي لديك ، أو تستقبله في بيتك لفترة ما ... وما تقدمه إليه في فترة اقامته لديك تُسمي "ضيافة" .

وأستقبال الضيف ، والبشاشة في إستقباله من المكرمات .. وعرفت العمارة الإسلامية مشتقات الضيافة .. فهناك المضيفة .. ودار الضيافة .. وغرفة الضيوف ، والسلاملك .. والحراملك .. وكلها مخصصة لإستقبال الضيف ، وحسن اللقاء .. فسكان القري ، والقصبات ، حريصون كل الحرص علي أن تكون هناك المضيفة ، أو دار الضيافة لخدمة الضيوف ، وعابري السبيل .. أما إذا كانت الضيافة داخل البيت ؛ فهناك غرفة ، أو قاعة ، أو أوضة الضيوف ؛ لها أثاثها ، وفراشها الخاص بها .. ونحن سكان المدن ، من ذوي الأصول الريفية ، مازلنا حريصون علي وجود هذه الغرفة .. فالقيم التراثية الأصيلة ؛ تحتم إحترام الضيف ، ورعايته ، وحمايته .. ومراعاة راحته .. وإطعامه ، بل والإصرار عليه لتناول الطعام .. والقسم عليه بآغلظ الإيمان حتي يأكل .. كانت الأصول تقتضي عند السفر بالدواب ، أو قبل الوسائط الحديثة .. أن تُكرم القري وفادة الضيف الذي يمر منها مجرد المرور ، دون أن تساله عن كنيته ، أو وجهته .. بل تقدم إليه واجب الضيافة ، لذات الضيافة .. وليست لآي إعتبارات تتعلق بشخص ، أو قدر ، أو منزلة الضيف ، أو المضيف .. بل لابد من أن تشمل الضيافة حتي دوابه التي يركبها .. وكانت التقاليد العريقة ؛ تقضي إذا ما قدُم للضيف وليمة ، أو نصيبه من الطعام .. أن ياخذ نصيبه ، ولابد أن يترك لأهل البيت الباقي .. وفي بعض المآثورات ، أن يقسم الذبيحة إلي تسعة اقسام .. ياخذ قسماً ، ويرد الثمانية لأهل الدار ، حتي يطعم منها الجميع ، قائلاً هذا بركة أهل الدار ..

إن الحياة العصرية ، والحداثة المستغربة ، وحياة المدن ، فرضت علينا ، شئنا ، أو لم نشأ التقليل من مظاهر الضيافة القديمة .. وبالرغم من هذا الهجوم الشرس ، للعوامل الإقتصادية ، ودواعي التفرغ ، والتباعد الأسري ، والتحديث الغربي ، إلا أن مجتمعاتنا الشرقيه – إلي حد ما – ما زالت تعرف الأنواع التالية من الضيافة ؛

- ضيافة فيها مبيت ،
- ضيافة ليوم واحد .
- ضيافة لوقت محدد "قهوة الصباح .. شاي العصاري "
- ضيافة المساء ..
- ضيافة الصيفية ..

وتتم هذه الضيافة بين ذوي الرحم من الآقارب كالأب ، والام ، الجدات ، والجدود، الآعمام ، والعمات .. الآخوال ، والخالات ، أو أبناءهم ..

- كما أن هناك ضيافة بين الأصدقاء ، والرفاق ، وزملاء العمل ..

إذا كانت الحياة في المدن الكبيرة قد وفرت بعض الإمكانات كالفنادق ، والموتيلات، ودور الضيافة الملحقة بالمصالح الحكومية ، والإستراحات قد يسرت أمور الضيافة . إلا أن ضيق الشقق والمساكن الحديثة وقلة الغرف فيها ، قد قلل من فرص إقامة الضيف وإستقباله داخل البيت ، بالإضافة إلي ذلك فإن عمل الزوج ، والزوجة وخروجهما من البيت قد جعل ذلك أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً في الوقت الراهن..

كل هذه الأمور ، وخاصة في المدن الكبيرة ، والتجمعات الصناعية ، قد قلل فرص الضيافة إلي أدني مستوي يمكن توقعه .. ولكن في المدن الصغيرة ، وفي المراكز، أو الإمارات ، والولايات ، والقصبات والقرى ، والنجوع ، والكفور فما زالت القيم التراثية ، والأصالة المتعلقة بالضيافة مرعيَّة ، ويحرص عليها الجميع ، مهما إختلفت المستويات الإقتصادية ، والثقافية .. فما زالت الأسر في هذه المدن الصغيرة ، وأحياناً بعض الأسر في المدن الكبيرة ، تحرص علي إستضافة بلدياتهم الذين وفدوا إلي المدن ، أو القصبة ، أو المركز من أجل العلاج ، أو البحث عن عمل ، أو متابعة أعمال تخصصهم، سواء قصرت هذه الضيافة أو طالت .. ويجب أن ننظر إلي التراث الإجتماعي ، والقيمي المتعلق بالضيافة علي أنه يؤدي إلي صلة الرحم ، ويقوي الأواصر الأسرية .. ويزيد من الترابط في المجتمع .. بصرف النظر عن المتاعب ، أو المصاعب الإقتصادية .. وهناك بعض السلوكيات الواجب مراعاتها عند القيام بالضيافة ، أو الإستضافة ؛

– يجب إخبار المضيف – بقدر الإمكان – والإستئذان قبل التوجه كضيف إلي مسكنه . .

– سواء أكانت ضيافة مصحوبة بالطعام ، أو بدونه فإنه من الواجب الحرص علي اخذ هدية مناسبة عند التوجه إلي المضيف . . ويُستحسن أن تكون هذه الهدية كتاباً، أو أثراً فنياً ، فذلك يزيد من تنمية القراءة ، والذوق العام ، وتذوق الجمال . .

– اختيار الملبس ، والقيافة التي تتناسب مع الدعوة . .

– ضرورة مراعاة الا يتوجه إلي الدعوة إلا المدعو فقط . . من أهل البيت . .

– يجب تحديد موعد الدعوة ، من قبل الداعي ، وأن يُراعي المدعو هذا الموعد ، بكل دقة وإحترام ، فلاتبكير ، ولا تاخير خارج عن نطاق المقبول .

– إذا كانت الدعوة ، أو التوجه إلى الضيافة في يوم العطلة الأسبوعية ، أو خلال العطلات الدينية ، أو في المناسبات القومية ؛ فيجب مراعاة عدم إفساد البرنامج الذي كانت تعده الأسرة الآخري لنفسها . . وأن يبتعد الطرف المبادر بالذهاب بقدر الإمكان عن فرض الأمر الواقع .

– يفضل عند التوجه كضيف ، أن ياخذ الشخص أدواته الخاصة ؛ كشبشب البيت مثلاً . . أو فرشة الأسنان ، ومعجون الأسنان إذا كان الأمر يتطلب المبيت لدي المضيف . .

– علي صاحب البيت ، مقدم الدعوة ، أن يدعو كل ضيف علي حدة ، وأن يدعوه شفاهاً بالتليفون ، أو مباشرة ، أو كتابة ، وأن تحيطه علماً بشخصية باقي المدعووين ؛ حتي لا يسبب حرجاً لاحد الضيوف ، أو يتسبب في خلق نزاع ، أو سوء فهم دون قصد . . فيما بين الضيوف .

– علي المضيف أن يبدو بشوشاً ، مبتسماً ، فرحاً ، بمقدم ضيوفه ، والحفاوة بهم . .

– إذا كان بين الضيوف مَنْ لا يعرفون بعضهم بعضًا ؛ فعلي المضيف أن يقدمهم إلي بعضهم البعض ، بالشكل المناسب لكل واحد منهم علي حدة . .

– مهما كان شكل الضيافة ، يجب أن يبتعد الضيف ، والمضيف عن أي

تصرف؛ سواء بالقول ، أو التصرف ، أو العمل يمكن أن يسبب شيئًا من سوء الفهم، كضرب الأطفال ، أو الإنحياز إلي طرف ضد الطرف الأخر ، أو التحمس لإشاعة لا يرضي عنها الطرف الأخر ، أو التحدث مع طرف ، وإهمال الطرف الآخر ، أو بمعني آخر فلا يجب الاستئثار بالحديث ، أو بالحديث مع طرف ، أو ضيف ، دون ضيف آخر ، والبعد عن كل ما يزيد من القلق ، أو الشغف ، أو الغيرة لدي ضيف من الضيوف الموجودين . .

– علي الضيف عندما يكون ضيفاً لدي الآخر ، الا يُصِّر علي متابعة مسلسل معين مثلاً . . في الوقت الذي يكون آصحاب البيت يتابعون برنامجاً معيناً آخر . . أو إظهار الرفض ، أو إظهار الملل من البرنامج الذي يُعرض ، وتصادف دخولهم إلي المكان الذي فيه المزياع ، أو التلفاز . . يجب البعد ، كل البعد ، عن التصرف الآناني . . بل يجب مراعاه الآخر تماماً خلال فترة الضيافة . .

– علي الضيف الا يتدخل في تنظيم البيت . . أو أن يُبدي إستياءه من الوضع الذي هو عليه . . أو أن يجامل الضيفُ ربةَ البيت ، أو رب البيت علي حساب الأخر ، بل يجب مراعاة التوازن في المعاملة . . ومراعاه السلوك الاجتماعي السوي في مثل هذه الأمور . .

وهكذا ، فإن المسلم الحق يؤمن بواجب إكرام الضيف ، ويقدره قدره المطلوب ، وذلك لقول رسول الله « ﷺ » ﴿ **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ؟ قالوا ؛ وما جائزته ؟ قال : يومه وليلته . والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقه** ﴾ .

* * *

علي المضيف أن يبذل الجهد في إكرام ضيفه . ويظهر له ما يدل علي الحفاوة به .. وعلي الضيف أن يقابل ذلك بالشكر ، والإمتنان لما بُذل له .. وأن يُعبر عن ذلك بالقول ، والسلوك ، وتعبيرات الوجه ، ونغمة الحديث .. كما يُعبر عن رغبته في استقبالهم هم أيضاً ..

إذا كان ذلك يحمل ماهية الدعوة المقابلة ، فلو كانت ستتحقق ، فلا يجب تأخير الدعوة عن الحد المألوف ، بل علي الداعي أن يوجه الدعوة تليفونياً ، أو كتابياً ، وأن تكون موجهة إلي كبير العائلة في الوقت المناسب ..

– في الدعوات الليلية ، يجب الحرص علي عدم الإسراف ، والإصرار علي تناول أنواع معينة من الأطعمة ، أو المشروبات ..

– يُفضل تقديم بعض المأكولات ، أو المشروبات المحلية ، أو من تلك التي تشتهر بها المنطقة التي فيها الدعوة ، وإذا كان الضيف أجنبياً ، فيجب مراعاة التقاليد والأعراف الإسلامية ؛ بعدم تقديم المشروبات الكحولية ، أو تلك التي تُصنع من لحم الخنزير .. وهي أصلاً محرمة إسلامياً ، فلا يجب مجاملة الضيف علي حساب القيم، والعادات والتقاليد .. بل يُفضل تقديم المشروبات ، والمأكولات المحلية ، والقومية ..

– بصفة عامة ، الذي يدير الحوار علي المائدة ، هي ربة البيت المضيف .. وعليها أن تتدارك ، أو تُسارع بتغيير الموضوع ، لو أحست أن في الأُفق بوادر سوء فهم ، أو سوء تفاهم .. وأن يتم ذلك بلباقة .. وحسن تصرف بما ينعكس علي الجميع بالراحة، والوفاق ..

* تحرص العنعنات التركية ؛ علي تقديم الكولونيا ، للضيف ، خاصة في أول دخوله ، وعقب الجلوس ، وربما ذلك لتطهير يديه ، أو للترويح عن النفس ، وإستنشاق شيء طيب الرائحة ..

بينما تحرص بعض المجتمعات العربية علي تقديم التمور ، مع القهوة العربية عقب دخول الضيف..

– لا غضاضة من مساعدة الزوج ، والأبناء الذكور في إعادة ترتيب البيت بعد إنصراف الضيوف ، وعدم ترك الأمر كله علي الزوجة ، كما يجب تقديم الشكر للزوجة علي المجهود الذي بذلته ، والإشادة بالإيجابيات التي بدت أثناء الوليمة .

إذا طالت المدة ، ولم يبحث عنك ، أو سأل عليك صديق تعتز بصداقته ، فعليك أن تُبادر بالسؤال عنه ، وعن أحواله .. فإن ذلك من متطلبات الصداقة.

أما إذا سألت أنت عنه ، وكررت الإطمئنان عليه ، ولم يُبادر بالسؤال عنك ، فلابد من تقصى الأمر ، فلربما هناك أمر قد دفعه إلي ذلك .. فلابد من فهم الوضع ، والتصرف وفقاً لذلك ..

يجب الا تُقطع الصلات ، والعلاقات فجاة ، وبدون مقدمات ، وإذا كانت هناك أسباب ، وعوامل تستدعي قطع العلاقات ، فلابد من مناقشة هذه الأسباب ، والعوامل بحسن نية ، وقلب مفتوح ، ورغبة أكيدة في رأب الصدع .. ولا يكون هناك أي حرج في ذلك .

كما يجب التدقيق في أنسب الاوقات ، والمناسبات لإقامة الولائم الضيافية ، وتبادلها .. حتي يمكن تحقيق الهدف المنشود من وراء الضيافة ..

ومن أهم أولويات حسن الضيافة عدم إرهاق آهل الدار ، أو الإثقال عليهم .. والا تطول مدة الضيافة ، فللضيف ثلاثة أيام .. ولو كان أجنبياً .. لا يُسأل عن إسمه ، وكنيته .. ووجهته.. وطلبه ، إلا بعد الثلاثة أيام الأول من الضيافة ..

* * *

إن الثقافة الغذائية ، إعداد المائدة ، ومفردات المطبخ من أهم سمات الهوية القومية، ومقوماتها .. والمطبخ الشرقي ؛ يُعد واحداً من أهم ، وأغني المطابخ علي مستوي العالم ، فهو لا يقل في ثراءه ، وتنوعه ، وروعته ، وجودة مذاقه عن المطبخ الفرنسى ، والمطبخ الصيني ... فإلي جانب أن الغذاء ، والشراب هما مقومات إستمرارية الحياة ، فإنهما كذلك من أهم مقومات الترابط البشري .. فالطعام والشراب ، يلعبان دوراً أساسياً ، ومهما في المشاركة الوجدانية .. مثلهما في ذلك مثل المشاركة في الأفراح ، والأتراح ، بل هما اللذين يدعمان العلاقات الأسرية ، والإنسانية من خلال مثل تلك العلاقات .

إن تراثنا الغذائي ، وقيمنا المرتبطة بالتغذية ، والأطعمة تُراعي البعد الإجتماعي في العلاقات الإنسانية ، وتوطيد أواصر العلاقات العائلية ، وحسن الجوار ... فالعين لها حقها ، والشم له متطلباته .. فإذا ما أعدت العائلة طعاماً ، وفاحت منه الرائحة ، وَجَب عليه تقديم بعضاً منه للجيران ، أو علي الأقل للجار الجنب .. وإذا ما أحضر رب الدار طعاماً ، ورآه الجار ... أو الأولاد ، فلابد من تقديم حق النظر ... وإرسال جزء من هذا الطعام سواء أكانت فاكهة ، أو خضروات ، أو حلوي إلي الجيران .. ولا يُعاد الوعاء الذي أرسل إلي الضيف فارغاً .. بل يُعاد مع هدية بسيطة ، أو مع طعام آخر يختلف عما قُدم ، وقد راعت التقاليد ، والأعراف الشرقية ؛ ألا يأتي رب الدار بطعام مكشوف إلي داره ، حتي لا يحرك كوامن النفس البشرية فيهم .. بل لابد أن تكون مستورة ... كما لا يجب أن يتطرق الحديث مع الجيران عن الطعام ؛ أو الأطعمة التي تعد في الدار .. وإذا ما أُجبر المتحدث علي الخوض في ذلك فعليه أن يبدأ حديثه بعبارة لائقة بالموقف .. مثل "الحديث عن ذلك عيب" أو "زاد الله فضلكم" أو "أكثر الله من خيراتكم" أو "هذا بعض مما عندكم " .. الخ ..

وكنوع من دعم ميزانية العائلة ، وتوفيراً في النفقات ، يمكن أن تقوم الأسرة بإنتاج بعض المأكولات ، أو المشروبات في البيت .. كعمل المربات ، والمخللات ، والصلصة ، والجبن ، والأغذية المحفوظة حسب المواسم ، وعمل الشعرية .. كما يجب علي

الأسرة، والعائلة أن تحفظ احتياجاتها من البقولات = البقوليات ، والأرز ، والعدس ، والفول في مواسم تواجدها ، وتوافرها ، ورخص أسعارها .. وعلي ربة البيت أن تتعلم طريقة حفظ الخضروات ، والفواكه طازجه لغير موسمها .. ويمكن أن يقوم بهذا الدور أي فرد من أفراد العائلة .. وعلي مَنْ يقوم بشراء هذه المنتجات من السوق، أو المحلات ، أن يبحث عن منتجات المناطق التي تشتهر بكل نوع .. فالجبن الدمياطي ، والأرز الرشيدي .. وتمور المدينة .. كما لابد من اختيار أجودها ، وأكثرها مراعاة للشروط الصحية .. تعرف المجتمعات الشرقية نوعين من المائدة :

أ- مائدة العائلة مجتمعة والضيف ..

ب- المائدة الجماعية ..

مائدة العائلة والضيف

يتطلب الأمر في المجتمعات البشرية الجلوس إلي الطعام ثلاث مرات يومياً ، في الإفطار ، طعام الغذاء = الظهر ، طعام العشاء .. ولكن ظروف المدينة الحديثة ، ومتطلبات الحياة العملية ، ونظام العمل ، والدراسة اليومية قد استدعت بعض التغيرات .. فُبعد المؤسسات التعليمية ، وأماكن العمل ، وخروج ربة المنزل إلي الحياة العملية ، قد دفعت إلي ذلك دفعاً . وبالرغم من هذا ، فإن الأسرة تَحرص علي تناول الطعام ولو في وجبة واحدة معاً ... بالاضافة إلي أيام العطلات ، والأعياد . تنظم أوقات الطعام وفقاً لظروف افراد العائلة في الدراسة ، وساعات العمل .. وما أن تقترب لحظة تناول الطعام بشكل جماعي ، حتي يقوم الشباب ، والأطفال بعد غسل أيديهم ، بالمساعدة في إعداد المائدة . وتهتم الأم أكثر من سواها بطهي الطعام ، أما الأب ؛ فيمكن ان يهتم بتقطيع الخبز ، أو تقطيع الشمام ، والبطيخ .. أو إعداد الفاكهة ، أو مليء دورق المياه .. وبهذا الشكل يكون قد قدَّم القدوة في المشاركة في إعداد المائدة .. وإذا كان الجد ، أو الجدة ، أو الحمي ، أو الحماة موجوداً مع العائلة ، فيدعي إلي المائدة بعد إعدادها .. وفي العادة يكون تناول الطعام حول مائدة ، أو طبلية من الخشب مستديرة ؛ أو صينية من المعدن ، أو مفرش علي الارض ... يوضع الطعام في آواني بشكل جماعي ، وإن إستدعت المدنية الحديثة ، وضع الاطعمة في

أطباق منفصله علي المائدة .. وقد أخذت هذه الأصول ، والتقاليد فى الإنتشار في المدن الكبيرة ، والعائلات المتفرنجة في الأزمنة الأخيرة . كثيراً ما يتبرم الأطفال ، والصبية ، والشباب من تصادف مواعيد تناول الطعام مع مواعيد الافلام ، أو المسلسلات التلفازية ، أو المسابقات الرياضية ، أو تتعارض مع أوقات اللعب .. علي الجميع ألا يجلسوا إلي المائدة قبل غسل أيديهم .. " .. فالأمر يتطلب غسل الأيدي قبل الاكل وبعده .. " .. وأحياناً يتطلب الأمر استخدام الفوط ، أو محارم ، أو مناديل المائدة .. ولا يبدأ الجميع في الأكل ، إلا بعد أن يكتمل جلوس أفراد العائلة . فمن الآصالة ، والتراث :

– غسل الأيدي قبل الأكل ، يزيد البركة ، وغسلها بعد الأكل يحافظ علي الصحة ، ويطيل العمر ..

– لا يلمس أفراد العائلة الطعام قبل أن يبدأ رئيس العائلة ، أو كبيرها بالبسملة .. والدعاء بالبركة .. وإذا كان علي المائدة ضيف ، فينتظر الجميع حتي يبدأ الضيف ، مع رئيس العائلة .. وعلي الجميع أن يتوائموا مع الحديث النبوي الشريف ، حيث يقول النبي ﷺ .. **« سَمِّ الله وكُلْ بيمينك »** كما قال ﷺ **« إذا أكل أحدكم فليذكر اسْمَ الله تعالي في أوله ، فإنْ نَسيَ أن يذكر اسم الله تعالي في أوله فليقل ، بسْم الله أوله، وآخرهُ »** .

– وإذا استدعت الضرورة تأخر أحد أفراد الأسرة بعض الشيء ، وجاء متأخراً .. فعليه أن يطلب المعذرة ، ويدعو للحضور بالهناء ، والشفاء ثم يجلس في المكان المخصص له .. لابد أن يأكل الجميع باليد اليمني .. وكل ، يأكل مما أمامه ولا يقرن في أكله ؛ أي لا يأخذ شيئين من الطعام الذي أمامه في لقمة واحد ..

– ومن آداب الطعام أن يتحدثوا في الحال آكله بالمعروف ، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها ..

– إذا دُعي أحد للطعام وهو صائم فعليه الإعتذار ، والدعاء بالبركة ؛ حيث يقول المصطفي ﷺ **« إذا دُعيَ أحدُكُمْ فلْيُجبْ ، فإن كان صائماً فليُصلْ ، وإن كان مُفطراً فلْيُطْعَم » « .. فإنْ كانَ مُفطِراً فليَأكُل ، وإن كانَ صائماً دَعا لَهُ بالبَرَكَة»** .

– ما زالت معظم مناطق الجزيرة العربية ، وإيران ، وكل بلدان آواسط آسيا يفضلون تناول الطعام بالأيدي ، وفي بعض المناطق الزراعية والرعوية بالملاعق الخشبية ، وقد نقشوا عليها البَسْمله ، وما شاء الله ... وبعض أشطر شعرية تتعلق بالطعام ، والتغذية .ففي التركية مثلاً :

– لاف لافة ايتمه علاوه   آل قاشيغي چال بلاوه

– آل قاشيغـي أليله   بسمله كثير ديلـه (*) (1)

– وعلي الرغم من استمرار هذه العادات ، والتقاليد المتعلقة بتناول الطعام بالأيدي، إلا أن المدن قد عرفت ، وبكثافة إستخدام المعلقة ، والسكين ، والشوكة ، وُوِّضعَت لذلك أصولاً تراعي علي الموائد ، وفي المطاعم ، وهي أن تكون الشوكة في اليد اليسري ، والسكين في اليد اليمني .. ولكلٍ طعامه في طبقه ، ولا مجال للمناقشة في أن ذلك غزواً للثقافة الغربية الدخيلة ، وتقليداً للغرب المسيطر . وتوزيع الطعام علي الأطباق ، هو من واجب الأم ، أو الأب ، في المجتمعات التى لا تُتاح الفرصة فيها للإختلاط ، إذا كان هناك ضيف أجنبي ... وفي نطاق الاسرة ، فتقوم الأم بهذه الوظيفة لأنها هي الأعرف بما يحبه كل فرد ، من أفراد الأسرة ، وما هي طاقة كل منهم ... وحتي لا يكون هناك فاقد ، أو زائد لا يُستفاد به ، فيوضع في بداية الطعام كميات معقولة فى الأطباق ومَنْ يريد المزيد فعليه – بعد أن يُنهى ما في طبقه – أن يطلب المزيد ، أو أن يأخذ بنفسه ما يريد من الآنية الموضوعة في وسط المائدة .. وتُراعي معظم المجتمعات الاسلامية الشرقية ، هذا التتابع التالي في تناول الطعام ؛ الحساء ؛ أو الشوربات ، اللحوم ، أو الخضروات باللحم ، ثم الأرز ، أو المكرونة ، أو البوريك وفي الشام وتركيا ، الأطعمة المطهية بزيت الزيتون .. ويتخلل ذلك أو قبيل الطعام الصلاتات ، أو المشهيات وما شا به ذلك من المخللات ، والمحشيات .. ثم الحلويات ، وبعدها الفاكهة .. وتناول الشعراء الترك هذا التتابع بالشكل التالي :

(*) الترجمة (1) : لا تضف كلمة على آخرى   خذ الملعقة وتناول الارز
خذ الملعقة باليد   واستحضر البسملة بالقلب

اونجـه چوربه ، پاتليـجـان ، پيـلاوله خـوشـاف كَلير ، حلوايه طوز قـاتيلـماز ، بوني آربابي بلير . (*) (١)

ولابد علي المائدة التركية – إلي جانب الأرز أو المكرونة أو البوريك من وجود ما يُبرِّد ؛ مثل الخُشاف ، أو الكومبوط ، أو صلاته اللبن ، أو الزبادي = اليوغورت . كما تحتل الصلاتات الموسمية ، والمخللات ، والخضروات الطازجة أماكنها علي المائدة الشرقية . . العيران . . واليوغورت – أي الزبادي من المفردات المهمة عليْ المائدة التركية . . ويأكل إما وحده ، أو يضاف علي العديد من الأطعمة . .

– وكما يقدم الحليب ، والتمر ، أو القهوة والتمر في المجتمعات العربية ، فإن الأتراك فى كل آواسط آسيا ، وآسيا الصغري والبلقان حريصون كل الحرص – ومنذ القدم – علي تقديم اللبن والزبادي = اليوغورت إلي الضيف . . هذا أمر طبيعي في الإسلام فنحن أُمة جبلت علي الفِطرة . . «اللبن المصفي . . العسل الذي فيه شفاء للناس» . . ومن العادات الغذائية المتبعة في تركيا حتي الآن ، هو شرط تقديم الزبادي= اليوغورت إلي الضيف ، وعلي الرغم من وجود مختلف المأكولات علي المائدة ؛ فإذا لم يّقدم اليوغورت إلي الضيف فكأنك لم تحتفل به ، ولم تكرمه ، ولو قُدِّم اليوغورت فقط إلى الضيف ، ولم تُقدم إليه أي أطعمة آخري فأنت بذلك قد أكرمته ، وأحسنت ضيافته ، وعلي مائدة طعام الظهر أحسن ما يُقدم من مشروبات بعد الماء هو" العيران ="اللبن الخض ، وشراب الفواكه المجففة ، أو المحفوظة، مثل قمر الدين ، أو الفراولة ، أو عصير العنب ، وبعد الأكل ، يفضل في الشتاء المشروبات الساخنة كالقرفه . . أما في الصيف فشراب الحصرم أو شربات العسل ، ويرجح شربات الرمان في موسمه .

وفي معظم المجتمعات الشرقية الإسلامية ، فإن طعام الظهر ، وخاصة المطبوخ منه ، من الممكن أن يُقدم أيضاً في طعام العشاء أما الإفطار ، أي طعام الصباح ، أو الترويقة، أو طعام الظهيرةسابقاً ، فيختلف من تجمع سكاني إلي آخر ؛ فبينما الفول ركن أساسي في طعام الصبوح ، فإن الشوربة ومشتقات الفاصوليا الجافة هى الركن

(*) الترجمة (١) : «أولا الشوربه ، ثم يأتى الباذنجان والأرز بالخشاف لا يُضاف المالح إلى الحلوى ، فإنما يعرف ذلك اربابه» .

الأساسي في طعام الإفطار في تركيا ، بينما الكبسة "الارز بالمرق "هي التي تسود فى منطقة الجزيرة العربية . كان طعام الظهيرة في الماضى بالإضافة إلي اللبن ، والشوربة "العدس .. الخضار" ، والحليب ، ومكونات طعام العشاء ؛ بالإضافة إلي الزبادي في تركيا ، إلا أن الإفطار في الوقت الراهن ، فمكوَّن من الجبن ، والبيض بمشتقاته ، والزيتون ، والمربات ، وأحياناً في المناطق الباردة ، وفى موسم الشتاء يمكن أن يحتوي طعام الإفطار علي اللحم المطبوخ مثل البسطرمة ، والسجق ، واللانشون وما شابه ذلك .. كما تُشرب القهوة أو الشاي ، أو اللبن .. وكذلك يمكن في بعض المجتمعات . وخاصة المدن – أن تكون العصائر ضمن مكونات الإفطار ..

* * *

تشكلت آداب الطعام ، وقيمه ، في المجتمعات الشرقية عبر القرون ، ومضت أزمان ، وأزمان حتي إستقرت في المجتمعات ، واخذت شكل العادات والأعراف التي يصبح من غير المألوف الخروج عليها .. ومن يُقلب في كتب التراث ، وآداب الفتوة يجد فيها ما يغنينا عن الأخذ عن المجتمعات الأوربية .. ولا نستطيع أن ننكر أن بعض آداب المائدة الغربية ، قد آخذت طريقها إلي المجتمعات الشرقية ، وآخذت ثقافة المائدة الشرقية ، وآداب الطعام الشرقي تتراجع أمام غَلبة الثقافة الغربية . ولكن ، ونحن علي مشارف الألفية الثالثة ، لابد من الإشارة إلي بعض من آدابنا الشرقية ، وعلي وسائل الإعلام ، وأجهزة الحفاظ علي تراثنا ؛ أن تولي هذا الموضوع ما يستحقه من العناية والإهتمام ؛ فآداب المائدة من مكّونات الثقافة القومية . فمثلاً ؛

– لابد أن ناكل من كل الماكولات الموضوعة علي المائدة ، ولا نفرق بينها .. ولا نُبدي التبرم ، أو الشكوي من الطعام الموجود . وإذا كانت هناك بعض المحاذير ، أو الأعذار الصحية ، أو الطبية ، فمن الأفضل التنويه إليها قبل إعداد المائدة ...

لابد من مراعاة عدم مليء المعدة بالأطعمة ، فالإسلام يوصي الثلث لطعامك ، والثلث لشرابك ، والثلث الأخير للتنفس ، أي لابد أن ينهض الإنسان وهو غير ممتليء ، وأن يتوائم مع هذا الحديث النبوي الشريف .. وهناك العديد من الأمثلة الشعبية ، والأقوال المأثورة التي توصي بتقليل كمية الطعام التي نتناولها ..

– من الأفضل أن يضع الضيف بنفسه في طبقه الكمية التي يرغب فيها .. وإلا تمليء ربة البيت الطبق بنفسها .. ولكن لا بئس إذا ما زادت لبعض الحضور ، بعض القطع أو العلاوات الآخري .

– ناكل بنظام ونظافة ؛ فلا نُسقط الطعام علي المائدة ، ولا نجعله يسيل علي ملابسنا ..

– لا نشم الطعام علي المائدة .. ولا نُنْفَخ فيه بهدف تبريده ...

– يقطع الخبز ، واللحم بالسكين ، لا يجب تنظيف الأيدي ، أو الأدوات الموجودة علي المائدة كالسكين ، أو الشوكة بالخبز ، أو بقاياه .. لا يجب إلقاء أي فضلات من الخبز ، أو بقاياه في صفيحة القمامة . لا يصح وضع السكين ، أو الشوكة فوق شرائح الخبز ..

– عند وضع اللقمة في الفم ، فلا يجب مد الرقبة بحيث تكون الرأس فوق الطبق ..

– لابد من مضغ الطعام جيداً ، قبل بلعه .. وألا نتحدث واللقمة في الفم .. كما لا يجب الرشف، أو التجشؤ بصوت مرتفع علي المائدة .. والبعد عن مراقبة الآخرين وهم يأكلون ...

– يجب البعد عن الحديث حول الموت ، أو الأمراض ، أو الاشياء المقذذة علي مائدة الطعام ..

– لايجب النف ، أو البصق ، أو فرقعة الأصابع ، أو الرأس أو الجسد علي المائدة .. وإذا كانت هناك ضرورة ، فلابد من الإستئذان ، والتوجه إلي حوض الغسيل . أو المرحاض .. وأن يتم بغير صوت مسموع ..

– إذا كانت هناك مخلفات عن الطعام ؛ كالعظم ، أو شوك السمك ، أو بذور الفواكه ، فعلى كل شخص أن يضع مخلفاته أمامه ، أو في الطبق الفارغ المخصص لذلك.. ولا يُنفخ بالبذر علي المائدة .. بل نأخذه بالشوكة من الفم .

– عند إفراغ الماء في أكواب ، فيجب ألا يتصبب منه علي المائدة .. ولا تُملىء الكوب حتي تفيض ..

– علي الشخص الذي يشرب الماء ، ألا يُحدث صوتاً ، وأن ينظف يديه ، وفمه بالمنشفة ، أو المحارم ، أو الفوطة المتاحة ، وأن يشرب الماء رويداً .. رويداً وهمساً ، وبدون أي صوت .. وألا يتصبب منه الماء علي نفسه .. وألا يَنفُخ في الكوب ..

– إذا كانت العائلة ، أو الأسرة تجلس علي طعام العشاء ، فيجب أن يدور الحديث عن تقييم الموضوعات الحياتية التي تمت خلال نهار هذا اليوم ، أما إذا كانت الجلسة صباحاً، وعلي طعام الإفطار ، فيجب أن يدور الحديث عما سيتم عمله خلال نهار

هذا اليوم، يجب أن يكون الحديث في جو من البشاشة ، أو البهجة ، وألا تُثار الأخبار السيئة. علي المائدة .. بل تُأجل إلي ما بعد المائدة . وحتي لو كان الطعام الذي في طبقك قد أنتهي ، فلا يجب النهوض من علي المائدة إلا بعد أن يفرغ كل أفراد العائلة من طعامهم ،

* * *

علي رب الدار ، أن يُكرر علي الضيف الذي يتوهم منه أنه رَفع يده ، وله حاجة إلي الطعام وإن قلّت ..

وكان النبي ﷺ ، إذا رفع مائدته قال «**الحَمْدُ لله كَثيراً طيِّباً مُبَاركاً فيه غيْرَ مَكفيٍّ ولا مُودعٍ ولا مُسْتغْنيٍ عَنْهُ ربنا** » وعلى كل من فرغ من طعامه ان يقول ، الحمد لله الذي أطْعَمَنا وَسَقَانا وَجَعَلَنا مُسْلمين .. أو ان يقول كما كان يقول النبي ﷺ «**أفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائمونَ وأكل طعامَكُمَ الأبرار ، وَصلَّتْ عَليْكُمْ المَلائكة**» أو ان يرفع راسه الي السماء، كما يفعل النبي ﷺ ويقول «**اللهُمّ أطعم مَنْ أطْعَمَني ، وأسْقِ من سَقَاني**» بهذه الآداب النبوية تادب الآجداد ، وهذا ما يجب أن نحافظ عليه في آداب المائدة .. ففي نهاية المائدة علي الوالد ، أو الجد ان يدعو باى الآدعية التي كان يدعو بها الرسول ﷺ ، وأن يشكر من أعَّدت الطعام ، ويدعو لها بالصحة ، والسلامة ، وأن يُؤمِّن كل أفراد الأسرة مرددين « آمين» ... وألا يهملوا هم أيضاً ترديد عبارات الشكر لربة البيت "تسْلَم أيديك " " كان الطعام جميل جداً .. تسلم الآيادي.. "وإذا كانت المائدة جماعية ، فعلي المقرىء ، أو الشيخ أو العالم الموجود أن يدعو بصوت عالٍ ... ويردد الجميع قائلين "آمين " ومن العادات ، والآعراف المرعية أن يتناول الداعي بعد الدعاء لقمة صغيرة علامة ختام الدعاء .

وعدا ما قدمنا في صدر هذا الحديث ، فهناك أدعية كثيرة مستحبة في كل اللغات الإسلامية ؛ في العربية ، و الفارسية والتركية ، كما ان هناك أشعاراً كثيرة تُذكر بهذا الصدد ..

وإلي جانب هذا الدعاء العام ، فإن الضيوف ومَنْ هم علي المائدة يختتمون المائدة بهذه الأقوال التي تُعبر عن الحمد ، والشكر لله ، والثناء علي مَنْ قدَّموا هذا الطعام :

– الحمد لله .... والشكر لله .... لك الحمد يارب

– زادكم الله من نعمه ..

- أفاء الله عليكم بنعمه ...

- لتكن مائدة الحج إن شاء الله .

- آدام الله طعامكم في الأفراح ...

- لتحل بركة خليل الرحمن علي مائدتكم ...

- أكل طعامكم الأبرار ...

يجب أن تحرص مدارس الحضانه ، والمراحل الأبتدائية ، ومدارس الداخلية ، والوحدات العسكرية ، وكلياتها علي الترديد الجماعي لدعاء المائدة ... وأن ينبري الشعراء علي تبسط الأشعار التي يمكن أن تقال بهذا الصدد ، ويمكن إختيار بعضها لتكون دعاءاً مستديماً ، يردده الجميع حتي في الرحلات ، والتجمعات الشبابية والطلابية .. لما في ذلك؛ من تعميق للمشاعر ، وتأصيل للأعراف ، وضمان لإستمرارية مثل هذه الدعوات اللطيفة ..

- بالهناء والشفاء ..

- ولنتوجه لله بالدعاء ...

- ولأمتنا بالبقاء ...

- زد يا إلهى فى البركات

- ولا تنقص في الميزان

- بالهناء... والشفاء ...

المهم هو أن تتأصل ، وتتعمق في نفوس الأجيال الشابه مثل هذه الأعراف الجميلة. وأن نعتاد علي أن نختتم طعامنا دائماً بالدعاء ..

- يجب أن تعتاد الفتيات ، والصغار علي المساهمة في رفع المائدة ، وغسيل الآواني ، والأطباق في المنزل . وأن يفضل استخدام مساحيق الصابون في عملية التنظيف هذه .. ولقد أصبحت من العادات المرعية في المجتمعات الشرقية تناول الشاي أو القهوة بعد طعام الغذاء ، أو العشاء .. وأصبحت هذه من الثقافات الغذائية الشرقية .

ومن الأعراف المستحبة ، أن يطلب الكبار من شباب الأسرة ، وصبيانها ، الماء للضيوف إذا ما عطشوا ، وعلى الشباب ، أو الصبية أن يسألوا عن الكمية المطلوبة ، وأن يصبوا الماء المطلوب في الأكواب ، ويقدمونها علي أطباق نظيفة ، ومناسبة .. وأن يستخدموا عبارات تنم عن الأدب والإحترام ... مثل " تفضلوا . " وأن ينتظر حتي يفرغ الضيف من الشرب ، ويأخذ الكوب مردداً .. بالهناء ... والشفاء ... فلقد أصبح ذلك من الآعراف الشرقية الأصيلة ، والتي يجب الحفاظ عليها ، وتعميقها في نفوس الأجيال الجديدة .. وعلي الشارب أن يشرب الماء ، وهو جالس ، وعلي دفعات ، وليس دفعة واحدة .. وعند إعادة الكوب يجب أن يكون ذلك مقروناً بالدعاء الذى ينم عن الشكر أيضًا .. مثل ؛

- تسْلَم الآيادي .. سقاكم الله من ماء زمزم ..

- سقاكم الله من ماء الكوثر ..

ولنقل كما قال سول الله ﷺ « **اللّهُمُ بارِكُ لَنا فِيه ، وزدنا منه ..** » إذا ما وفد علي الاسرة ضيفاً جاء من بعيد .. فيجب سؤاله عقب إستقباله عما إذا كان جوعاناً .. وأن يكون السؤال علي هيئة عرض لطيف ؛ كأن نقول للضيف .. (خيركم ما جاء بما عنده ..) (الجَواد يطلب الطعام) (الكريم لا يُضام) (ما جاد به الله علينا ..) وأن يُقدم له الطعام المتاح .. أما الضيف الذي أعلن مسبقاً عن موعد مجيئه ، ومبيته .. فيُقدم له الطعام المعد لهذه المناسبة .

- كانت من العادات المرعّية في الشرق ؛ أن يُقدم للضيف الذي دُعي للطعام ، ولن يبيت ليلته لدي الداعي . أن يُقّدم له ملعقة من عسل النحل ، أو المربي المنزلية .. ولكن بعد تطور صناعة الحلويات ، والشيكولاتات .. حلّت هذه محل العسل ، والمربي .. وكان البُعد الحضاري خلف ذلك يود أن يقول (لنأكل حلواً ، فيحلوا الكلام ..) وحتي في بعض المجتمعات كانت العبارة المصاحبة لذلك هي :

(حلّي فَمَّك .. = حلّي تُّمك ..= حَلّي بُقك ..)

- كما أنه من المعتاد ، والواجب أن يُسْأل الضيفَ قبل تقديم القهوة علي الطريقة التركية عن الكيفية التي يُريدها عليها .. (مضبوط .. ساده .. سكر زياده .. علي

الريحه..) وأن تُصَب أمام الضيف ويُقدم إليه الفنجان علي صينيه من المعدن ... أما الشاي فيفضل أن ياتي السكر مستقلاً .. وأن كان لكل مجتمع ثقافته الخاصة في تناول الشاي ، والقهوة.. ومن العادات التي أصبحت واجبة ، ومرعية لدي النوبة المصرية ، والعائلات التركية ، والكردية أن تُقدم الكولونيا بعد كل طعام ، وشراب ، وذلك بهدف تطهير الأيدي ، والحرص علي نظافتها .. فالنظافة من الإيمان .. كما تحرص بعض العائلات علي تقديم خِلَّة الأسنان للضيوف ، وعلي الضيف إذا ما استخدمها أن يداري بيده الأخرى أو بمنديل عند الإستخدام ..

– أهل الجزيرة العربية ؛ يقدمون القهوة العربية قبيل الطعام ، وتكون مصحوبة بشتى أنواع التمور ..وتكون وحدها بعد تناول الطعام .. وكذلك الشاي .

– تُقدم القهوة التركي وحدها ، أما مع الشاي ؛ فيقدم بعض الفطائر الخفيفة .. أو الكيك = الكعك ، أو البسكويت ، أو الحلويات الشرقية .. وقد أعتاد الناس علي أن يَجروا بعض الآحاديث عقب الطعام ، أو الشراب ، ولا ينصرف كل إلي حال سبيله عقب ذلك فوراً ..

– ومن آداب الطعام أن تُقدم الفاكهة في النهاية ، وأن يصحبها محارم ، أو مناديل، أو فوط صغيرة ... وأن تٌقدم بعد تناول الطعام بوقت معقول ..

لقد لعبت القهوة ، والشاي دوراً بارزاً في ثقافة التغذية فى المجتمعات الشرقية بحيث أصبحت تجرى فى المأثورات مجرى الأمثال الشعبية .. مثل : (الصُحْبة بلا شاي كالسماء بلا قمر ..) (كَوكل نه قهوة استر نه قهوه خانه ، كَوكل صحبت استر ، قهوة بهانه) (١)

وكانت مجتمعاتنا الشرقية الإسلامية بالقدر الذي تُحبذفيه القهوة ، وتقديمها قبل الأكل وبعده .. فإنها كانت تستهجن الدخان ، والتوتن ، فما بالك بالمشروبات الكحلية ، فإنها محرمة تماماً علي المائدة المسلمة ، وإن كانت بعض المجتمعات المستغربة ، والمتفرنجه بدأت تروج لهذه العادة المستهجنة ..

* * *

(١) الترجمة : « القلب لا يريد قهوة ، ولا مقهي القلب يريد صحبة ، والقهوة ما هي إلا وسيلة» .

عرفت المجتمعات الشرقية منذ القدم ، الولائم الجماعية ، والتي تنضم إليها العائلة كلها . . أو بعض أفرادها . . وربما تعرف ، أو لا تعرف مَنْ يجلس بجوارها . . وأهم هذه الولائم ، أو الموائد الجماعية هي ؛

وليمة العقيقة ، ووليمة الختان ، ومائدة الفرح ، أو الخطوبة ، والزفاف . .

إن هذه الولائم تتغير ، وتتعدد وفقاً للظروف الإجتماعية ، والإقتصادية ، والثقافية لكل منطقة .

جرت العادة أن تُقام هذه الولائم في محيط الأسرة ، وبين أفرادها ، والمقربين منها . . وأكثر هذه الولائم إزدحاماً هي **وليمة العرس** . . حيث يزدحم فيها الحضور ، والغالب أن البعض لا يعرف البعض الآخر . . وفي الغالب أيضاً أن هذه الوليمة ؛ إما أن تكون في بيت العريس ، أو في المطاعم ، والكازينوهات ، أو الفنادق . . أو دور الضيافة ، أو قصور الأفراح . . وقد إنتشرت هذه الأماكن في المدن الكبيرة ، وترتبط إلى حد كبير بالوضع المادى والإقتصادي للعائلة . . وإذا لم يكن وضعها يسمح بإقامة هذه الوليمة ، في مثل هذه الاماكن ؛ فإنها تحرص كل الحرص علي ديمومة هذه العادة الأصلية حتي في بيت العائلة ، وحتي لو إقتصرت علي أقرب المقربين من العائلتين المتصاهرتين . .

تتنوع الأطعمة ، بتنوع الأماكن ، والمستويات الأجتماعية لزوج المستقبل . .

أما في المدن؛ فإن ذلك منوط بالاتفاق ، الذي يتم بين المخوَّل من العريس ، والجهة أو المكان الذي سيقام فيه العرس . . وإذا كان الجميع سيتناول الطعام فى نفس الوقت ، فيتم الدعاء في النهاية . . أما إذا كانت كل مائدة علي حدة ، فإن كل مدعو يقدم أو يتمتم بالدعاء علي حدة . . وجرت العادة أن الشباب من أصدقاء العريس ، هم الذين يقومون بالخدمة خلال المائدة . . فهم الذين يعدّون المائدة ، ويَفَضّونها أو بمعني أدق هم الذين يرفعون الأطباق ، والبواقي أستعداداً للمجموعة الثانية . .

ومَنْ المرُاعي ؛ أن يترك الشباب الفرصة ، لمن هم أكبر منهم ، ليأخذوا أماكنهم علي المائدة أولاً . .

وليمة الختان؛ وهي من الولائم المهمة في المجتمع الشرقي .. وترتبط هي أيضاً ، بالوضع المادي للأسرة ، ولا تختلف عن طعام العرس ، في شيء كثير .. وتُختتم في العادة بالدعاء بطول العمر .. والنجاح المطلق ..

طعام المتوفي؛ كانت من العادات القديمة ؛ أن يُقدم أهل المتوفي طعاماً للغرباء الذين يأتون للتعزية ، وخاصة إذا كانت الوفاة في قرية ، أو قصبة تخلو من المطاعم العامة ..

وفي المناطق الزراعية في مصر تُساهم القرية كلها في تقديم الطعام للقادمين للتعزية، وذلك بأن يقدم صينية فيها من الأطعمة ما يكفي لاطعام أربعة ، أو خمسة من المعزيين .. واُستُبدلت هذه العادة في الوقت الراهن ، بأن يقوم كل رب أسرة ، من أسر القرية ، بإستضافة العدد الذي تسمح به إمكاناته ، لإستضافتهم في المنزل ، بدلاً من إخراج الطعام إلي السرادق، أو المضيفة العامة ، وتحرص العادات المصرية علي تقديم القهوة السادة للمعزيين خلال التعزية ، أو بعد الطعام ..

بينما الأمر في تركيا يختلف بعض الشيء ، فهم يقدمون الطعام للذين جاءوا للتعزية .. وأن تكون الحلويات المنزلية ، مما يحرص أهل المتوفي ، علي تقديمها للمعزيين ، وفي بعض المناطق يقدم الجاتوه ، والبسطة إلي جانب الحلويات المنزلية ...

وكما هو الحال في المجتمعات العربية ، فإن المجتمع التركي ؛ يحرص الجيران علي إحضار الأطعمة إلي منزل المتوفي ، لكي يطعم أهل المتوفي .. ولما كان أهل المتوفي مشغولون بالجنازة .. فإنهم يتركون أمر الطعام إلي بعض رجالات القرية ، ثم يتم دفع النفقات فيما بعد .. وفي تركيا أيضاً يمكن تقديم الطعام هذا في اليوم السابع ، أو الأربعين ، أو الثاني والخمسين من الوفاة ... ويعتبر هذا في المفهوم الإجتماعي العرفان .. وتقديم الشكر لمن وقفوا بجوارنا يوم الوفاة ، وساعة الجنازة .. وفي المفهوم الديني هو إبراء ذمة المتوفي بالرحمة والغفران .. كما تقدم المجتمعات الشرقية الأطعمة خلال إحياء ذكري المتوفي السنوية ... وذلك في المجتمع الريفي ، أكثر من المجتمعات الحضرية .. ويجب النظر إلي هذه النقطة بمنظور خيري ، أو بمفهوم صلة الرحم المستمر حتي بعد الوفاة ... وأن الأحياء لم ينسوا الذين رحلوا عنهم .. وبالرغم من أن مثل هذه العادات لا تستند علي سند ديني ، إلا أنها ما زالت مستمرة في العديد

من المجتمعات الشرقية . ويمكن إرجاعها إلي سندديني من زاوية آخري ، الا وهو (ولد صالح يدعو له) فالذكري السنوية هنا يمكن تفسيرها علي أنها من قبيل الدعاء من قبل الولد أي الجيل الحالي لمن رحلوا عنَّا ... وغالباً ما يسبق ذلك قراءة القرآن .. أو ختم القرآن أو المولد (*) في تركيا ، أو الدعاء الديني للمتوفي ... ثم يتلو الطعام دعاء آخر ، ويهدي كل ذلك إلي روح المتوفي ...

طعام الإفطار الرمضاني:

تحرص المجتمعات الإسلامية علي إقامة ولائم في شهر رمضان .. وتقدم هذه الولائم الإفطارية إلي الآقارب ، والأصدقاء ، والجيران ، وزملاء العمل ، وإلي المساكين والفقراء .

ولما كانت اعمال الخير تتضاعف أجورها ، وثوابها في رمضان ، فقد حرصت كل المجتمعات علي إغتنام هذه الفرصة . ولقد أتاحت هذه الأيام الكريمة الفرصة أمام أهل الخير لكي ينالوا ثواب صلة الرحم ، إلي جانب ثواب الكرم ، وإفطار المساكين في رمضان ولقد كانت الآعراف ، والعادات القديمة أن يقدم أهل الخير ، وأصحاب الثراء الطعام طول شهر رمضان .. وكان يعقب الإفطار ، ويسبقه قراءة القرآن .. وتقام صلاة التراويح ، ثم يعقبها السهر بسماع القرآن ، والتدريس في الأمور الدينية ، وتستمر هذه الجلسات إلي صلاة الفجر .. وتتخللها صلاة القيام . وينصرف الجمع بعد تناول طعام السحور . وكان يحرص هؤلاء الاغنياء ، والأمراء ، ورجالات الدولة علي تقديم مبالغ مادية ، أو قطع من القماش للأسر المحتاجة ، حتي تعم الفرحة مع العيد ..

ما يعنينا هنا هو الإفطار وخاصة الإفطار الجماعي ؛ وفي مصر إنتشرت هذه العادة بين النقابات ، والجمعيات ، والجامعات ، والمصالح الحكومية ، بحيث تُقدم كل منها إفطاراً جماعياً للعاملين بها .. وتُقام هذه الوليمة في الفنادق ، أو المطاعم ، أو الأماكن العامة ، المعدة لهذا ، كما إزدهرت في الآيام الآخيرة (مائدة الرحمان) بحيث تقام لها

(*) قصيدة المولد : هى قصيدة وسيلة النجاة التى يحبها ، ويرددها الاتراك فى شتى المناسبات الدينية ، وهى فى مدح ، وسيرة النبى ﷺ وقد الفها سليمان چلبى المتوفى سنة ٨٢٥هـ = ١٤٢٢م .

السرادقات ، في الجوامع ، والمساجد ، وعلي نواصي الشوارع بحيث يؤمها كل الفقراء ، والمساكين ، وعابرو الطريق . .

جرت العادة أن يعد طعام الإفطار في المنزل ، ولكن لما لم تعد المنازل في العصر الحديث تسمح بذلك ، فقد إنتقلت هذه المهمة - كما سبقت الإشارة - إلي المطاعم والفنادق ، والأماكن العامة . . كما أن أهل الخير ، وأصحاب الأوقاف قد حرصوا في وصاياهم علي تقديم ولائم طعام الإفطار تقرباً لله سبحانه وتعالي ، ولكي يترحم عليه المفطر ويدعو له . ويحرص الواقف علي أن يطلب ختم القرآن ، والدعاء قبل نهاية رمضان . . وكثيراً ما كان يحضر هذا الإفطار الخيري الأهل ، والأقارب ، والأصدقاء والأقارب تدعيماً للروابط الإجتماعية إلى جانب النواحي الدينية . . ومن هنا تنبع أهمية هذه الولائم . .

ومن آداب هذه الولائم ؛ أن يجلس المفطرون إلي الموائد قبل الآذان ببضع دقائق . . ويبدأ الفطور علي تمرات ، أو خوشاف ، ثم الحساء ، أو الشوربة ، ثم بقية الطعام .

هناك مناطق ، وبشكل واضح في الجزيرة العربية ؛ بعد تناول التمور ، أو الخوشاف، يتجه الجميع إلي المساجد، لصلاة المغرب في جماعة ، وبعد العودة يتم تناول طعام الفطور . .

أما في تركيا ، فيبدأ الفطور علي الزيتون ، والجبن الابيض ، والبسطرمة ، والسجق، والمربي ، أو التمر إن وجد ، ثم بقية الطعام . . . وعقب الإفطار يتم الدعاء بشكل جماعي . . . ويتلو ذلك صلاة المغرب ، وإن كان المكان يتسع ؛ تؤدي الصلاة جماعة ، وخلال هذه الفترة تكون عملية إعداد الشاي علي قدم وساق . . ويقدم وسط الصحبة الجميلة . والفكاهة الظريفة ، وذكريات رمضان في الماضي القريب . . .

ومن العادات الأصيلة في المجتمعات الإسلامية ؛ أنتظار مقدم شهر رمضان بالحفاوة ، وغبطة الفقراء ، والمساكين بمقدمه ؛ وكان الجميع حريص علي دعوة أهل العلم ، وطلابه إلي هذه الموائد الرمضانية .

وليمة الحج؛ وهي الوليمة التي يُقدمها الحاج ، عقب عودته ، سالماً ، من آداء الفريضة ، ويكون في مقدمة المدعووين ؛ الآقارب ، والأصدقاء ، والجيران .

إن الحج ركن من أركان الإسلام ، وتعمل الدول ، والحكومات الإسلامية طوال التاريخ علي تسهيل أداء هذه الفريضة ، لمن إستطاع .. وتشمل هذه الإستطاعة ، إلي جانب القدرة المادية ، المقدرة الصحية ، كذلك .. وتحرص المجتمعات ، والتجمعات الإسلامية علي الحفاوة ، والإحتفال بالحاج ؛ سواء عند وداعه ، أو إستقباله .. ويحرص بعض الآقارب ، والأصدقاء ، والجيران علي تقديم الهدايا للحاج قبل سفره ، وكانت في معظمها هدايا مادية ، أو عينية . كما يحرص الحاج علي إحضار بعض الهدايا من الأماكن المقدسة ، كمياه زمزم ، أو المسابح ، والطواقي ، وسجاجيد الصلاة، وتقديمها للمقربين من الآهل ، والاقارب ؛ والآصدقاء ، والمعارف ، وزملاء العمل . ومن المعتاد ، إلي عهد قريب أن يتحد مجموعة من الحجاج معاً ، ويقيمون وليمة جماعية للمستقبلين ، ويقيمون ليلة من الأنشاد الديني ، وتلاوة القرآن ، والحديث عن فضائل الحج ، ومناسكه ، ويحرص كل أهل القرية ، والقري المجاورة علي حضورها وهذه الوليمة ، وما يصاحبها من إنشاد ، وموالد ، وإحتفالات ، ليست واجباً ، ولا سنة دينية، إنما هي شيء من الشكر ، والعرفان ، والحمد لله علي سلامة العودة ، والإحتفاء المتبادل فيما بين مَنْ أدي الفريضة ، ومَنْ يتمنونها من الأهل ، والاصدقاء .

طعام النذر؛ هو الطعام ، أو الوليمة التي يُقدمها صاحب نذر ، عندما يتحقق المراد .. ويقيمها للأهل ، والاقارب ، والفقراء ، والمساكين ، وتكون في الغالب "لأهل الله" أي لكل الفقراء ، والمساكين ، والدراويش ، والطائفة التي نذر صاحب النذر ، أن يقدم الوليمة لها .. وفي هذا حض علي الوفاء بالعهد ، وأصبح من الشائع بين العامة؛ أن الذي لا يفى بما نذر تتراكم عليه المصائب ..

وتتشكل الوليمة ، أو طعام النذر حسب الشكل ، أو الهيئة التي تم النذر عليها .. فهي متروكة لمن قام بالنذر . ويظل النذر معلقاً علي صاحبه كالدين الواجب السداد . الآصالة في كل هذه الولائم ؛ هو عدم الإسراف ، أو التظاهر ، والمفاخرة ، بل أن تكون خالصة لوجه الله ... وأن يسعي صاحب الوليمة علي رضاء الله ، والمدعووين .. وألا يكون الرياء ، أو التكبر ، والمباهاة هو الدافع إلي هذه الولائم . بل عليه أن يُقدم الشكر إلي هؤلاء الذين تجشموا رهق الحضور ، وشرفوه بالحضور .. وعلي مَنْ حضر

الوليمة أن يُقدم الشكر ، والعرفان بالجميل لصاحب الدعوة ، وذلك لتذكره إياه ، واحترامه ، ودعوته لهذه المناسبة الطيبة . والآصالة والتراث الحضاري يحض علي قبول الدعوة .. وجبر الخاطر ... من التصرفات المحمودة ، أن يقدم المدعو ، إلي الداعي ، هدية رمزية بهذه المناسبة ، فهي مقبولة من كلا الطرفين ..

يجب أن يتصرف الداعي دائماً بلطف ، ولباقة ، وعلي المدعو الا يبحث عن القصور ، والتقصير .. وعليهما معاً أن يبتعدا عن ترديد الإشاعات ، والآقاويل ، وان يتصرفا حيال بعضهما ببشاشة ، وابتهاج ..وأن يبتعدا عن كل أشكال النقد خلال الوليمة .. بل يجب الإشادة بالجوانب الإيجابية .. وأن يتصرف الداعي بتلقائية ، ويبتعد تماماً عن المباهات ، والمظهرية ..

إذا كانت الدعوة تحدد عدد المدعوين ، فيجب عدم تجاوز العدد المحدد .. وحتي إذا لم يكن العدد محدداً فإن التوجه إلي الدعوة في زحمة من العيال ، والاطفال من المأكد أن ذلك يسبب ربكة ، وحرجاً للداعي ، ويجعل تحقيق الدعوة علي الشكل المناسب ، أمراً مشكوكاً فيه ..

إن التعليق المباشر علي خط سير الدعوة ، وخاصة خلال الوليمة ، وكذا الحديث بصوت مرتفع ، إلي حد الإزعاج ، وإلتهام الطعام ، والتصرف المتسرع ، من الامور المستهجنة خلال الولائم الجماعية ..

الأكلات ذات المناسبات الخاصة :

عَرفت المجتمعات الاسلامية مناسبات خاصة ، تُقدمَ فيها أطعمة ، وأشربة معينة ترتبط بهذه المناسبة ، وتختلف هذه الأطعمة والأشربة من منطقة إلي منطقة ؛ وإن كانت المناسبة واحدة .. وأهم هذه المناسبات التي تُقدم فيها أطعمة ومشروبات خاصة هي :

– العشر الآوائل من شهر محرم ، وفيها يقدم طعام "العشورة" نسبة إلي العاشوراء ، ويُعد هذا الطعام في البيت ، ويوزع علي الآقارب ، الجيران.

* * *

إن عاشوراء تحتل مكانة خاصة في التراث الشعبي ، وتختلف فيها الأقوال ، والمعتقدات . فمن المعتقدات السائدة أن يوم عاشوراء هو :

- اليوم الذي قبل الله سبحانه وتعالي توبة سيدنا آدم . .

- وهواليوم الذي نجي الله سبحانه وتعالي فيه ابراهيم الخليل من النيران . .

* واليوم الذي وُلِدَ فيه الخليل أيضاً . .

- وهو اليوم الذي ألتقي فيه سيدنا يعقوب ، مع إبنه سيدنا يوسف في مصر . .

- وهو اليوم الذي تم فيه شفاء سيدنا أيوب مما ألم به من داء . . .

- وهو اليوم الذي رُفع فيه النبي عيسي إلي السماء . .

- وهو اليوم الذي رست فيه سفينة سيدنا نوح علي جبل الجودي .

- وهو اليوم الذي نجي فيه سيدنا نوح ، ومَنْ معه من الغرق ، فتم إعداد الطعام بما بقي علي السفينة من حبوبيات .

لقد حرص المسلمون علي الإحتفال بهذا اليوم ، وإعداد الطعام فيه ، وذبح الأضاحي من الحملان ، وتوزيعها علي الأقارب ، والجيران ، والمساكين والمحتاجين . .

كما أن هناك أعتقاد ديني للربط بين هذه المناسبة ، ومناسبة استشهاد الحسين بن علي ، حفيد النبي ﷺ في كربلاء بالعراق . . ويحتفل الشيعة بهذه المناسبة ، ويتقبلون العزاء فيها . . وتقدم أطعمة العاشوراء بهذه المناسبة ترحماً عليه ، وعلي أرواح الذين استشهدوا معه في العاشر من محرم .

يُعد طعام عاشوراء من إثني عشر نوعاً مما نأكل ، ونشرب ، وهي :

الماء . . القمح . . السكر . . وتسع أنواع من الحبوبيات التي نأكلها [مثل السمسم ، الحمص ، الفول ، الفاصوليا ، العنب = الزبيب ، البندق ، التين ، الأرز ، الكاستانه = أبو قرو ، الجوز ، الرمان . .] يسوي كل نوع علي حدة ، ثم تخلط ، وتعد حسب أصول معينة ، ويُقدم مع طلب الدعاء .

- **المولد النبوي الشريف؛** فإلي جانب الإحتفال الديني ، وتدارس السيرة النبوية العطرة ، ففي هذه المناسبة ، تتهادي الأسر ، بحلويات خاصة بهذه المناسبة في مصر .. ويقدم السميط ، والملّبن = راحة الحلقوم في تركيا ، والشام ..

- **عيد الفطر؛** يقدم فيه الحلويات ، وكعك العيد ، والسكريات ..

- **عيد الأضحي؛** يقدم فيه السريد .. واللحم المسلوق ..

- **شم النسيم،** عيد الربيع = النيروز مهما اختلفت الأسماء ، فالمناسبة واحدة .. وهي إستقبال موسم الربيع ، وفي هذه المناسبة تُقدم الخضروات ، كالخس والبصل الاخضر ، والبيض الملون . والأسماك المملحة . وفي تركيا تُسمي هذه المناسبة "خضر إلياس" وفيها تقدم الخضروات ، ولحم الشاة ، والبيض الملوَّن ، والبصل ..

- **شهر رمضان؛** وفيه الصوم ، والقيام ، وتعد له أطعام خاصة ، ففي مصر تنتشر معارض الياميش ، والتمور ، والكنافة .. والمخللات . أما فى تركيا ، فإلي جانب الأطعمة المعتادة ، تعد البيدا = "خبز مخصوص" بالبيض ، أو البسطرمه ، أو اللحم المفروم ، أو اللانشون بهذه المناسبة .. وتقدم الحلويات الشرقية المعروفة ، وتكثر في هذه المناسبة .. وإذا كان التمر هندي ، والكركدية ، والخوشاف ، وقمر الدين تقدم كمشروبات في هذا الشهر الكريم في مصر ، فإن الألبان بكل مشتقاتها هي المفضلة مع التمور في الجزيرة العربية . بينما الشاي ، والشربات المستخلص من الفواكه هو المفضل في تركيا ...

- **قراءة الفاتحة؛** ويُقدم فيها الشربات ، والسكريات وأخيراً ، تم استحداث المشروبات الغازية مع الجاتوه ، والبسطة.

- **العرس** .. وتقدم فيه أطعمة تختلف من منطقة إلي أخري ، ولكنها تتفق في المناسبة ، وعلي أن تكون اللحوم الصنف الرئيسي فيها ..

-**رأس السنة الميلادية**، وهي من المناسبات الوافدة علي المجتمع الشرقي الإسلامي ، فبعض تجمعاته تحتفل بهذه المناسبة ربما تشبهاً ، وربما تضامناً مع الأخوة المسيحين في الوطن الإسلامي الكبير ، وفي هذه المناسبة تقدم أطعمة مشتقه من الديك الرومى ، والدجاج .. والفواكه الجافة .. مع الإحتفال بهذه المناسبة بإضاءة الأضواء ، والشموع.

-**عيد الميلاد**، عيد الزواج .. وفي مثل هذه المناسبات تقدم التورتات ، والجاتوه ، وتطفيء الشموع ..

– وفي المناطق الرعوية ، والزراعية .. وتقدم ألبان البقرات عند بداية ولادتها ، وتسمي "لبن المسمار" ويحرص الفلاحون علي إلقاء البصل فى المياه الجارية ، والاستحمام في المياه الباردة في موسم شم النسيم .. كما تحرص الفلاحات علي إعداد الفطائر البلدية = المشلتت وتقديمها مع العسل الابيض = عسل النحل ، أو الجبنة القديمة .. في هذه المناسبة .

– كما تحرص بعض العائلات ذات الثراء ،علي تقديم الأرز ، مع اللحم ، بعد دعاء الاستسقاء ...

هذا عدا المناسبات الاخري التي تكلمنا عنها سابقاً . وسوف نتحدث عن بعضها مرة آخري من زوايا آخري ...

* * *

الأعراف، والتقاليد المتعلقة بالحياة اليومية

تبدأ الحياة اليومية منذ الاستيقاظ من النوم صباحاً، وحتي الاستغراق في النوم مساءاً .. تشهد هذه المساحة الزمنية العديد من العادات، والتقاليد التي تحرص الأسر علي إنتقالها من جيل إلي جيل عبر العصور؛ يتعلمها الولد من أباه، والبنت من أمها، ونراها في المحيط الذي نعيش فيه فنعايشها، ونتعلمها .. نتقنها بالممارسة، ونعلورها بالقراءه، ونأصلها في المدرسة؛ (اللي يعيش ياما يشوف قالوا اللي يمشي يشوف أكثر) هذا التراث يحض علي أن نطوف في مجتمعاتنا، نتعلم عاداتنا، وآعرافنا .. نحافظ عليها .. نأصلها في نفوس الأجيال الجديدة، بالقدوة في البيت، والمدرسة، والشارع، والحي، والقرية .. نتأقلم عليها بالممارسة .. نقرأ عنها .. ونشاهدها في التلفاز .. ونسمعها في المزياع .. فتترسخ في اللاشعور الجمعي .. ونستدعيها تلقائياً إذا ما دعت الحاجة إليها .. إن محاولة تأصيل الجيد من هذه الآعراف، والتقليل، والتهوين من أمر السيء منها، مسئولية مشتركة بين مؤسسات المجتمع ككل ..

عرفت المجتمعات الإسلامية عملية تنظير، وتنظيم هذه العادات اليومية منذ أمد بعيد علي يد منظمات أو تنظيمات.

الفتوة الإسلامية (*) وحولتها من آعراف، وعادات شفاهية إلي تراث مدون، ومكتوب .. وقد حددوا للإنسان ١٢٤ عادة = قاعدة للحياة اليومية، وبينوا كيف يتحرك، ويتصرف الإنسان في المنزل، وفي الطرقات، وفي الأسواق، والحمام، وفي الجامع، والمسجد، و الأضرحة، والمقابر، في الضيافة، والتعاون مع الغير .. إنتقلت هذه الأعراف إن لم تكن كلها، فعلي الأقل نصفها إلي المجتمعات الغربية، واكتسبت فيها بعداً إجتماعياً .. بل وأصبحت من الإتكيت، والمراسم التي يجب مراعتها في

(*) الفتوة الاسلامية : طريقة صوفية انتشرت بين الحرفيين، وهى تمثل الفروسية الإسلامية، تعتمد على مبادىء مساعدة الغير، وضرورة أن يمتهن الانسان مهما كان موقعه فى المجتمع مهنة يتعيش منهما .. كما تعتمد على نقل العادات المهنية من الأسطى إلى الصبى .. مساعدة الغير هو المستهدف من الحياة . وتمكنوا من إقامة دولة خاصة بهم فى أنقرة بآسيا الصغرى .

البرُوتوكولات الحياتية اليومية .. إن دخول الإسلام ، والمسلمين إلي الأندلس ، والبلقان في أوربا قد ساعد علي نقل ، وإستقرار هذه الآعراف في اوربا ، كما ساعد قرب الترك ، واحتكاكهم الأكثر مع أوربا علي إعداد الأرضية الأوربية ، علي تقبل الكثير من التراث الإسلامي .. وإن لم يحفظوا الجميل للمسلمين . . .

- تجهيزات الصباح :

تبدأ الحياة اليومية في الآسرة ، أو العائلة بالنهوض من الفراش صباحاً . . . فالأب ، والأم ، بالتجربة يعرفان موعد الاستيقاظ لكل أفراد الأسرة .. ويوقظان مَنْ لم يستيقظ في موعده .. ينهض كل فرد من فراشة بالدعاء ، والحمد والثناء علي الله الذي أبقانا علي قيد الحياة ؛ فالنوم نصف ممات ، ومن هنا وجب الحمد والشكر لله .. ويعوِّد الأب ، والأم بقية أفراد الأسرة علي أن يحيوا بعضهم بعضاً بتحية الصباح ، "صباح الخير " أو بغيرها من التعبيرات التي تعبر عن التمنيات الطيبة بيوم طيب .. ويتوجه الكل لقضاء الحاجة ، والتوضيء ، أو الإغتسال ، أو علي الأقل غسل اليدين ، والوجه .. وإن كان التعود ، والتعويد علي الصلاة من الأمور الواجبة منذ الطفولة المبكرة . وهم ، وهن في السابعة ..

وعلي مَنْ بلغ سن الشباب من الذكور أن يحلق ذقنه .. وفي هذه الأوقات يكون بالبيجامة والإناث في قميص النوم .. وفي أقدامهم ، وأقدامهن شباشب غرف النوم ..

أما هؤلاء الذين أنهوا الوضوء ، أو الإغتسال ، والتنظيف أن يغيروا ملابس النوم ، ويرتدون الملابس التي يفكرون في إرتداءها في هذا اليوم .. وأن يُساعد الكبار الأخوة الصغار في ذلك ، ولا يتركوا الجهد كله علي الأم .. وعلى الذين أنهوا هذه العملية أن يساهموا في إعداد مائدة الإفطار .. ويتم التحدث ، أو مناقشة الأمور المهمة المنتظر إتمامها في هذا اليوم ، والجميع يتناول الإفطار وإذا كانت سرعة الحياة المعاصرة لا تتيح الفرصة للأسرة لكي يتناول أفرادها الإفطار ، سوياً ، فليحرصوا علي ذلك ، علي الأقل في أيام العطلة الأسبوعية ، والعطلات بصفة عامة ، حيث أن ذلك يدعم التآلف ، والمحبة بين أفراد العائلة . وأن يحرص الجميع علي غسل يديه

بعد تناول طعام الإفطار ، وغسل اسنانه بفرشة الأسنان .. لابد وأن يذكر الكبار الصغار بضرورة مراعاة القواعد العامة ، والذوق العام ، وهم يسيرون في الشارع ، أو وسائل النقل العام ، أو وهم في المدرسة .. ولابد أن يحرص علي مراجعة محتويات شنطة المدرسة قبل أن يغادر الصغار البيت ، خاصة وانهم قد جهزوها منذ مساء الأمس .. وأن يقبل الصغار ، أيدي الكبار ؛ وخاصة الأبوين ، ومَنْ يكون . موجوداً من الأجداد .. وذلك قبل إرتداء الحذاء إستعداداً للخروج .. لابد من تعويد الأطفال ، وكل من يغادر البيت علي التحية قبل المغادرة كان يقول "السلام عليكم " أو "في رعاية الله" وأن يرد الوالدين .. "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" أو "رافقتكم السلامة" أو "في رعاية الله وحفظه.." أو ندعوا لهم بالتوفيق والنجاح .. ونحن نودعهم . وأن تحرص الزوجة علي مثل ذلك مع زوجها قبل مغادرته البيت ، متوجهاً إلي عمله .. وأن يبدأ الزوج ، أو الأبناء أول خطواتهم خارج باب البيت بالتوكل علي الله تعالي مرددين .. توكلنا علي الله .... أو ما شابه ذلك من دعوات خيرة ..

- يومنـــا..

ونحن نتجه إلي أماكن العمل ؛ سواء أكان مدرسة ، أو دائرة حكومية ، أو متجر ، أو مؤسسة ما ، فلابد من مراعاة الذوق العام ، ونحن في الطريق ؛ وأن ننتبه لما يجري في الشارع ، ونحذر وسائل المواصلات ، وألا نتسبب في أذي للمارة سواء أكان انساناً ، أو حيواناً .. وألاّ نتلف الزرع ، أو الزهور في الأماكن التي نمر بها ، أو فيها .. وأن نحذر ، أو نراعي الدقة ونحن نسير ، فلا نصدم أحداً سواء في نهر الشارع ، أو كنا علي الرصيف ... لابد أن نحرص علي أن نسلك الطريق من الجانب الأيمن ، وألا نبصق في الشارع ، أو علي الأرض وألاّ نلقي بالمناديل ، أو المخلفات في الشارع .. وألا ندخن ، ونعيب من يدخن ، أو يلقي بأعقاب السجائر ، أو ببواقي الورق أو المخلفات في الشارع ... أن نفسح الطريق في الشوارع ؛

أولاً للمسنين ، والمعوقين ، والصغار ، وأن نساعدهم عند العبور من مناطق عبور المشاة .. وأن نعبر من اليمين دائماً . .يجب تحية مَنْ نصادفهم من المعارف ، والجيران

ونحن نسير في الشارع بالسلام أو بالإشارة .. أو بالكلمة .. وإن كان الوقت متسع ، ويسمح فلابد من السؤال عن الصحة ، والأحوال ، وألا نتدخل في الكيفية التي عليها قيافة ، أو ملابس الشباب ، أو السيدات ... وألا نعاكس ، أو نسمح بمعاكسة النسوة وهن في الشارع سواء باللسان أو بالأيدي .. بل نمنحهن الإحترام الواجب لهن.. فهن أمهاتنا . أو أخواتنا ، أو بناتنا .. وإذا ما مر بنا جنازة لابد أن نقف بإحترام .. ونتشهد ونطلب الرحمة للمتوفي عند مروره علينا ... وأن نتبعه ، إن أمكن ذلك وإن كان ممن نعرفهم .. ولو لخطوات قلائل . وإذا ما تصادف ، وسمعنا الآذان فيجب ان نكرر خلف المؤذن ، وألا نجهر بذلك .. وإن تصادف أيضاً ، وسمعنا السلام الوطني فإن كان العلم موجوداً ، يجب ان نقف في مواجهته ، ونثبت أنظارنا عليه ، وأن نقف بإحترام ، ونحن مرفوعي الرأس ، وإن كان العلم غير مرئي ؛ فيجب الإتجاه نحو مصدر الصوت ، وإذا كنا نحن في الداخل ، وصوت الآذان ، أو السلام الوطني يأتي من الخارج .. فنرد خلف المؤذن ، ولا نقف للسلام الوطني .. وإذا ما حضرنا تحية الشهيد ، أو ، وقفة حداد علي متوفي .. فلابد أن نقف في انضباط ، والرأس مائل قليلاً إلي الأمام ..

لابد من التعود علي النظام ، وانتظار الدور ، والسير في صف عند إستخدام النقل العام صعوداً ، أو هبوطاً .. لابد من البعد عن التدافع ، والتزاحم .. وأن نسير نحو الأماكن الشاغرة دون ان نسبب أذي لَمنْ هم أمامنا .. لابد أن نفسح المجال لمن ينتظرون قبلنا من الركوب أولاً ، وقبل أن نركب نحن .. ممنوع التحدث بصوت مرتفع داخل وسائل النقل .. كما أن التدخين ممنوع منعاً مطلقاً ، حتي ولو لم يُكتب ذلك .. كما يجب عدم الإعتماد ، أو الإرتكان علي راكب آخر .. لابد أن نترك مكاننا للمسنين ، والمرضي ، والحوامل ، والمحاربين القدامي .. وأن نمكنهم من الجلوس في راحة وأمان .. وأن نشعرهم بالحب ، والإحترام ..

علي قائدي وسائل المواصلات ، والنقل ؛ مراعاة قواعد المرور ، وألا يغالوا في إتباع ذوقهم الخاص عند سماع المزياع ، أو الكاسيت ، أو الفيديو سواء أكان ذلك موسيقي ، أو غناءً أو عرضاً للفيديو .. وألا يتحدث الركاب مع قائدي وسائل النقل ، إلا في الضرورات القصوي .. ولأقصر وقت ممكن .

- **التحية والسلام :**

علي الذين يصلون إلي أماكن عملهم ؛ سواء أكانت مدرسة ، أو دائرة حكومية ، أو شركة ، أو مصنعاً أن يلقوا بالتحية علي الذين سبقوهم بالحضور .. وأن يُعبروا عن تمنياتهم الطيبة بيوم سعيد .. "صباح الخير ..." أو "السلام عليكم .. " أو "نهاركم سعيد ، أو "يومكم جميل" أو ما شابه ذلك من التمنيات ، لابد من التوائم مع القواعد العامة المعمول بها ... والموضوعة من قبل الجهات الإدارية في كل المؤسسات الوظيفية .. وأن نجعل زيارة الأصدقاء ، والرفاق .. والمعارف قصيرة إلي أبعد مدي في أماكن العمل .. وألا نطلق الألفاظ جزافاً للذين يعملون أثناء عملهم .. وأن نستهجن التسويف في إنجاز أعمال أصحاب المصالح .. بل نبادر بإنجازها إن كنا نحن المكلفين بذلك ..

- **المصالح أو الدوائر الحكومية :**

إن مواطنونا .. وكل الذين يعيشون من حولنا .. منوط بهم التردد علي بعض الدوائر الحكومية لقضاء بعض من مشاغلهم .. كتأدية الضرائب .. أو إستخراج وثيقة ما ، أو إعتماد وثيقة ما .. أو من أجل المعاش ، أو التأمين .. أو المسائل الصحية .. وهم عند متابعتهم لهذه الأعمال ؛ لابد وأن يكونوا وجهاً لوجه مع الموظف المختص .. وما يجب عليهما معاً أن يحسنا الظن ببعضهما البعض .. فصاحب الحق يظن دائماً أن الأمور لا تسير علي ما يرام .. والموظف المختص ، يظن دائماً أنه هو الأقوي ، وهو صاحب السلطة ، وأنه هو علي صواب .. والمطلوب من كلا الطرفين أن يُحسنا الظن ، وأن يتعاونا علي إنجاز المهمة بالشكل المطلوب .. وأن يدرك المنوط به العمل أنه يمثل الدولة .. وأن صاحب المصلحة ، مواطن يؤدي واجبه في مكان آخر .. وأن الكل في واحد .. وأنهم يكملون بعضهم بعضاً .. ولذا فعلي المسئول أن يقدم الإحترام الواجب للمواطن ، وعلي المواطن أن يقدم الإلتزام المطلوب أمام ممثل الدولة .. علي الموظف أن يقدم كل ما يدعم ثقة المواطن في الدولة ، وأن أجهزة الدولة تعمل بالفعل علي خدمة المواطن ، وليس علي إذلال المواطن ، وإمتهان كرامته .. فكرامة الوطن من كرامة المواطن ... وعلي الجميع أن يدرك معني (إن الله في عون

العبد ، ما دام العبد في عون اخيه) يجب ان يكون محك التعامل هو الإحترام المتبادل ، والفهم المتبادل ، والوجه البشوش ، والكلمة الطيبه ، وحسن المعاملة ، والتعامل ؛ فالدين المعاملة . .

لابد ان يظهر الموظف للرؤساء ، والعامل لأسطواته ، والطالب لآساتذته الإحترام الواجب . . والتقدير المطلوب . . وعلي الرئيس ، والآسطي ، والمدرس ان يشملوهم بالحب ، والأ يبخلوا عليهم بالخبرة والعلم ، ونقل المهارات المطلوبة ، وان يهتموا بمصالحهم . . وعلي الطالب . . والموظف . . والعامل ان يحافظوا علي مدارسهم ، ودوائرهم ، وأماكن عملهم ، وان يتعاملوا معها كأملاكهم الخاصة . . وأن يتركوها لمن سيأتوا بعدهم سليمة ، ونظيفة . . وأن يتعهدوا معداتها بالرعاية . . وأن يبتعدوا عن تبديدها ، أو تخريبها . . بل يستخدمونها بالشكل الأمثل . . .

- طعام الغذاء :

إن غذاء الظهر ، إما أن يكون مع العائلة في البيت ، أو في المدرسة آحياناً . . أو في المصنع . . أو في المطعم . . مهما يكن المكان ؛ يجب مراعاة غسل اليدين قبل الاكل ، وبعده . . وغسل الأسنان بفرشاة الأسنان . . وأن نُراعي الذوق العام . . والأ نتناول الأطعمة ، ونحن نسير في الشوارع ، والا نلقي بالمخلفات في الطرقات . . وعلي الطلاب الأ يأكلوا من الأطعمة المكشوفة ، ومن الباعة الجائلين في الشوارع ، وحول المدارس لما تشكله من خطورة علي الصحة العامة .

- العودة إلي المنزل :

ما أن تنتهي ساعات العمل ، أو الدراسة ، والسعي علي المعاش اليومي حتي يتهيىء الجميع للعودة إلي بيوتهم . . وعلي الذين ينهون اعمالهم ان يرتبوا مكاتبهم ، وينظموا أدابيرهم ، وينظفوا مناضدهم ، ويلقوا بمخلفات أعمالهم في سلال المهملات قبل الإنصراف . . لابد ان يتاكد أصحاب المكاتب ان دوسيهات المصالح في أماكنها . . وأن الادراج محكمة الإغلاق . . ولابد ان يحي زملاء العمل ، ورؤساء الوظيفة قبل الإنصراف ، متمنياً لهم ليلة سعيدة . . أما الطلاب فعليهم قبل مغادرة

الفصول ، وقاعات الدرس التأكد من انهم قد وضعوا كتبهم ، ودفاترهم ، وأدواتهم المدرسية ، والدراسية في شنطهم .. وأن يحرصوا علي تحية زملاء الدراسة ، متمنين لهم ، أولهن ليالي .. وأمسيات سعيدة .. وإذا كان ذلك اليوم سيعقبه عطلة فيتمني عطلة سعيدة ، وأوقاتاً مفيدة قبل ان يُغادر متوجهاً إلي منزله ..

علي الذين يصلون إلي منازلهم ؛ أن يخلعوا أحذيتهم وأن يضعوها في الجذّامة ، أو المكان المخصص لذلك في البيت .. وأن يرتدي شبشب ، أو حذاء البيت .. وأن يحي الذين سبقوه إلي الدار ، وأن يرحب مَنْ في الدار بالقادم ... وأن يخلع ملابس العمل، أو الدراسة ، ويضعها مرتبة في دولاب الملابس ، ويرتدي ملابس المنزل .. وعلي الذين كانوا يقومون بآعمال أدت إلي تلوثهم ، أن يبادروا إلي أخذ حمام ، والإستحمام .. وأن يهتم التلاميذ ، والطلاب بدروسهم حتي يحين موعد المائدة .. ولا مناص ، ولا عيب في أن يساعد الأبُ ، الأمَ في إعداد المائدة .. وعلي كل افراد العائلة قبل العشاء ، وبعده أن يحرصوا علي قراءة الجرائد المتاحة ، أو أن يستمعوا إلي الإذاعة ، أو الموسيقي ، أو أن يشاهدوا التلفاز سوياً .. أو أن يقرأوا المجلات .. أو الكتب المتاحة .. لابد أن يعتاد الجميع ذلك .

- ما بعد طعام العشاء :

لمّا كان تسارع الحياة حال دون لقاء الأسرة علي طعام الغذاء ؛ فلقد أمسي طعام العشاء هو الوجبة التي يجب أن يجتمع حولها كل افراد الأسرة ... وبعد العشاء .. فإذا كان الأب يقرأ جرائده ، ومجلاته ، أو كتابه المفضل .. والأم تتابع برنامجها ، أو المسلسل التلفازي اليومي .. فعلي الأطفال ، والصبية والشباب الذين هم في سن الدراسة أن يتجهوا إلي دروسهم والمذاكرة ، وإعداد واجباتهم .. وإذا كانت الإمتحانات واجبة فعليهم الأستعداد لها .. وإذا ما إنتهوا من دروسهم ، عليهم . أن يعدّوا حقائب الدراسة لليوم التالي ، ولا يتركوا ذلك للصباح . وأن يتأكد كل واحد منهم ؛ من أن حذاءه نظيفاً ، وإن لم يكن كذلك ، فعليه أن يبادر بتنظيفه ، وتلميعه بنفسه وأن يتأكد كذلك من أن ملابس الغد معّدة .. وأن كل شيء مرتب في مكانه .. وبحيث يأوي إلي فراشه فيما بين الساعة ٢١ - ٢٢ مساءً ... وأن يُحي

والديه ، ومَنْ هم معه في المنزل ، قبل أن يدخل إلي غرفة نومه ، ويُغيِّر ملابسه بملابس النوم ، ويدخل إلي مخدعه ، أو فراشه .. لابد أن يتأكد من أنه قد أدي فرائضه ... وعليه قبل أن يدخل إلي فراشه أن يتأكد من وضوءه .. أو علي الأقل من طهره .. وغسل أسنانه ، وإذا ما دخل إلي فراشه ، لابد أن يتجه بقلبه إلي القبلة ، وأن يرقد علي جنبه الأيمن ، ويدعو دعاءً مستحباً إلي نفسه .. كان يقرأ المعوذتين ، وقل هو الله أحد ، أو يقرأ .. قل يا أيها الكافرون .. وينام علي آخرها .. أو أن يدعو كما كان

رسول الله ﷺ يدعو بأن يقول ، بعد أن يضع يده اليمني تحت خده « اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ » ثلاث مرات ، أو « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ » ولاينسي أن يدعو لوالديه .. وأن يترحم علي مَنْ مات من ذوي القربي . ومثل هذا الدعاء .. والتصرف مطلوب ، أو مستحب من الجميع ؛ أما كبار العائلة ؛ فإنهم يقضون بعض الوقت في المسامرة ، أو متابعة التلفاز ، أو سماع بعض البرامج المحببة .. أو يكمل قراءة ما كان قد بدأه من القراءة .. وإذا ما حانت الساعة المعتادة فعلي الأب أن يغيِّر ملابسه.. وأن يرتدي ملابس النوم .. وأن يتأكد من تأدية فرائضه .. وعلي الزوجة أن تزيل مكياجها ، وترتدي ملابس نومها .. ومَنْ ينام ، أو يدخل فراشه أولاً أن يحيِّي الآخر ، تحية المساء ، ويتمني له نوماً هادئاً ، وليلة سعيدة .. وأن يرد الآخر الرد المناسب . وعليهما ألا ينسيا محاسبة النفس .. والآتيان بالشهادتين ...والنوم علي الجانب الأيمن ، وذكر الدعاء المستحب .. أو أن يكبر ثلاثاً وثلاثين ، ويُسبح ثلاثاً وثلاثين ، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ؛ وذلك تطبيقاً لقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه ، ولفاطمة رضي الله عنها : « إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَي فِرَاشِكُمَا ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَ ثَلاثاً وثَلاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلاثاً وثَلاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلاثاً وثَلاثِينَ » وعلي الوالدين قبل الدخول إلي الفراش ، أن يتأكدا من إطفاء الغاز جيداً . وأن الكهرباء كلها مطفئة .. وإذا كان بالبيت مسنين ضرورة التأكد من الدخول في فراشهم .. وأنهم قد تناولوا أدويتهم .. وعلاجهم المعتاد .. وأن يساعدوهم علي ذلك ..

مهام الأطفال والشباب في الأسرة :

للأطفال ، والصبية ، وظائف ، ومهام جليلة في المنزل ؛ فعليهم أن يساعدوا في

إعداد ، ورفع المائدة .. والمعاونة في النظافة الصغيرة ، والبسيطة ، والقيام بالمشتريات الصغيرة وعليهم تنظيف ، وتنظيم غرفهم ، والمحافظة علي نظافتها ، وترتيبها .. وأن يلعبوا في غرفهم .. وأن يضعوا لعُبهم في آماكنها المخصصة لها ، بعد الإنتهاء من اللعب .. وألا يتركوا هذا الأمر للأم ، أو للكبار ..

لابد أن يعتادوا علي النظام منذ الصغر ؛ فمثلاً عليهم ترتيب فراشهم .. ووضع ملابسهم في خزائنها .. وأدواتهم الدراسية في أدراجهم .. وألا يرفعوا أصواتهم عند الحديث .. وألا يرفعوا الراديو أو التلفاز ، أو النظم الموسيقية عن المألوف والمعتاد .. وأن يحرصوا علي عدم الضوضاء ساعة إستراحة الكبار .. وألاَّ يأتوا بحركات مستهجنة .. أو يجلسوا جلسات غير لائقة في حضور الكبار .. وأن يعتادوا علي مساعدة الجيران .. فمثلاً يمكن أن يشتروا لهم المطالب الصغيرة للمرضي ، أو المسنين .. وإذا ما صادفوا في الطرقات كبيراً ، أو مسناً من الجيران أن يعاونوه في حمل الأشياء التي معه ..

وتمثل طريقة الحوار ، والنقاش ، والكلام داخل العائلة ، أو خارجها أهمية بالغة في السلوك الجمعي .. فلسانك حصانك إن صنته صانك ، والإنسان بأصغرية .. القلب ، واللسان ؛ فمن هنا لابد أن يعتاد الجميع علي صيغ الإحترام في الحديث والحوار .. فمثلاً يمكن إستخدام ؛ أنتم بدلاً من أنت .. وحضرتكم أو حضرتك .. بدلاً من أنت .. وعند مخاطبة الجد ، أو الجدة أو الوالد ، أوالوالدة يمكن استخدام حبيبي .. أو عزيزي مثلاً عند النداء أو المكالمة .. والمحادثة .. وأن يراعي الكبير إستخدام صيغ العطف ، والمحبة ، والشفقة ، والرحمة عند التحدث إلي الصغير .. كما أن علي الصغير أن يحترم الكبير في كل صيغ الحوار .. والنقاش ، وعرض المطالب ..

- آداب الحوار؛

تعتمد حياتنا اليومية في الكثير من أمورها علي الحديث والحوار .. ومن هنا ترسخت في وجداننا بعض القواعد السلوكية التي يجب تأصليها ، والحفاظ عليها في حياتنا اليومية ، ونحن نواجه العصرنة ، والتغريب .. والعولمة .. فمما يجب مراعاته في آداب الحوار ؛ ألاَّ نقاطع ، أو نقطع كلام من هم أكبر منا .. وألاَّ نسفه آحاديث مَنْ

هم أصغر .. بل يجب ان يصغي الكبار ، للصغار في صبر ، والأ يغضبوا من الآحاديث الخاطئة .. وان نحكي الصدق في بشاشه .. ولا نستخدم الكلمات العامية النابية .. أو لغة «السيم» في آحاديثنا سواء داخل العائلة ، أو خارجها لابد من التحدث مع الآخرين ، وإليهم بلطف ، وأدب جم .. وان نضف في نهاية الاسماء بعض الالقاب التي تدل علي الإحترام .. والتبجيل .. مثل . السيد .. المحترم .. البيه= البيك ، الباشا .. أفندم .. ست هانم .. الأنسه .. ويجب الأ نستخدم في لغة الحوار أنت .. بل أنتم .. ونحن بدلاً من انا .. والا نبالغ في إستخدام إشارات الأيدي، والأزرع ونحن نتحدث .. ولا نصرخ .. أو نزعق ولا نتشنج عند الحديث .. يجب الإصغاء إلي المحدث ونحن ناظرين إليه . متابعين لما يقول .. والا تضع أيدينا علي أكتاف أوظهر الشخص الذي نتحدث إليه .. أو نسمع له .. وإذا كنا نسير مع شخص ما .. وصادفنا واحد من المعارف ، أو الرفاق فيجب عدم إطاله الحديث معه ، وإهمال مَنْ كنا نسير معه .. وإذا ما وفد علي المتحدثين شخص آخر يعرفه أحدهما ، فيجب تقديمه ، وتعريفه للشخص الآخر .. لابد من تقديم الشكر لكل مَنْ قُدم يد العون ، والمساعدة وان نعتذر لمَنْ بدر منا تقصير في حقه . ولا حرج في ذلك قط .. ان نُعبِّر عن مطالبنا ، ورغباتنا مصحوبة بالرجاء ، وحسن العرض ، والتقديم ..

إن الهاتف وسيلة حضارية للتخابر السريع ، وقضاء المصالح ، لذا ، وجب إختصار القول .. والدخول في المطلوب باقصر الطرق ... علي الطالب أن يقدِّم نفسه للمطلوب أولاً .. وأن يذكر الرقم المطلوب . أو الشخص المراد محادثته مباشرة بشكل يتسم بالذوق الرفيع ، والادب الجم ..

وفي الهاتف يتم التحدث في الموضوع الذي من أجله تم الحديث الهاتفي فقط .. وتُنهي المحادثة بعد الإنتهاء من عرض الموضوع ، مع أطيب التمنيات ، والشكر الجزيل .. كما يتم الإستئذان من الآخرين قبل إجراء المحادثة الهاتفية ، وإذا كانت المكالمة من تليفون آخر ، وتجري بين المحافظات ، أو خارج المدينة ، أو بين الدول فيجب دفع أجُرتها ..

- عيادة المريض :

لابد من زيارة المريض من الآقارب ، والأصدقاء ، والجيران ورفاق العمل ، وزملاء

الدراسة .. ويُستحسن أن يُقدم إلي المريض هدية رمزية من الزهور ، أو الروائح ، ولا يُسمح قطعياً باصطحاب المأكولات للمريض بأي شكل من الأشكال ، فيما عدا الفواكه الطازجة ، أو العصائر النادرة . أو إستئذان المستشفي ، أو الطبيب المعالج قبل إحضار اي أطعمة ، فلربما تُسبب للمريض حساسية أو تكون غير مناسبة للحالة الصحية للمريض .. يجب الا تطول زيارة المريض عن ١٥-٣٠ دقيقة ، مهما كانت درجة القرابة والصداقة .. إلا إذا كانت مرافقته إلى حين معيّن .. لابد أن ندخل علي المريض ، وعلي وجوهنا ابتسامة .. وبشاشه ظاهرة ، ويكون مدار الحديث عن سرعة الشفاء ، والتحسن العاجل بإذن من الله تعالي ... ولا يُستحب الحديث عن الأمراض، أو المرضي الآخرين ، أو الموت ، والموتي ، وآخبار الحوادث والكوارث ... ولا نوصي عند الزيارة بأي علاج قد يتعارض مع العلاج الطبي؛ كطب الاعشاب ، أو الطب الشعبي ، وما شابه ذلك ... وعند الإنصراف نتمني سرعة الشفاء .. والدعاء الخالص بالعودة السريعة إلي الأهل ، والأصدقاء ...

- النظافة :

النظافة من الإيمان .. وتحتل النظافة ؛ من طهارة البدن ، والإغتسال ، والوضوء ، وغسل اليدين قبل الآكل وبعده ، والسواك قبل كل صلاة ، ركناً مهماً من حياة الفرد المسلم... وهي من القيم التي تحتل مكانه رفيعة ، في المجتمعات الإسلامية ، وقد سبق وتحدثنا عن نظافة البيت – وما إنتشار الحمامات العامة ، منذ ظهور الإسلام ، وإنتشارها في كل البلدان الإسلامية ، وبجوار الجوامع ، والمساجد ، ووسط التكتلات السكانية إلا دليل قاطع علي إهتمام الامة الإسلامية بالنظافة العامة ، ولم تخلوا الأحياء السكنية من أسبلة المياة ، وعيونها لتكون المياه في متناول الجميع .. كما أن العمارة المنزلية الإسلامية علي مر عصورها ، وبمختلف مستوياتها ، حرصت علي أن يكون في المنزل ، أو في الدار ، أو حتي في الشقة ، في العصور الأخيرة ، مكاناً ، أو اثنين للإستحمام المنزلي .. ويُطلق عليها في اللغات الإسلامية الآخري "غُسلخانه" أي بيت الغسل .. هذا إلي جانب المرحاض ، أو المراحيض التي لابد من توافرها في كل بيت .. كانت العمارة الإسلامية .. وما زالت في إيران .. ووسط آسيا تحرص

علي أن تكون المراحيض خارج الدار ، حرصاً علي سلامة الأسرة ... والصحة العامة .. وكانت تُقام في ركن ، أو زاوية بعيدة من زوايا الحديقة .. ولكنها نُقلت إلي داخل البيوت مع دخول المياه داخل السكني .. يحرص الإنسان المسلم علي نظافة جسده ، وملبسه ، فهو إلي جانب الإستحمام في مسكنه ، يحرص علي التوجه إلي الحمامات العامة ، ذات البخار ، ولو مرة واحدة أسبوعياً أو حتي شهرياً .. كما يحرص علي تغيير ملابسه الداخلية ، والخارجية ، وغسلها من حين إلي آخر .. وبشكل منتظم .. ومن الأركان الأساسية في الحياة الزوجية الإغتسال بعد الجنابة ، أي التطهر بعد العلاقات الجنسية .. فإذا كان المسلم حريص علي طهارة الروح ، فإنه كذلك حريص علي طهارة البدن .. فبعد اللقاء الجنسي يتم نية التطهير ، والوضوء ثم الإغتسال الكامل .. وأن تتسرب المياه ، وتتخلل كل اعضاء البدن ، وحتي شعر الرأس .. وتنص فرائض الوضوء علي غسل اليدين ، والوجه ، والمرفقين ، والاذنين ، والإستنشاق ، والتمضمض ، وغسل القدمين.. هذا خمسة مرات يومياً ، إلي جانب غسل اليدين قبل الأكل وبعده .. فاي نظافة .. واي تطهر يمكن أن يفوق ذلك .. وحتي في القري النائية ؛ تحرص كل البيوت علي نظافة داخلها ، والمساحات الفضاء فيها كالحوش ، والدهليز ، والمناطق الفضاء القريبة من البيت لابد ان تُكنس.. وترش بالمياه .. وكذا الشارع . وخاصة امام المنزل .. ولا تقل العناية بالنظافة في المدارس ، والمستشفيات ، وأماكن العمل ، والشركات عنها في البيوت ، وأماكن العبادة .. كل المجتمعات الإسلامية ، حريصة كل الحرص علي أن يحمل أفرادها المحارم ، والمناديل اليدوية علي إختلاف مستوياتها ، وثقافة العالم الإسلامي تحمل الكثير من المعاني عن المنديل ، والرمز الذي يحمله إلي جانب الرمز إلي النظافة .. فالمناديل كانت تهدى من الحبيب ، وإليه .. وتُطرز للغائب والمسافر .. وتُقدم كهدايا لمن شُفي من وعكة صحية .. كما أن المسلم موصي ، بأن يأخذ زينته عند كل صلاة .. اي انه مطالب إلي جانب التطهر ، والوضوء ، والسواك أن يهتم بملبسه الخارجي .. وبالتطيب .. لذلك إهتمت المجتمعات الإسلامية بالملابس الخارجية ، واللون الأبيض هو سيدالالون في معظم الأزياء الوطنية في العالم الإسلامي ... وتحض كل الآعراف علي النظافة .. ولا يُعاب من يرتدي لباساً قديماً.. ولكن يُعاب

من يرتدي لباساً قذراً ، أو متسخاً .. من هنا حرصنا جميعاً علي أن تكون ملابسنا نظيفة ... مكوية .. بل ومنشاة ..

- التصرف داخل المجتمع :

في القرية ، يحرص الأب علي أصطحاب ولده الصغير في الأفراح ، والتعزية في الميت .. والموالد ، والولائم التي يُسمح فيها بإصطحاب الصبية .. وفي الجامع وفي كل المنتديات العامة .. يُعلّمه .. ركوب الخيل ، وساستها .. وإمتطاء سنم الجمل .. والبغال ؛ والحمير .. والمشاركة في موسم الحصاد .. والأفراح التي تعم القرية في أي مناسبة ..

وتقوم الأم بنفس الدور بالنسبة إلي بناتها .. فهي تقدمهن إلي المجتمع بشتي تجمعاته .. وفي المدينة ؛ يحرص الأب ، والأم علي اصطحاب أطفالهم – من حين لآخر– إلي السينما ، أو المتنزهات .. والحدائق .. والمعارض .. والمهرجانات والمسارح .. ودار الأوبرا .. والمسابقات الرياضية ، أو المطاعم، والكازينوهات . والهدف المعلن هو الفسحة ، والتنزه .. أما الهدف الغير معلن .. أو لنقل التربوي ، هو أن نُعلمّ أطفالنا كيفية التصرف وسط الجماعة . وداخل إطار المجتمع .. ورويداً . رويداً وكما شاركت الأسرة في كل هذه الأنشطة .. فإن الصبية .. والشباب سوف يساهمون بدورهم في الفنون ، والرياضة ، ومختلف الأنشطة الثقافية .. والإجتماعية .. والعلمية .. والكشفية .. سيعرف كيفية التعامل مع الآخر ، أو مع الغير علي مختلف المستويات الإجتماعية .

فلسوف يتعلم كيف يحافظ علي النظام ، والدور ، والقواعد العامة في المسابقات الرياضية ، والفنية .. كيف يبتعد عن التدافع ، والتزاحم .. كيف يقبل النصر، والهزيمة كيفية التنافس .. والتسابق الشريف .. كيف يُحي كل تصرف ملتزم ، ويستهجن الغوغاء ، والهمجية في التصرف .. فالتوجه إلي الأنشطة الفنية ، بهندام نظيف ، ومرتب ؛ أمر مطلوب .. والإصغاء .. والهدوء .. والصمت في حفلات الأوبرا والموسيقى أمر مستحب .. تناول الأطعمة ، أو قزقزة اللب ، أو التدخين ممنوع بشكل قاطع في صالات المسارح أو الأوبرا ، أو الحفلات الموسيقية ... لا يسمح

بالدخول بعد بدأ العرض الفني .. علي المتفرجين ان تكون ضحكاتهم مرتبطة بالمشاهد التي تستحق الضحك في العمل المعروض ، سواء أكان مسرحاً ، أو أوبرا ، أو أوبريت أو سينما .. ولا يجب الضحك بصوت مرتفع ، بينما المشهد المعروض لا يستدعي الضحك. ومن العيب التصفيق في وسط المسرحية ، أو العمل الدرامي .. وإذا كان هناك ما يستحق الإشادة ، والإستحسان ، فلا يتم ذلك بالصفير بل بالتصفيق... وللتعبير عن زيادة الإستحسان يتم التصفيق وقوفاً ...

أحياناً تتجه العائلة بشكل جماعي إلي المتنزهات ، والحدائق ، وشواطيء البحار ، والبحيرات ، يقضون سوياً العطلات ؛ يلهون ، ويلعبون ، يأكلون ، ويشربون سوياً .. وعليهم ألا يلقوا المخلفات إلا في الأماكن المعدة لذلك .. وألا يتسببوا في أي ضرر ، أو إتلاف للزرع ، أو الزهور الموجودة في أماكن وجودهم ... بل عليهم بالإستمتاع بها ، بالمحافظة عليها .. وألا يلعبوا الكرة في الأماكن الممنوع اللعب فيها .. وعليهم ألا يسببوا إزعاجا للآخرين ، وهم يلعبون ، أو يلهون ، أو يستمعون للموسيقي ..

وفي البر ، والبراري ، ومساحات الأشجار ، أو الغابات عليهم ألا يشعلوا النيران إلا في الأماكن المعدة لذلك .. وألا يلقوا بأعقاب السجائر المشتعلة من وسائل المواصلات إلي حواف الطرق ، وجنباتها ، فقد يؤدي ذلك إلي حرائق مدمرة .. والفاعل فيها مجهول .

- الحياة في القرية :

تبدأ الحياة في القرية عادة قبل بزوغ الشمس ، ينهض أفراد الأسرة من فراشهم مرددين دعواتهم التي تعودوا عليها .. يتم الوضوء ، بعد غسيل اليدين .. وقضاء الحاجة .. يُجمع الفراش ، ويوضع في الدولاب .. ترفع الآغطية .. تُرتدي الملابس اليومية ، تُقدم الآعلاف إلي الحيوانات .. تُحلب الابقار والاغنام ... وفي نفس الوقت تكون الشوربة ، والشاي ، والحليب يُعد فوق المواقد ، وفي الأفران .. وقبل طعام الإفطار ، يغسل الجميع أياديهم مرة آخري .. ويجلس الجميع علي طعام الإفطار .. وعلي الفتيات أن يساهمن في إعداد الطعام ، ومكانه ، ورفع الأطباق ، وبقايا الطعام كما يساعدن في غسل آواني الطبخ .. وأطباق الآكل ..

عقب طعام الإفطار ، فإن التلاميذ يرتدون مرايلهم ويحملون شنطهم ، ويتجهون إلي مدارسهم .. أما الصبية ، والفتيان الذين لا يذهبون إلي المدارس فعليهم أن يقوموا بالأعمال التي يكلفون بها من قبل الوالد ؛ كرعي الأغنام . وآخذ القطعان إلي الحقل ، أو المعاونة في الحصاد ، أو جمع المحصول ، أو ري الزرع . وإذا كانت الحقول ، أو الغيطان بعيدة فإن الأم تُعطيه الزوادة .. أو "الغدّيوه" لكي يأكلها عند الظهر .. وبعد ذلك يخرج الأب ، والأم سوياً ، ومعهم معدات الحقل ، والعمل . وإذا كان العمل سيطول ، فإنهم يأخذون معهم أيضاً طعامهم ، ومياه شربهم .. وكانت غالباً ما تكون المياه في القربة ، أو الزمزمية .. أما إذا كان هناك مسنون في الدار كالعمة ، أو الخالة ، أو إحدي الآرامل فإنها تهتم بالحيوان كالدجاج ، أو البط ، والوز ، والآرانب .. والعناية بالأطفال الذين تقل أعمارهم عن ست سنوات ، وهو سن المدرسة في معظم البلدان الإسلامية .. كما تهتم بالخبيز .. أو طهو الطعام .. أو الغزل .. أو الخياطة .. أو شغل الجوارب .. ومع المساء تدخل المواشي حظائرها .. والدواجن أعشاشها .. وتُحلب الماشية ، وتوضع آلات الزراعة .. والحصاد في آماكنها ..

تستبدل ملابس العمل بالملابس النظيفة .. وتُنظف الآجساد .. ويجلس الجميع علي طبلية ، أو صينيه أو مفرش ، أو مائدة العشاء .. وعلي العشاء ، يتم مناقشة الآعمال التي تمت اليوم ، وما سيتم عمله في الغد .. ويقدّم المسنّون تجاربهم ، وتوصياتهم .. وإرشاداتهم .. وبعد تناول الطعام ، يُحتسي الشاي .. أو القهوة .. ويستمع الكبار إلى الراديو .. أو يشاهدوا التلفاز .. بينما التلاميذ ، والطلاب يستغرقون في واجباتهم المدرسية ، ويعدّون دروس الغد ..

المعتاد فى القرية . هكذا كان – أن تنام القرية مبكراً حيث يستيقظ الجميع مبكراً ويدفع بالصغار ، والصبية والشباب إلى فراشهم قبل الجميع ، مع تمنيات ، ودعوات خيِّرة بالنوم الجميل .. والأحلام الطيبة .. والتوصية بالإستيقاظ المبكر ، تفرش المراتب،وتُستخرج الألحفة والأغطية من الخزائن ، أو الدواليب .. أو الصناديق الكبيرة .. وقبل الرقاد ، والدخول إلى الفراش يتم غسل الأيدى والأرجل . وتنظيف الأنف .. ويذهب من هو بحاجة إلى قضاء حاجته إلى المرحاض ..

وتقوم الأمهات بتنويم الرُّضْع ، والأطفال ، والجدات ثم ترتدى لباس نومها .. تتمنى الخير للجميع ، شاكرين الله على توفيقه .. يدعونه بحسن القبول .. والرزق الحلال .. وأن يُبارك لهم فيما أعطى ..

العبادة ودورها فى بناء المجتمع :

العبادات جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية فى المجتمعات الإسلامية الشرقية .. فأفراد الأسرة جميعاً ، وفقاً لآعمارهم ، ونوعية آعمالهم ، لهم عباداتهم التى يؤدونها وفقاً لظروفهم الصحية .. والعمرية .. فهم يقيمون الصلوات الخمس فى أوقاتها .. يصومون نهار رمضان ويقومون لياليه .. لايتهاونون فى ترديد الشهادتين صباحاً ومساءاً .. حريصون على إخراج الزكاة .. ويقدمون يد العون ، والصدقات إلى مَنْ يحتاج إليها .. ومَنْ هو قادر على أداء فريضة الحج ، فهو يسعى إلى إتمامها فى أقرب فرصة تواتيه .. وتختلف مراسم الإحتفال بأداء فريضة الحج من مجتمع إلى آخر ، بل من تجمع إلى آخر داخل المجتمع الواحد .. يتبرع ، ويتصدق الجميع لدور العبادة ، وتحرص المجتمعات الإسلامية على إعداد مقابرها .. ومدافنها .. والمحافظة عليها .. والبقاء عليها نظيفة مُعْتنى بها .. يستمعون إلى تلاوة القرآن .. والإنشاد الدينى فى المواسم، والآيام الدينية التى يُستحب فيها الاستزادة من الجوانب الروحانية .. والاحتفال بالمولد النبوى ، وليلة الإسراء والمعراج ، وليلة القدر .. وعاشوراء .. ويحتفلون ويفرحون بالعيدين .. ويذبحون الآضاحى تقرباً لوجه الله فى عيد الآضحى ..

* * *

الرحـــلات.....والسـفريات
(الرفيق..قبل الطريق)

إن مـجـتـمـعـاتنا الإسـلامـيـة .. كـل علي حـدة .. شـاسـعـة الأرجـاء .. مـتـرامـيـة الأطراف.. وقـسـم كـبـيـر مـن مـواطنيـهـا - ولأسـبـاب عـديدة - مـضطـر إلي السـفـر والتنقل بين مـدنهـا وقـراهـا .. فـالرحـلات مـتـتـاليـة ... والسـفـريات مـضطرة . فـإذا ماكنت فى الرحلة ، أو السفرية وحيداً.. فلست مخيراً في إختيار رفيق الطريق .. بل هـو مـفـروض عليـك ، وأنت مـفـروض عليـه .. وسـواء طالت الرحـلة ، أم قـصـرت السـفـرية .. فليس من اللائق أن تتـحـدث إلي مَـنْ هـو بجـوارك رغم أنفـه .. ولا تـزج بـه ، وبنفسك في حديث قد لا يهمـه .. لا تزعجه .. بمحاولة إقتحـام صمته ، ولا تفـرض عليه حديثك ، كما فُرض عليه جلوسك .. وبنفس القدر من الكياسة .. لا تكن عـبـوس الوجـه ، مـقطب الجبين ، فـهـو لـم يفـرض نفـسـه عليـك ، بل ظروف الرحلة هي التي فـرضت عليكمـا هذه الجيرة المكانيـة .. فلا تجـعـلهـا أكـثـر ثقلاً .. وإزعاجاً .. وأفـضـل شيء يمكن عـمله هـو التـصرف بكياسـة ولباقـة .. وأن تلـتـزم بأفضـل الطـرق في ألا تُزعـج أحداً .. ما زالت من العادات المتاصلة في أعـما قنا هـي أن نصطحـب معنا عند السـفـر كـمـيـة مما ناكل .. بدعـوي أن ذلك من مـسـتلزمات الطريـق .. والرحلة .. مـثل هـذا التـصـرف لـو نظرنا إليـه مُن زاويـة البـعـد عن الإسـراف .. وأنـه نـوع من الإقـتـصـاد في النفـقـات .. فـهـذا أمر طيب.. ويجب تأيـيـده.. وتزكـيـتـه .. ولكن يجـب ألا يغـيـب عنا .. عـدم إزعـاج من يجـلـس بجـانبـي ، حين تناول هذه المأكـولات ، ووسيلة النقل فى حـالة تحرك .. خـاصـة وإن كـانت حـافلة .. أو سـيـارة .. بل يفـضل تناول هذه المأكـولات خـلال التـوقف للإستراحة..

أما إذا مـا وجدت فـيـمن يجلس بجانبك ، الحاجـة في أن يشاركك الحـديث .. فلربما تخرج به صـديقاً .. أو رفيقاً طيب العشرة .. وقديما قالـوا .. الرفيق .. قبل الطريق..

لقد حاولنا في هذا الجزء المنصرم أن نرصد الحياة اليومية للفرد ، منذ أن بدأ في

الصباح مع العائلة ، وحتي إنقضاء يوم كامل .. لقد تمت الإشارة السريعة إلي قِلّة قليلة من العادات . والآعراف التي تجري فيما بيننا خلال نهار ذلك اليوم . وإن كان بينها ما يستحق الرصد المستقل ، وهذا ما سوف يدفعنا إلي تخيُّر بعضها . ومحاولة رصده ، وتأصيله ..

* * *

إن البقاء للأمة ، والدولة .. والفناء للأفراد – وتنوع الرعيَّة .. ولقد عرفت المجتمعات الإسلامية ، وخاصة الزراعية منها المؤسسات ، والتنظيمات الإدارية .. ولما جاء الإسلام أصل هذا الفكر علي أسس جديدة .. لا فضل لعربي علي عجمي ، ولا لعجمي علي عربي إلا بالتقوي .. والكل سواسية كأسنان المشط .. ليس معني هذا أن العالم الإسلامي كله ظل وحدة واحدة مترابطة ... بل شهد العالم الإسلامي عصوراً من التفرق .. والتشرذم عقب وفاة الملوك .. العظام .. فعقب الوفاة كانت تتفرق الممالك بين الأبناء ، ويشتد التطاحن بين الأسر الحاكمة .. شاهدنا ذلك علي صفحات التاريخ.. في عهد الأمويين .. والعباسيين .. والسلاجقة .. والمماليك ، والعثمانيين... كان الخاسر في كل هذه الصراعات هو الأمة الإسلامية .. وفي الفترات التي كان يسود فيها الوحدة .. والتوحد .. سمت الأمة الإسلامية وعلا شأنها .. إرتقت حضارتها .. وأثرت في الحضارات الآخري .. وصفحات التوحد مرصودة ومسجلة ، كما أن صفحات التشتت ، والفرقة مرصودة .. ومستهدفة . مَنْ منًّا لا يختلج فؤاده بصفحات التوحد عند صد العدو الغادر .. ومَنْ منًّا لا يتمزق قلبه مع تمزق العالم الإسلامي في فترات التشتت . الخاسر هو الأمة .. في فترات حاسمة في تاريخ المجتمعات الإسلامية كانت الدولة تعني الأمة .. والأمة تعني الدولة ، وكلاهما يعني الديمومة ، والإستمرارية .. هذا التَوحَد هو الذي ضمن الإستمرارية .. وهذه الإستمرارية – في فترات القوة – دعمت هذا التوحد .. والأمة – والدولة ذات المؤسسات هي التي طالت ديمومتها .. وفرضت إستمراريتها .

لا يمكن أن نقبل بيننا ؛ من لا يقبل فكرة ديمومة الأمة الإسلامية ، حتي وإن إختلفت أشكال دولها .. فالأمة ، والدولة اي الأمة ، و المؤسسات هما أساس الديمومة.. نمط الحكم وطرزه ، وأشكاله .. ما هي إلا كالقشرة التي لا تمس الجوهر ، إن هي إنتزعت .. هي كالشرنقة التي لا تخنق ما بداخلها .. بل تحميها إلي أن تتهيء لها الظروف .. ويشتدعودها .. من هذا المنطلق .. يجب أن يتاصل فينا فكر الخلود للأمة .. وديمومة مؤسساتها .. لابد أن يتعمق هذا الفكر فينا .. ويتخلل ، بل يمتزج

بحياتنا اليومية.. يجب ان نبني مؤسساتها علي إعتقاد ان الغد يُعلي الأمس .. وأن اليوم هو إستمرار للأمس ، وتمهيد للغد ... إن فُقدان الجهد فيما نبذله من هدم لمؤسسات الأمس .. لابد وانه سيقوض الدعائم التي نشيد عليها حضارة القرن الجديد .. لا مانع من ان نُعدِّل المسار ، ونُقوِّم المعوج .. حتي ندخل سباق القرن الواحد والعشرين علي أسس متينه ، ودعائم متطورة ..

إن القائمين علي دواليب العمل ، والآخذين علي عاتقهم تسيير حركة هذه الدواليب .. يجب ان يتخلصوا من فكرة فساد السابق عليه .. إن تفشي مثل هذا الفكر يحبسنا في دائرة الفساد ، ويُبعدنا عن دائرة الضوء .. بل يجب أن ندرك أن البناء قائم .. ومستمر .. وكل منّا مطالب بأن يُضيف في مكانه لبنة .. أو أن يُضفي بسمة ، لابد ان نبدأ من حيث إنتهي مَنْ تولي مسئولية المكان قبلي . وأن أُسلم مَنْ يجيء بعدي ، وقد تقدم البناء خطوة ، أو سمي درجة .. إن تصرفنا عكس ذلك ، فإننا نُعوِّق ديمومة دولة المؤسسات .. ونسبب ضرراً للأمة ، بالجهد الضائع .. والوقت المفقود.. والثروة المهدرة .. إن الدولة تُقاس بمدي إعتمادها علي صمود مؤسساتها ، وبمدي تطور هذه المؤسسات ، مع الحفاظ علي آصالتها .. ويجب ألاّ يتبادر إلي الذهن ان هذا الذي يُقال ؛ لا يمنع التغيير .. ولايصد التطور ، ولا يحول دون التقويم.. والتقييم المستمر .. ولكن بشرط ان الا يكون التغيير للذات .. والتطوير من أجل فئة علي حساب الكل .. بل يجب ان يكون التقييم ، والتقويم ؛ منطلقاً من مفهوم خدمة الدولة التي تعمل علي خدمة الأمة ، التي هي الشعب ...

* * *

إن كل أمة من الأمم ؛ لها مفهومها الخاص بالأخلاق ، وقد اكتسبته من تجاربها ، وخبراتها عبر آلاف السنين ، ولذلك ؛ فإن الأخلاق ، وسلوكياتها المتعارف عليها ، لها تأثيرها في تسيير حياة المجتمع ، وصاحبة قوة ، تفوق في تأثيرها الكثير من القواعد القانونية المكتوبة .ذلك لأن الأخلاق تستمد مصداقيتها ، وسريانها من وجدان المجتمع .. ومن هذا المنطلق . فإننا سنتناول هنا قواعد الأخلاق العامة ؛ فيما يتصل بالعمل .. وسلوكياته المتعارف عليها ..

- أخلاق العمل ، والإنتاج ؛

إن المقاييس ، والمعايير الأخلاقية ، تكتسب أشكالها ، وأنماطها وفقاً للأشكال ، والأنماط التي يكتسبها المجتمع بمرور الزمن ، ووفقاً أيضاً ، لظروف الحياة ، ومتطلباتها المتغيرة .. ولكن الأسس ، والقواعد الأخلاقية التي تأصلت في الماضي .. والتي تتكون ، وتتشكل وفقاً للمواقف ، والأوضاع الجديدة لا تفقد أبداً أصلها .. وآصالتها.. فمثلاً .. التصرف الذي يُقلق وجدان المجتمع .. والذي تتفق الأغلبية المطلقة علي إدانته فلا يمكن ان تكون عملية إكتساب هذا التصرف للشرعية مهما كان مصدرها ، موضوعاً ، أو حتى مطروحاً للبحث .. فالأخلاق كلٌ لا يتجزأ .. فأخلاق العمل ، والأخلاق العائلية ، والأخلاق الإقتصادية ، والأخلاق العلمية ، والبحثية .. لا تمثل تغييراً في الآخلاق ، أو تغيراً في مقاييسها .. بل هذه كلها تُعبر عن تنوعها ، وأنماط ممارستها الحياتية ..

إن الفرق بين المجتمعات التي تقدمت الصفوف بقواتها الإقتصادية ، وبين المجتمعات الآخري ، يتبدي ؛ أو يظهر بشكل جلي ، بالتطور الاقتصادي ، وبمسئلة التقدم أو التخلف المطروحة في آيامنا الراهنة .. وهذا .. يجب ألاّ يفرض علينا مفهوماً مستقلاً، ومغايراً للآخلاق ، ولا أن يكون ذلك شرط من شروطها ..

* * *

إن المجتمعات الشرقية الإسلامية قد قبلت العمل علي أنه عبادة ... فالعمل عبادة.. ومن هذا المنطلق .. ظهر الفرق بين الحلال ، والحرام .. وتوحد هذا مع فكر المكسب ، أو التكسب من الحلال .. ومن غشنا .. فليس منا .. ومما لا شك فيه .. لو تأصل في وجدان الأمة ، أن بقاءها .. وإستمرارها منوط بقوة العمل ، والكد ، والمثابرة .. فإن ذلك سيكسب حياة العمل ، والإنتاج ديناميكية ، وحركية مختلفة تماماً ..

وفي هذه النقطة سيتحد العامل ، مع صاحب العمل ، ويرتبط به ، وسَيَخرج المستهلك ، والمنتج من التطاحن ، وإستغلال بعضهم البعض ، وينقلا المجتمع من مجتمع مستغل ، ومتطاحن إلي مجتمع متحاب ، ومتعاون ، تحاول طبقاته ، وتجمعاته أن تحتضن بعضها بعضاً ، وأن تحمي بعضها .. بل وتحتمي تجمعاته ببعضها البعض .. وتُراثنا .. وتاريخنا الماضي ، مفعم بالنماذج ، والأمثلة التي تدل علي ذلك، وتُدعمه .. ويكفينا في هذا الصدد أن نذكر بتعاضد الأخيان = الفتوة ، أو بالتشكيلات الحرفيه ، وما يسود بينهم من تكافل ، وتساند ، وتعاضد ، وتعاون.. وكيف يؤازرون بعضهم بعضاً ، حتي دون سابق معرفة ..

- الأسطي ... والصبي .. والقلفه :

إن أول ما يطلبه الأسطي ، من الصبي ، الذي يعمل معه ، وإلي جانبه في أي مهنة من المهن ، أن يكون يده ، وسنده .. ولسانه .. وأن يكون قادر علي أن يسيطر علي هذه المهام ، وإذا ما تأكد الأسطي من ذلك ، فإنه يُعلم صبيَّه كيف يكون قالفه "ألفه" وأسرار العمل ، جنباً إلي جنب مع أخلاقيات المهنة ، ومفرداتها.. ويهتم في البداية ، وقبل كل شيء ، بتعليمه كيف يكون إنساناً .. وهذا الفتي الذي يتعلم من أستاذه ، أسرار المهنة ، خطوة ، خطوة .. أو رويداً .. رويداً ، فإنه يتعلم منه أيضاً كيفية الحفاظ علي معداته ، وأدواته ، وخاماته ، والأشياء التي يستخدمها ، وما يجب عليه عمله تجاه الآخرين ؛ من زبائن ، ورفاق المهنة ، وكيفية التعايش مع رفقاء الطريق .. وبعد أن يتلقي الصبي أصول المهنة بالقدر الكافي،

وبعد أن يتعرض إلي عدة امتحانات ، أو إختبارات من أسطوات آخرين يُصبح قالفة ، وسط مراسم معينه .. ويُعلن ذلك للآخرين ، ويحق له ان يراس بعض الصبية ، وان يدير الورشة في غياب الآسطي .

في هذه المرحلة يُلقّنُ القالفة التعليم ، جنباً إلي جنب مع تعلمه إياه ممن هو اكبر منه؛ أي أنه يُعلم ، ويتعلم ، ويمارس الإدارة علي نطاق ضيق .. وما أن يصل القالفة إلي المستوي الذي يمكنه من فتح دكان ، أو ورشة خاصة به .. فإنه يستأذن الأسطي ، ويستسمحه في ذلك .. ويتم هذا الإفتتاح ، وسط مراسم معينة ووفقاً لتقاليد ، وآعراف متعارف عليها .. ويساعده االسطي . والتشكيلات المهنية في تكوين رأس المال اللازم حتي يقف علي رجليه .. وهكذا .. تدور رحي الحياة ...

- **المصداقيـــة :**

كان في العرف السائد ، علي الحرفي ، والمهني ، والبائع ، والتاجر ؛ أن يحرص علي أن يجعل بضاعته سليمة .. وآخلاق المهنة ترفض أي تردي في المقاييس المعتادة لأي بضاعة.. وكانت العلاقة دائما بين المنتج ، والمستهلك تتسم بالمصداقية .. وإذا ما ثبت عكس ذلك علي أحد منهم .. فقد كانوا جميعاً يتفقون علي غلق ورشته ، أو دكانه .. ومحاصرة ما ينتجه لفترة ما ، حتي يعود إلي رشده ، وصوابه ..

إن كتب كل الرحالة الذين زاروا العالم الإسلامي يتحدثون عن صدق التاجر المسلم، وأمانته ، وصدقه ، فهو لا يكذب ، ولا يساوم في البيع ، أو يغش ، أو يخدع المشتري .. وقد كان التجار ، والحرفيون يمارسون الرقابة الذاتية عن طريق نقاباتهم المهنية .. أو مؤسساتهم التجارية .. فشيخ الحرفة ، وشاهبندر التجار ، مسموع الكلمة ، مرهوب الجانب ، لدي أرباب الحرف ، والمهن ، والتجار ..

ولو حرصت الاجهزة المعنية في عالمنا الشرقي المسلم علي إعادة هذه الآعراف وتاصيلها ، وتنظيمها ، وتعميمها علي كافة المستويات ، فمما لا شك فيه ، ان الخلل لن يتطرق إلي حياتنا الحرفية ، والمهنية ، والتجارية .. ومن الممكن ان تنطلق . من هذا المفهوم – كل الغرف التجارية ، والنقابات المهنية ، والعمالية لتُصلح ما فسد في علاقات العمل ، والعمال .. ولصارت العلاقة بين العامل ، وصاحب العمل علاقة ود،

ومحبة ، وتعاطف .. ولتحقق فينا وبيننا قول النبي المصطفي ﷺ «**أَعْطُواْ الْعَامِلَ أجْرَهَ قبل أنْ يجف عَرَقُهُ**» فيشعر العامل بالعَطف .. فتتولد لديّه السكينه ، وينعكس ذلك علي الإنتاج من حيث الجودة ، والوفرة .

***

العُمَّال..وأصحاب الأعمال..

إن المجتمعات الإسلامية ، بصفة عامة ، والمشرقية بصفة خاصة ، تشهد صحوة محمودة في شتى الميادين ، وتتطلع إلي زيادة النمو الإقتصادي ، وجودة المنتج ، لتقدر علي المنافسة .. وتصمد أمام مباديء العولمة الجارفة .. ولكي تستمر هذه النهضة المنشودة .. فلابد من تغذيتها بما لدينا من مآثر ، وآصالة .. وآعراف .. وعادات تحض علي التعاون ، والتعاضد ، والتساند ، فمثل هذه القيم يمكن أن تحقق السلام الإجتماعى جنباً إلي جنب مع السلام في الآعمال ، وضمان نجاحها ، وتطورها .. ونحن الآن نعيش عالم الخصخصة .. فإن رجال الآعمال ، لو شعروا بالطمئنينة الإجتماعية .. وبالود الإجتماعي ، الذي يُنمي الإنتماء فإنهم سيبذلون قصاري جهدهم ، ويؤثرون أوطانهم بمشروعات عديدة ، جديدة وطموحة ، تتفق مع المطالب الإقتصادية ، والطموحات الصناعية لأوطانهم ، وأمتهم .. وسيربطون ، بشكل ، أو بآخر، بين وجودهم ، ووجود بلدانهم ، ويدمجون ثرواتهم بثروات الوطن، والأمة ، ولن يغيب عنهم قط أن وجودهم مرتبط بوجود ، ورفعة الوطن ، ونهضة الأمة ، ورقيها ..

وإذا ما لمس العامل هذه الروح من صاحب العمل ، فلسوف يتفاني في الإجادة .. وتطوير نفسه ، ومنتجه ..

إن تشكيلات الفتوة = الآخيان .. التي عاصرها ، وتحدث عنها الرحَّالة إبن بطوطة تستحق الدراسة ، وإعادة النظر في مبادئهم ؛ فلقد كان سعيهم ، وكدهم ليس من أجل الربح ، والتربح فقط ، بل كان جلُّ همهم ان يصرفوا ، وينفقوا ما كسبوه من أجل خيرهم ، وخير الوطن ، والأمة معاً .. لقد جعلوا من لب المبادىء التي ينشئوا صبيانهم عليها .. ولم يكن هدف الصانع ، أو صاحب العمل ، أو رجل الآعمال أن

يسترجع إستثماراته في أقصر وقت ممكن .. ولم يكن يصرف كل ما يكسب علي رفاهيته هو فقط ، بل كان يبتعد كل البعد عن المظهرية ، والتفاخر والإسراف .. والبعد الكامل عن كل ما فيه خداع للدولة ، أو الأمة فيما يتصل بميادين العمل ... ولا يدخر وسعاً في إعادة دوران رأسماله المستثمر بما يعود بالفائدة علي الكل ..

إن قيمنا العريقه تحض علي عدم إستغلال صاحب العمل لعمَّاله .. وألاَّ يتعامل معهم علي أنهم مادة خام يجب الإستفادة القصوي منها .. بل هم بشر .. لهم حقوقهم الإنسانية في الرعاية ، والكفاية ، والكفالة .. ولهم مطالبهم المادية والمعنوية .. ولكي يكون العامل منتجاً ، فلابد من تأدية مطالبه .. (أعطوا الأجير آجره قبل أن يجف عرقه) أليس الهدف الأسمي من وراء ذلك ، هو الإسراع بتلبية الإحتياجات المادية للعامل .. ؟ فالسلام الإجتماعي .. وسلامة الحياة العملية ، مرتبط بشكل وثيق بالسلام الداخلي لأي مجتمع .. وهذا بدوره لو تحقق فسيعم الخير وتسود النهضة .

إن أي وطن .. أو بلد مهما كانت إمكاناته لن يعرف التطور الإجتماعي ، والصناعي ، والإقتصادي ما لم يعرف السلام ، والهدوء ، والسكينه وتعم هذه القيم ، وتشمل كل طوائفه .. إن صاحب العمل ، إذا ما اختلط بالعمال ، وخالطهم ، وشاركهم أفراحهم ، وأتراحهم .. و إذا ما تحدث معهم من حين لآخر .. وشاركهم مأكلهم .. ومشربهم بين الفينة ، والأخري .. فإن ذلك يُشعرهم بإنسانيتهم ، وأنه منهم ، وهم منه .. وبمثل هذه التصرفات الإنسانية يُمكن أن يحل الكثير من مشاكل العمل في حينها .. وفي مكانها .. ويزيد من وفرة الإنتاج ، وجودته .. إن رجل الأعمال الذي يلعب بعرق جبين العامل ، والذي يختلق المشاكل . والمصاعب عند تفقدهم لا يمكن أن يُساعد علي الهدوء ، والسكينة في أماكن العمل ... يجب ألا ينسي صاحب العمل ، أن تطوره منوط بعرق جبين العامل الذي يعمل لديه ... وفي راحة العامل ، وتلبية إحتياجاته ، إستمرارية مشروعاته .. وتدفق السيولة بين يديه ...

كما أن العامل ، لو أدرك المغذي الحقيقي وراء ارتباطه بالمكان الذي يعمل به ، وأن الله قد وفقه إلي هذا العمل لكي يكسب فيه رزقه ، ورزق عياله ، وأطفاله ، فلسوف

يحافظ علي وجود هذا المكان الذي يؤمن وجوده هو شخصياً ، وعائلياً .. كما يجب علي العامل الا يغفل ؛ أن مكان عمله هذا يدخل ضمن منظومة آخري ، تعمل من أجل الوطن ، والأمة ورقيّهما ، وتطور إقتصادها .. ألم تُعبر قيمنا ، وآعرافنا القديمة عن مكان العمل علي أنه (باب الرزق) ، (مكان لقمة العيش) .. ومكان لقمة العيش مكان مقدس ، مكان طاهر .. يجب عدم تدنيسه .. أو مس طهارته .. وعلي العامل أن يشعر وهو في ساعات العمل ، وكأنه يؤدي فروض العبادات المفروضه عليه .. وأنه يؤديها بحب .. وبرغبة محببة الي النفس ..

إن المطلوب منك ، وأنت بين يدي الخالق .. هو الخشوع والهدوء .. والسكينة .. وأن تكون عبادتك بدافع الحب ، وبنقاء نفسي .. وطهارة روحيه .. وإذا ما أدي العامل عمله بهذه المنطلقات .. وبهذه المشاعر ذاتها .. فعليه أن يُدرك أنه سيكون سعيداً .. وسيصل إلي السمو ، والهدوء النفسي . إن العمل ليس عيباً .. كما أنه ليس هناك عمل عظيم ، وعمل وضيع .. بل إن العمل يسمو ، ويعظم .. أو يتدني ، ويحقر بمَنْ يقوم به .. أو يعمله ...

* * *

المستهلك... والتنافس

إن كل ما يُنتجَ ، يُنْتجَ من أجل الإستهلاك ، ولابد انه سُيْستهلك .. ولكن هناك قاعدة سلوكية هي أن (الزبون هو ولي نعمتي) وأن الزبون دائماً علي حق .. ويجب أن نتلقاه بالسرور ، والممنونية .. واي مُنْتجَ يمكن ان تستهلكه طبقات عريضة من المجتمع .. حتي وإن استوردناه من الخارج .. فلابد وأنْ تَظهر المنافسة ، وتُعبر عن نفسها بوضوح في هذه النقطة .. وكلما طفي علي السطح ، المنتج الأكثر جودة ، والأكثر تحملاً، وحدث تنافس جاد بين المنتجين ، فإن ذلك يجعل الوجه الاقتصادي للوطن مستبشراً.. مشرقاً ، دائم الإبتسام .

وهكذا ، لو عمَّقنا في نفس اطفال الاسرة ، من الصغر ، التنافس الشريف نحو الإجادة، والتفوق ، فإن ذلك سينعكس علي تنافس في الحياة العامة ، وفي الحياة الإقتصادية ، ويتحول ذلك إلي تطبيق يومي لأعراف شريفة .. ومشروعة .. ويتنافس الجميع نحو الاجود ، ونحو الكمال في كل مناحي الحياة اليومية .. وإذا خرجت المنافسة عن نطاق هذه الحدود ، فإنها تتحول إلى كارثه بالنسبة للمتنافسين ، والوطن معاً ، وتحول دون التعاون في إفتتاح مشروعات جديدة تخدم الوطن ... بل التنافس الشريف .. والرقابة المشروعة ، هي التي تؤدي إلي النمو ، والتطور الإقتصادي في اي مجتمع ..

كانت الهيئات المِهَنية في الماضي تتعاون فيما بينها لتقديم يد العون ، والمساعدة لأي مهني ينتج بضاعة فاسدة ، وتجبره ، وتدفعه إلي تحسين منتجه .. والوصول إلي الجودة المهنية اللائقة بالمجتمع .. كانت هناك أخلاقيات مهنية .. وأصول صنعة غير مسجلة.. ولكنها مرعيّة ، ومطبقة بجدية .. لم يكن هناك مجال للفهلوة .. أو للمدسوس علي المهنة .. بل تصحيح مسار ذاتي من آرباب المهنة .. وهذا ما كان يضمن إستمرار التطور ، والتقدم للإقتصاد الوطني ... ولو حاولنا إعادة إحياء ، وتأصيل هذه القيم ، والأخلاقيات المهنية ، وكلما ساعد أرباب المهنة ، أو الحرفة ، أو العمل زميلهم الذي تعثرت أعماله .. فإن معني ذلك هو فتح مجالات جديدة ، ومتجدده في المجال الإقتصادي للوطن .. وهذا ، بدوره يعتبر المؤشر الأكثر دقة علي

نهوض الوطن ، وتقدمه .. كما أن تعثر الأعمال ، وتوالي كبواتها ، لا يمكن أن يؤدى إلأ إلي الكساد الإقتصادي ، وتدهور حالة الوطن ، وتخلفه عن ركب التطور ، ومواكبة العصر الذي يعيشه .. ويهز كيان الحياة العملية ، والتجارية ويزلزلها ..

إن التفاهم ، والتعاون بين العامل ، وصاحب العمل = "المنتج "وبين المستهلك "المشتري = الزبون" لا بد وأن يؤدي ذلك إلي ميلاد فعاليات إقتصادية منتجه ، وتنعكس بدورها علي نهضة الوطن ، ورفاهية المواطن .. وسيشكل ذلك التعاون قوة دافعة في التقدم ، والتطور المستمر ..

كما أن هناك بعض القيم ، والسلوكيات الأساسية ، المتعلقة بحياة العمل ، رأينا من المناسب تناولها ، وبسطها لكي تكون أمامنا ، وكأنها دستور غير مكتوب ، لما يجب أن تكون عليه سلوكياتنا في الحياة العملية ؛

– لابد من مخاطبة صاحب مكان العمل الذي أعمل به ، أو المدير المسئول ، وكذا الزبون أو العميل بشيء من الإحترام الواجب لهم ..

– لما كان هدف العاملين من وراء تواجدهم في أماكن العمل ، هو تحقيق آهداف تشغيل هذه المؤسسة الموجودون بها ، لذلك وجب عليهم الإنتماء إلي هذه المؤسسة ، وأن يكون هناك مسافة من الإحترام المتبادل بين العاملين ، وصاحب العمل ، وعملاء المؤسسة ، وأن يحرص الجميع علي عدم رفع التكلفة في التعامل ، وعلي البعد عن التسيب ، واللامبالاة ...

– لابد من مراعاة لغة التخاطب المناسبة بين كل العاملين ، وخاصة عند تواجدهم في مكان ، وساعات العمل .

– مهما طالت مدة العمل .. والسنوات التي قضاها العاملون معاً .. فيجب مراعاة لغة الإحترام في التخاطب ، والبعد عن التدني في الحديث ، وعدم إستخدام العبارات التي تبعد عن روح الجدية في العمل مثل إستخدام تعبيرات آبله ... أو طنط ... أو تيزه .. أو اونكل .. أو عمو وما شابه ذلك من العبارات التى تعبر عن علاقة القرابة ، حيث أن ذلك لا يتناسب مع روح الجدية ، والإلتزام في العمل ..

– خلال ساعات العمل . يجب الإمتناع منعاً باتاً ، وكاملاً عن تناول الأطعمة ،

أو مضغ اللبان ، أو تناول المشروبات ، وحصر ذلك في أوقات الإستراحة فقط .. ويجب عدم الخلط بين أوقات العمل وأوقات الراحة .. فإن مضغ اللبان في أماكن العمل .. أو أماكن الدرس فإلي جانب إظهار عدم إحترام العميل أو المدرس ، أو صاحب العمل ، فإن في ذلك عدم إحترام للموظف ، أو الدارس لنفسه .. وفي عدم التوائم لزملاء العمل ، أو رفقاء المهنة ..

– يجب الإهتمام بالعمل المنوط بنا القيام به فقط ، في ساعات العمل المخصصة لنا .. وتمثل هذه الخاصية أهم عناصر آخلاق المهنة ، أو العمل .. والتصرف خلاف ذلك يقلل من متوسط إنتاجية الفرد ، والمؤسسة ، والمجتمع .. كما أن ذلك يمثل قدوة سيئة للعاملين الآخرين ، في المؤسسة ، أو الهيئة التي نعمل بها ..

– علي العاملين ألا يشغلوا بعضهم بعضاً ، وألا ينشغلوا بآعمالهم الخاصة التي تنعكس علي حياتهم الوظيفية المكلفين بها .. وألا يستغلوا معدات المؤسسة كالهواتف ، أو ماكينات التصوير ، أو المعدات الآخرى فى تسيير أعمالهم الخاصة .. فهذه المعدات قد أعدت لقضاء مصالح المنتفعين ، وآصحاب الحاجات من المتعاملين مع المؤسسة . كما يجب البعد بقدر الإمكان عن الدردشة أو الحوار المطوّل – الذي لا داعي له – سواء مع زملاء العمل ، أو مع العملاء المترددون علي الدائرة التي نعمل بها . وكذلك يجب الحرص علي عدم الإطالة في المكالمات الهاتفية حتي وإن كانت بخصوص العمل ..

– إن من آخلاقيات العمل ، وسلوكياته الحضارية الإلتزام بساعات العمل حضوراً ، وإنصرافاً .. وأثناء أداء العمل ، فالتاخير في الحضور ، أو الإنصراف قبل الموعد المرخص به ، وإهدار الوقت خلال ساعات العمل ، كلها أمور يترتب عليها ضعف الإنتاج، وتعويق تنفيذ خطة ، وبرنامج العمل .

– يجب التقيد بالزي الملائم لطبيعة العمل ، وعدم الخلط بين زي العمل ، والزي في المناسبات الآخري .. إن المظهر العام للعاملين يُعد مظهراً حضارياً ، ويمثل قيماً أخلاقية مرتبطة بطبيعة العمل .. فزي المهندس وهو خلف الماكينة ؛ يجب أن يختلف عن زيه وهو في يوم راحتـه ، أو عن زيه وهو في حفل إستقبال للمتعاملين مع

مؤسسته، أو عن زيه في رحلة ترفيهية يقوم بها مع أسرته .. إن عدم الإلتزام بذلك فيه إهدار للكرامة ، وعدم إحترام الآخرين .. وعلي الجنس الناعم ؛ ألاّ يبالغ في الزينة ، أو المكياج في ساعات العمل ، وأماكنه المختلفة .. إن عدم إهتمام الرجل بمظهره في ساعات العمل ، وأماكنه ؛ كعدم الإهتمام باللحية ، أو الشعر ، أو كي الملابس ، مثله في ذلك كتلك الأنثي التي تبالغ في مكياجها ، وزينتها ، وحُليِّها ، وتبرجها في ساعات العمل ، وأماكنه .. فالإلتزام بالمظهر اللائق ، والسلوكيات الجادة ، والمتوائمة مع آخلاقيات المهنة ، وطبيعة العمل ، من الأمور المهمة في السلوك الحضاري للمجتمع كله ..

– إن المحافظة علي مكان الوظيفة نظيفاً ، ومنظماً ، ومرتباً من الأمور التي يجب أن يهتم بها كل العاملين في الدائرة ، أو المؤسسة ، أو الورشة ، أو المصنع فالعمل في مكان غير نظيف ، أو منظم ، أو مرتب يقلل من الإنتاج ، ويزيد من فاقد العمل .. فمكان العمل يجب أن يكون مهيئاً ، ومريحاً من الناحية الجمالية . يجب أن يريح العين والنظر ، ولا يكون قابضاً للنفس ، باعثاً علي القتامة أو النفور .. يجب أن يكون الفرق بين الجمال ، والبهرجة واضحً في نفوس القائمين علي مؤسسة العمل .. فمكان العمل يجب أن يُهيىء الراحة للعامل به ، والمتردد عليه لكي ينعكس ذلك بالإيجابية علي الناحية الإنتاجية ...

* * *

إن تشغيل الحرفيين ، والمهنيين في أماكن الخدمات كورش الصيانه ، والإنتاج .. وساحات العمل البسيطة يتطلب شكلاً ، ونظاماً خاصاً ، ومختلفاً تماماً في علاقات العمل ، وآخلاقياته . وهذا ما تطلب منا أن نفرد له عنواناً خاصاً به ..

إن علاقات الحرفيين أساس مهم ، في العمل المهني .. إن التدرج الحرفي الذي يبدأ بالصبي ، ثم القالفة ، ثم الأسطي .. يهدف منذ بداية الإلتحاق بالمهنة ، أن ينتهي السُّلم بالاستقلال في العمل ، وفتح ورشة ، أو محلاً مستقلاً في المستقبل المنظور .. فإذا لم يكن الصبي ، يحلم بذلك اليوم الذي يكون فيه صاحب ورشة ، فإنه لن يتقدم ، أو يتطور في حرفته ، أو مهنته التي إحترفها ، أو إمتهنها .. وبناءً علي ذلك فيجب أن ننظر إليه بنظرة تختلف عن العامل في المصنع ، أو المنجم .. ففي الورشة يعمل الأسطي ، والقالفه والصبي في نفس المكان ، وجهاً لوجه ، الكل يعمل في تآلف، وحميمية تنبع من القلب .. في هذه الآماكن لا تلعب اللوائح ، والأنظمة دوراً مؤثراً ، بل العلاقات الفردية ، والإنسانية هي أساس التعامل .. فالعلم والتعلم ، ونقل الخبرات فيها ، يتم بالنظر ، وإلتقاط الخبرة ، بالجهد الذاتي ، والرغبة الذاتية ، المحضه ؛ من الأسطي في نقل خبرته ، ومن القالفه في الإجادة والتطور ، ومن الصبي في التعلم .. ليست هناك لوائح مكتوبة ملزمة ، أو مطبقة ليس هناك سوي أخلاقيات المهنة ، أو الحرفة ..

إن العاملين في الورشة ،هم بمثابة محاور قريبة ، ومقربة من صاحب العمل .. ومن هذا المنطلق فهم حريصون علي العمل ، ومكان العمل ، بنفس مقدار حرص صاحب العمل، أو صاحب الورشة .. إنهم جميعاً ينطلقون من مفهوم مشترك فيما بينهم ؛ الا وهو "وحدة المصير" فعلي الصبي أن يحترم القالفه ، والأسطي . وعلي القالفة ، والصبي في حالة غياب الأسطي أن يديرا العمل بالمهارة ، والشكل المعهود ، ووفقاً لأخلاقيات الحرفة .. وأصول المهنة ، وعليهم جميعاً مراعاة أخلاقيات الجوار .. فيحيون جيرانهم .. وأصحاب المحلات .. أو الورش المجاورة ، وأن يحرصوا علي الإطمئنان علي بعضهم البعض . وألاّ يستفتحوا بيعهم بالشكك .. أو البيع

المؤجل الدفع .. وأن يكون التنافس مع جار المهنة شريفاً نزيهاً عن الكيد ، والحسد ، والضغينة ..

ولما كانت الأقوال الشعبية ، وضروب الأمثال تُظهر خبرات الآجيال السابقة . وتبّين لنا كيف أن الحياة قد عركتهم بتجاربها .. وحرصواهم علي أن يسجلوا خبراتهم ، للآجيال التالية .. وليتناقلوها هم أيضاً ، ويورثونها لمن أتوا بعدهم ، جيلاً بعد جيل، فقد رأينا أنه من المناسب أن نورد بعض من هذه الأقوال ، والأمثال ؛

- لا تؤجل عمل اليوم إلي الغد ..
- لا تؤخر عمل الصباح إلي المساء ...
- اليد العليا خير من اليد السفلي ..
- بداية الطريق خطوة ..
- بداية الغيث قطرة ..
- الحاجة تُفتق الحيلة ...
- لا يستوي الخبيث والطيب ...
- مَنْ غشنا فليس منا ..
- الأسواق موائد الله في أرضه ...
- النصح بين الملا تقريع ..
- صديق الوالد ، عم الولد ..
- أكلٌ وحمدٌ ، خير من أكلٍ وذمٍ ..
- الناس إخوان ، وشتي في الشيم ..
- حافظ علي الصديق .. ولو في الحريق
- الجار ، قبل الدار ..
- رب أخ لم تلده أمك
- طاعة النساء ندامة ..

- العبد يقرع بالعصا .. والحر تكفيه الملامة

- الهمة تفتت الجبال ..

- عزيمة الرَجالِ ، تُزَحزِح الجبالَ .

* * *

قيم سلوكية يجب
مراعاتها في الحياة الإجتماعية

إننا نقابل في حياتنا اليومية ، العديد من الشخصيات .. ونتصرف حيالهم .. وحيال غيرهم ، العديد من التصرفات .. ونأتي بهذه التصرفات وفقاً لقيم سلوكية معينة .. قد نفكر فيها في حينها .. وقد نأتي بها عفوياً .. ولا يمكن أن نكون قد سألنا أنفسنا في نفس اللحظة قائلين لأنفسنا (ماذا فعلنا ..؟) (ماذا كان يجب أن أفعل ..؟) .. بل هذه التصرفات تأتي عفوياً .. ونقوم بها علي طبيعتنا .. وبمحض السجِّية .. ومن هنا رأينا ؛ أن نلفت الأنظار إلي بعض السلوكيات التي تحمل قيماً معينة حبذا لو تمسكنا بها .. ولم نهملها .. بل يجب علينا أن نأصلها ..

- السَّلامُ :

«وإذا حُيِّيتُم بتحية فَحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها ..وافشوا السلام..»

إذا ما نظرنا إلي السلام من الناحية الشكلية فهو بسيط ، غاية في البساطة .. ولكنه .. يربط بين أفراد المجتمع .. ويؤلف بين القلوب ، هو تصرف حضاري .. يدعم الروابط الإنسانية .. يخلق الود .. ويدعم الحب .. يزيد الإحترام .. يُبدي اللياقة .. وخَيرَهُما الذي يبدأ بالسلام .. وتحية الإسلام تبدأ بالسلام .. وفي التراث .. لَولاً سلامك غلب كلامك .. لأكلنا لحمك قبل عظامك .. ومن هذا المنطلق ؛ وجب السلام قبل السؤال ، وفي ضروب الأمثال .. السلام قبل الكلام .. وإذا لم يُحي الإنسانْ مَنْ يراه سهواً .. فيعد ذلك من قبيل السهو .. ولا يخلق ضغينة .. وتحية الإسلام (السلام عليكم .. ورحمة الله وبركاته) وردها (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. آهلاً وسهلاً ..) وقد وضع لنا الرسول الكريم ﷺ قواعد محببة للسلام .. حيث يقول رسول الله ﷺ **«يُسَلِّمُ الراْكِبُ علي المَاشِي ، والماشي علي القاعِدْ .. والقليلُ علي الكثير»** ..

فإفشاءُ السلام هو نشر للحب ، والمحبة بين الناس ، وإظهار للصداقة ، والمودة فيما بينهم .. فما أحوجنا في هذه الأيام أن نعوِّد النشيء علي إفشاء السلام ، والقاء التحية .. خاصة ، وأن ذلك قد قلَّ في المدن الكبيرة ، إن إفشاء السلام ، وأن يحي بعضنا بعضاً ، ففي هذا تعضيد للروابط الإجتماعية .. وخلق مناخ تسوده المحبة ، والتآلف .. السلام بِشر ، وحبور .. وتعاضد ..

- مساعدة الغير :

الإنسان مضطر لأن يعيش وسط جماعة ، فهو كائن إجتماعي بطبعه .. وأجمل مظهر ،من مظاهر الحياة الجماعية ؛ أن يحب أفراد المجتمع بعضهم بعضاً .. أن يساعد بعضهم بعضاً .. وأن يشعر بسعادة ، غامرة ، حينما يري البسمة ترتسم علي وجوه مَنْ قدَّم اليهم المساعدة ..

هناك في الحياة اليومية نماذج عديدة تبين مدي إحتياجنا لبعضنا البعض .. ومساعدة الآخرين ، واجب إنساني ، إلي جانب كونه واجب ديني ، وآخلاقي .. وفيه حض علي الإرتقاء ، والسمو فكبير القوم للقوم خادمهم .. فخدمة الآخرين ، تجعلك كبيراً بينهم ، مقدماً عليهم .. وخدمة الخلق طاعة للخالق .. وفي المثل .. إعمل الخير ، وألقي به إلي البحر .. أي من الواجب الأ تنتظر رداً فورياً من الذي قدمت إليه يد العون .. وإن كان من الواجب أن نقدم الشكر ، والثناء لمن قدَّم لنا يد العون ، والمساعدة فالكلمة الطيبة صدقة .. والبسمة عطاء حضاري .. وحتي الخدمات التي تُقدم إلينا في العصر الحاضر نظير أجر معَّين ، والتي تدخل في نطاق البيع والشراء يجب علينا أن نقدم الشكر لمن قام لنا بهذه الخدمة .. فالشكر واجب في المتجر ، والمطعم ، والفندق والمقهي وهذا الأمر لا يقلل من القدر ، بل يرفع صاحبه، ويسمو به .. ويُكسبه الجزاء الأوفي ..

ولو قلبنا في صفحات الادب ، أو تتبعنا سير الأجداد في التراث الشعبي لوجدنا العديد من الأشعار ، والأمثال ، والأقوال التي تحض علي مساعدة الغير .

* * *

-إحترام حق الآخرين :

إن الحياة وسط مجتمع بشري ، يتطلب منا المحافظة علي بعض القيم السلوكية ، خاصة وأن المجتمعات المعاصرة أكثر تداخلنا مما كانت عليه في الماضي .. وأهم هذه القيم التي تنظم هذه العلاقات السلوكية هو إحترام حق الغير .. والتسليم بما لهم من حقوق علينا ..

فالكثير من السلوكيات الحضارية المعاصرة ؛ تنبع من إحترام حق الآخرين .. فلو إحترمنا حق الآخرين ، الذين وقفوا قبلنا في الصف ، عند شراء أي سلعة ، أو تلقي أي خدمة عامة لأدي ذلك إلي سرعة الإنجاز ، وزاد الإنتاج .. فسلوك الإنسان السوي يتطلب إحترام حق الآخرين ، الذين حضروا قبلنا لدفع فاتورة الهاتف ، أو الضرائب ، أو قطع تذكرة سفر بالقطار ، أو الحافلة .. وإستهجان تصرفات الغير الذين ينتهكون هذه السلوكيات ، والقواعد المنظمة لخط سير أفراد المجتمع من أروع السمات الحضارية المعاصرة ..

لو أردنا أن نُحافظ علي حقوقنا ، فيجب علينا مراعاة حقوق الآخرين ، والحفاظ عليها .. وإعتبار حق أصحاب الإعاقة ، والحوامل ، وقدامي المحاربين ، والمسنين ، والمرضي ، في الأولوية ، والإستثناء من بعض القواعد ، والسلوكيات أمراً طبيعياً .. بل وأمراً واجباً علي الجميع .. فهو دَيْنٌ إنساني نقدمه للآخرين .. (**عامل الناس بما تُحب أن يعاملوك ..**) ينبع من هذه القاعدة ، والقيمة السلوكية ان ما نقوم به الآن ، سيرد إلينا غداً .. مهما كان شكل السلوك الذى نقوم به ، خيراً فخير .. شراً فشر..

الوفاء بالعهد :

﴿ .. وأَوْفُوا بعَهْدِ الله إذَا عاهَدْتُمْ ﴾ .. ﴿ يا أَيُّها الذِّينَ آمَنُوا أَوفُوا بالعُقُودِ ﴾ ﴿ واوْفُوا بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْئُولا ﴾ وقال رسول الله ﷺ **«آية المنافق ثلاثٌ ؛ إذا حَدثَ كذب ، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ .. وإذا أُوتمن خان ..»** .

فالوفاء بالوعد ، والتمسك بالعهد ، أمر تعليمي .. وهذا بدوره يعني أن الإنسان يفي بوعده ، ويتمسك بعهده ؛ ينطلق من أرضية إجتماعية سوية ، وسليمة ..

و أساس هذه الأرضية هو الشعور بالثقة .. الثقة في النفس ، والثقة في الآخر .. فأفراد المجتمع الذين يثقون في بعضهم البعض ، يؤسسون علاقات إجتماعية أكثر ثقة ، وأكثر نفعاً للمجتمع العام .. وإنطلاقاً من هذه الثقة ؛ تتطور حياة العمل ، والعمال ، والتجارة ، وتسير المؤسسات الإجتماعية بدون معوقات ، أو فقدان للثقة .. وأي علاقات تجارية كانت ، أو إجتماعية ، أو اي نوع من العلاقات الإنسانية ؛ لا تؤسس علي الثقة ؛ فإنها تتوقف ، أو تنقطع تحت أسباب واهية ، وما لم تُبن علي مشاعر الثقة ، والإطمئنان بان الطرف الآخر قادر علي الوفاء بالوعد .. والحفاظ علي العهد ، فمما لا شك فيه ان هذه العلاقات محكوم عليها بالفشل ، والتوقف ..

ومن السمات ، أو الصفات التي يحرص كل إنسان علي إكتسابها من المحيطين به هو أنه (انسان جدير بالثقة) ولكي نحوز علي هذه الصفة ، فإننا نحرص علي الوفاء بالوعد .. والإخلاص للعهد ، وتنفيذ الكلمة التى نقطعها علي أنفسنا .. والصدق في الكلمة رسالة حق عن صفاء الطوية ..

– آفة المروءة خلف الوعد ..

– الإعتــــذار ..

قال الله سبحانه وتعالي : ﴿خُذ العَفْوَ وأْمُرَ بالعُرف وأعْرِضْ عَنْ الجـاهلِين﴾ ﴿فاعْرِضْ عَمَّن تَولي عَنْ ذكْرنا..﴾ ﴿فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجميل..﴾ .

من المتوقع ان يرتكب الإنسان بعض الاخطاء ، خلال حياته اليومية .. أو أن يقع في مواقف مؤسفة دون قصد منه .. كما يمكن أن يتعرض هو نفسه لضرر قد ينتج عن تصرف غير مقصود .. فعلي كلا الطرفين ان يُظهرا تفاهماً مناسباً ، للموقف الذي حدث .. ولكن علي الذي قام بالفعل أن يعتذر عما وقع منه لمن تضرر بهذا الفعل .. فالإعتذار المبكر يُطيِّب الخاطر ، ويُلين المتشدد ..

كما يجب علي الآخر ، أن يُقابل الإعتذار ، بالتسامح ، وحسن القبول . فالقاظمين الغيظ .. والعافين عن الناس ممن يشملهم الله بعفوه ، ورحمته .. فمثلاً قد تتعرض وأنت في الشارع ، أو وأنت في الحافلة ، أو مترو الأنفاق ... قد تتعرض لبعض المواقف الصعبة التي تتطلب الإعتذار .. أو القبول للعذر المقدم .. وفي كلتا

الحالتين ؛ فهذا تصرف حضاري يجب الحرص عليه .. فالعفو .. والصفح من شيم العظام ، ولا ينتقص ذلك من قيمةالإنسان .. بل يزيد من قيمته .. ويرفع من قدره.. ويسلط الضوء علي تواضع الإنسان بين مجتمعه ... وبالرغم من ذلك ؛ فالقيم الرفيعة تدعو الإنسان أن يفكر في سلوكياته جيداً حتي لا يرتكب ما يوجب الإعتذار .. وهذا لا يمنعه عن الإعتذار . وطلب العفو من الآخر ..

- إياك وما يعتذر عنه ..

- الحاوي لا ينجو من الحيات ..

الصبر :

قال الله تعالي : ﴿ وبشّر الصابرين... ﴾ و ﴿ تواصو بالصبر .. ﴾ إننا نعيش وسط مجتمع بشري .. معرضين فيه لمجموعة من المواقف ، أو المصائب التي لم نكن نتوقعها ، ومن القيم السائدة في مجتمعاتنا الإسلامية الشرقية الحض علي الصبر ، وتحمل المكاره .. ولما كنا نعيش في عصر من أهم سماته السرعة في الحركة ، والسرعة في التحرك .. هذا بدوره قد يعرضنا لبعض مما نكره ومن أهم ما تتصف به مجتمعاتنا الشرقية هو الدعوة إلي الصبر ، وقبول القدر بخيره .. وشره .. فهذه أيضاً من سمات المؤمن ، فالمؤمن هو مَنْ آمن بالله .. وبالقدر خيره وشره .. فالقبول بالقدر هو صبر يؤجر عليه الإنسان دينياً .. وإجتماعياً .. فالمطلوب منا إذا ما واجهتنا بعض المصاعب أن نواجهها بأعصاب هادئة .. وأن نتصرف بعقلانية .. وأن نفكر في العواقب ، والنتائج؛ سالبة ، وموجبة .. وما أن نقتنع بالأصوب حتي نتصرف وفقاً لهذا متذرعين بالصبر .. ربما ما نراه الآن من تسرع في الأحكام.. ووقوع في الكثير من الأخطاء ، جاء نتيجة لعدم الصبر ، أو التأني في إتخاذ القرار.. ففي السرعة الندامة أو في التاني = "الصبر" السلامة (لف سنة ولا تخطي قناة) أي اصبر .. ولا تتعجل .. فثمرة العجلة الندامة .. ونهاية الصبر السلامة .

- الصبر نصف الإيمان

﴿ وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ .. وقال تعالي ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ .. ﴾ وقال تعالي .. ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ وقال ﷺ « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ .. » .

فمن أسوء الصفات الإجتماعية التي يمكن أن تُسيء إلى الأسرة .. هو أن يتحدث أي من أفراد الأسرة عن إنسان من خلف ظهره ، وأن يغتابه في غيبته .. وحتي ولو كان ما يقوله صدقاً ، فهذا أمر غير مستحب .. أما إذا كان ما يتقول به كذباً فهناك تكمن المصيبة ..

وكما هو واضح فالدين الاسلامي الحنيف ، بل كل الآديان السماوية .. وكل القيم الأخلاقية ترفض الغيبة .. والنميمة .. وترويج الإشاعة ، وتراثنا القيمى مليء بكل ما يُنفّر من هذه الصفات السيئة ..

- لسانك حصانك إن صنته صانك
- في الوش مراية ، وفي القفا سلاّية
- لا يكون المؤمن طعاناً ولا لعاناً ..
- إياك أن تضرب بلسانك عنقك ..
- رب عتب أنم من لسان ..
- رحم الله من هداني إلي عيوبي ..
- سبّك من بلغك السب ..
- ظاهر العتاب خير من باطن الحقد
- مقتل الرجل بين فكيه ..

وهكذا .. فإذا كانت الغيبة ، والنميمة .. والإشاعة من الأمور الشائنة .. والصفات المذمومة .. فقد شاعت في الآيام الآخيرة سوقية في الحديث ، وطافت علي سطح الحياة الثقافية بعض الألفاظ ، والتعبيرات الكريهة التي تأباها قيمنا الأسرية .. مما لا شك فيه أن هناك بعض الرزائل .. والفضائح التي تشيع بين أفراد المجتمع . وربما يطفح الكيل بالبعض ، فيعبر عنها ببعض الألفاظ النابية .. والساقطة .. والدونية ..

وما يجب علينا الا نروج هذه الألفاظ ، أو ندعو إليها .. بل يجب تحاشيها ، والبعد عنها .. فحديثنا هو المؤشر عن آخلاقياتنا ... والكلمة الطيبة صدقة .. والكلمة الطيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .. ولذلك يجب أن نعود الجيل الجديد علي حلو الكلام ... وإستهجان الألفاظ النابية التي يأباها الذوق العام ..

***

فكما أن العمل حاجة ، وعبادة .. فإن الترويح عن النفس ، والتسلية حاجة ملحة للنفس البشرية .. ولكن من المهم أن نعرف كيف نلهو ، وأين نلهو .. وما الشكل الأمثل للتسلية ،والترويح عن النفس .. فكما نلهو في بيوتنا ، وآحيائنا ، وقرانا .. وملاعب صبانا .. ومرتع شبابنا منذ القدم فقد شهد العصر الحديث الخيَّالة "السينما" والمسرح ، ودور الأوبرا ، وصالات الموسيقي ، والحفلات الغنائية .. والمعارض الفنية .. والمهرجانات الراقصة ، ومدن الملاهي المتعددة ، والمتخصصة .. وما هذه كلها إلا وسائل ، وآشكال مختلفة ، ومتعددة للهو ، والتسلية . والهدف من وراء بعضها المتعة الفنية ، وترقية ، وتنمية الذوق العام جنباً إلي جنب مع المرح ، والفرح وخلق البهجة ، ورسم البسمة علي الوجوه .. وإنشراح القلب بالمسرات البريئة ... ﴿ أَلَمْ نَشْــــــرَح لَكَ صَدرك .. ﴾ ويجب علي المواطن المعتدل ، والملتزم الا يفرط في الضحك .. فكثرة الضحك تميت القلب . أي أن قضاء الحياة كلها في المرح ، واللهو تخلق نوعاً من اللامبالاة .. وتقتل الإحساس بالآخر .. ومشاكل الحياة .. بل الإعتدال في الترويح يساعد علي التغلب علي مشاكل الحياة ، بروح مرحة ، ونفس منشرحة ، وقلب مفعم بحب الحياة ، والجد والعمل ..

ولقد عرف الآجداد أنواع شتي من الإحتفالات والمهرجانات .!. والمسيرات ، ورفهوا عن أنفسهم بالكثير من المشروعات من خير الآعمال .. ولقد كانت المتنزهات هي المكان المحبب لكل الناس ؛ للترويح عن انفسهم ، وقضاء آعيادهم ، ومواسمهم ، إلا أنها إرتبطت بشكل خاص ، ببعض الآعياد والمواسم الهامة .. مثل العيدين ، وموسم دوران المحمل .. وآعياد وفاء النيل ..

لقد كانت مظاهر إحتفال المصريين ، وتنزههم حافلة بالمباهج .. فقد عمد الناس أن يقضوا بعض أوقاتهم بالمتنزهات علي أحسن ما يكون .. فتحرروا من كل القيود .. وقضوا أوقاتهم في لعب ، ومرح ، وسعادة ، وكانت تحل عليهم مناسبات فتشملهم الغبطة ، ويعمهم الفرح .. وتختلط فيها الإحتفالات الدينية ، والدنيوية ، ويكون لها عَبقها الخاص بها .. من أشهر هذه المناسبات شهر رمضان .. وموسم الحج ..

والمولد النبوي الشريف ورأس السنة الهجرية ... ويشارك عنصري الأمة بعضهم بعضا الفرحة خلال عيد وفاء النيل .. وشم النسيم ، ورأس السنة الميلادية .. وإذا ما حاولنا تفصيل القول علي بعض هذه المناسبات التي تقترن بالبهجة ، والفرحة .. والسرور نجد أن :

شـــهر رمضـــان :

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (1) **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**

– وقال رسول الله ﷺ (**إن للصائم عند فطره دعوة لاتُرد ..**) فالصوم فريضة .. وركن من أركان الإسلام التي يتحتم علي المسلم الوفاء بها .. وحدد الإسلام للوفاء بهذه الفريضة لدي المسلمين .. وكما نعرف ؛ وفقاً للتقويم الهجري فإن هذا الشهر الكريم يكون آحياناً تسعة وعشرون يوماً ، وأحياناً ثلاثون يوماً يعقبه عيد الفطر المبارك..

ولشهر رمضان أوصاف عديدة في التراث الإسلامي ؛ فهو شهر الصوم ... وفيه ليلة القدر ... وفيه أُنزل القرآن.. هو سلطان الشهور .. هو شهر الغفران ... وفيه تُصفد الشياطين .... وتُفتح أبواب الرحمة .. ويشكل مع رجب ، وشعبان شهوراً مقدسة في التراث القيمي الإسلامي .

فصيام شهر رمضان ، واجب ، بالكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة .. بنص الآيات، والآحاديث .. ولشهر رمضان فضل لا يجاريه فيه شهر آخر ، فلرمضان فضائل عظيمة، ومزايا عديدة ، لم تكن لغيره من الشهور ، وفيه يحض ، ويُستحب البر والإحسان ، والتصدق ، وقيام الليل ، والإعتكاف .. والإعتماد .. وكلها أُمور محببة إلي نفس المسلم .. لكل هذه الأمور ، يستعد العالم الإسلامي ، لإستقبال شهر رمضان إستقبالاً حافلاً في البيوت ، والدوائر الحكومية ، والجوامع ، والمساجد ، والتكايا.. والأسواق .. فُتنظف البيوت ، والمؤسسات .. ودور العبادة ، ودور التسلية.. وترتبط العائلات ، والجهات الرسمية مع بعض القراء المشهورين ...

(1) سورة البقرة .

وتستعد قوافل التوعية الدينية لكي تجوب المناطق ، والبلدان الإسلامية ، وتُضاء منارات الجوامع والمساجد بالمصابيح الكهربائيه .. وتُنتشر مصابيح ، وفوانيس رمضان في الشوارع ، والأذقة ، ومداخل المباني .. وشرفات المنازل ... وفي بعض البلدان الإسلامية تُضاء لمبات الجوامع .. وآهلة المآذن منذ ساعة الأفطار وتظل حتي ساعة الإمساك .. وتزاد الإضاءة في كل دور العبادة في هذا الشهر بشكل ملحوظ .. وإن كان مثل هذه التصرفات لا يقرها الاسلام .. فالإسلام يحارب الإسراف في كل صوره .

في تركيا ؛ تُشد أسلاك الكهرباء بين منارات الجوامع والمساجد وتكتب بالانوار عبارات الترحيب والإعلان عن مقدم الشهر الكريم ، وفي الداخل تُشد هذه الأسلاك بين الآعمدة الموجودة داخل المسجد .. وتُرسم اللوحات القرآنية بالنور علي هذه الأسلاك وتُسمي هذه التظاهرة الجميلة (مَاهْيَة رَمَضان) وأول مرة تُقام هذه الماهية في إستانبول ، كان ذلك في زمن السلطان أحمد الثالث الذي تولي الحكم فيما بين ١٧٠٣-١٧٣٠ م = ١١١٥ - ١١٤٣هـ حيث أصدر فرماناً للصدر الأعظم داماد إبراهيم باشا النَوْشَهرلي بأن تُضاء ، وتُشد « الماهية » علي كل الجوامع ، والمساجد ذات المنارتين طوال شهر رمضان .

كانت أشهر العبارات التي تكتب بالأنوار مع البسملة (مرحبا بشهر الصيام ..) (آهلا بشهر رمضان ... شهر البر والإحسان ..) وفي العشر الآواخر تكتب عبارات الوداع (لا أوحشنا الله منك ياشهر الصيام ..) (الوداع يا شهر التقوي والإحسان) وكانت تكتب عبارات ترحيب خاصة بليلة القدر مثل (مرحباً بالليلة المباركة) (مرحبا بك ياليلة القدر ..) .

كما كانت هناك عبارات تدعو المواطنين إلي الصوم .. والإلتزام به مثل (أقبل الصوم .. فصم . إحترام الصوم .. ويجل الصائم ..) (الصوم عبادة ..) (الصَوْمَ جنَّة ..) .. (الله ... محمد .. يامولانا) (يا حضرة الله ... ياغني ... يامعبود) (يا حنان ..) (.. يا منَّان .. يا كريم) وعبارات خاصة بالرسول ﷺ (.. يا حضرة فخر العالم ..) (لا إله إلا الله .. الشفاعة يا رسول الله ..) .. (.. ما شاء الله .. تبارك الله) ..

كما كانت أشهر الأشكال التي تُرسم بالنور والإضاءة .. زهرة التولب .. الخيمة الرمضانية .. السفن التي تُبحر .. المراكب الشراعية .. القباب .. المساجد .. المنابر الهلال.. كما أن الجرائد ، والمجلات ، والصحف ووسائل الاعلام ، تسارع في إتمام الإستعدادات ، لإستقبال الشهر الكريم ،بطبع الكتب الدينية .. والآيات والآحاديث التي تحتفي ، وتحض علي صيام شهر رمضان .. وتطبع النتائج ، والإمساكيات التي توزع بالمجان .. وتصدر أعداداً خاصة عن الشهر الكريم .. وتستكتب كبار الكتاب ، والأطباء ، وعلماء الدين ، وعلماء النفس عن فوائد الصيام .. وأيام الإسلام الخالدة التي جرت في شهر رمضان .. كل هذا في جو من الروحانية الفوّاحة ..

علي النطاق الأسري تستعد جميع الاسر لهذا الشهر الكريم بتدبير المصروفات الخاصه به .. وتشتري لوازمه من المآكل ؛ كالياميش ، والتمور ، والمواد التموينية والعصائر كالتمر هندي . وقمر الدين ، والكركديه ، والعرقسوس .. وكانت العائلات المقتدرة ؛ تتفق مقدماً مع المقريء المفضل لديها من الناحية ، أو من المحافظات الأخرى حيث يتم [التسْهير] في ليالي رمضان ..

ومن القيم الجميلة التي عاصرتها في قريتنا أنه بمجرد أن تثبت الرؤية .. وأن غدا الأول من رمضان .. تدب الحركة في كل القرية .. ويهرع الجميع إلي المسجد لصلاة العشاء جماعة .. ويظل المسجد مفتوحاً حتي صلاة الفجر ولا ينام أهل القرية قُبل صلاة الفجر ... وبعد صلاة العصر التي يؤمها واحد من المشايخ الوافدين إلي أسر القرية لاحياء ليالي رمضان .. يتجمع الكبار للتدارس والتسلية بلعب "السيجة" "والدومينو" وما أن يقترب وقت الإفطار ويبدأ القرآن من الراديو حتي تكف الأيدي عن اللعب .. ونتجمع جميعاً حول الراديو لسماع الشيخ "محمد رفعت " أو الشيخ " عبد الباسط عبد الصمد" أو الشيخ " مصطفي إسماعيل " .. أو .. أو الكثير من القراء المشهورين آنذاك ..

وإذا كان رمضان صيفاً .. كان الوالد رحمه الله يأمر بأن تفرش الحصر أمام الدار .. وفي الشارع حتي يفطر كل عابر للطريق حتي من أهل القرية ذاتها إلي أن يصل إلي بيته .. أما إذا كان عابر سبيل ، وغريب أو من قرية آخري ؛ فيجلس لتناول إفطاره كاملاً .. بعد صلاة المغرب .. ويظل الجميع إلي أن يؤذن لصلاة العشاء ؛ فيتحرك

الشيخ ، وأمامه الفوانيس ، والكلوبات إلي المسجد .. تتم صلاة الجماعة .. والتراويح.. ثم يعود الجمع ليسهروا مع واحد من المشايخ .. ويكون ذلك بالدور ، والمناوبة .. ويكون رب الدار مع الشيخ المقرىء . هو سيد الليلة .. ومتكفل بكل ما يُقدم فيها من مشروبات .. ويظل الأمر كذلك بين قراءة القرآن .. والتفسير ، والتسلية ، والقفشات .. إلي أن يحين موعد السحور فينصرف من ينصرف ، ويبقي من يبقي لتناول السحور ، ثم ينطلق الجميع إلى صلاة الفجر ، علي ضوءالفوانيس ، والكلوبات قبل دخول الكهرباء إلي القرية ..

كان هناك أيضا الشيخ أحمد عبد الله الدولتلي من بين الذين حرصوا .. إلي أن واتته المنية – علي التسهير في شهر رمضان ... وبعد المرحوم والدي .. والمرحوم والد عديلي الأستاذ سعد الدولتلي .. وللظروف الإقتصادية إقتصرت القرية كلها علي مقريء واحد – خلاف مقريء القرية – لكي يتناوبا القراءة لدي العائلات الراغبة .. ثم وصل الأمر الآن إلي الإكتفاء بشيخ القرية ، أو متابعة الراديو ، والتلفاز فقط ..

لم تكن هذه العادات ، والتقاليد الجميلة وقفاً علي قريتنا فقط ، بل كانت منتشرة في كل قري مصر تقريباً ، ويحافظ الأخوة الأقباط علي المشاركة في هذه الليالي ، ومجاملة الأسر المسلمة بحضور الإفطار معهم .، والاستمتاع معهم بالسهرات الجميلة.

- استطلاع الهلال ،وبدأ الصيام..

من أكثر الليالي بهجة ، وفرحة هي ليلة إستطلاع هلال رمضان .. فالكل في إنتظار ، وترقب .. وما أن يُعلن الخبر حتي تعم البهجة .. ويتبادل الجميع التهاني .. وتحرص العائلات علي أن تجمع كل عناصرها في الليلة الأولي من رمضان علي مائدة الإفطار ..

– ومن المظاهر الجميلة التي بدأت تنتشر في مصر ، وأتمني أن تعم كل بلدان العالم الإسلامي "موائد الرحمن " التي تُقام في الجوامع ، والمساجد والشوارع وعلي الطرق، ومفتوحة لكل عابري السبيل بصرف النظر عن عرقه ، أو دينه ، أو مستواه

الإجتماعي، فالمائدة يقوم عليها أهل الخير ، من علية القوم ؛ رجالاً ، ونساءً الكل يتسابق علي تقديم أفضل خدمة مجانية ، لوجه الله الكريم .. الكل يتسابق في التبرع بالمأكولات ، أو بالمبالغ النقدية .. أروع ما يمكن ان تستوعبه الذاكرة من مظاهر التكافل الإجتماعي ، في عصر طغت فيه المادية ، والدهرية والأفكار الإلحادية .. ما آعظمك يا مصر وأنت تعيشين في أحضان المحبة .. والتعاطف ، والتآخي الإسلامي..

– ما أجملك ! وأبناء النيل يعيشون علي أرضك تربط بينهم أُخوة الوطن ، وأُخوة الدين ، وأُخوة المحبة ؛ يأتي القبطي إلي مائدة الرحمن التي أقامها أخيه المسلم .. ويلبي الدعوة علي الإفطار الرمضاني .. ويذهب المسلمُ شيخاً معمماً لتناول الإفطار الرمضاني علي المائدة التي أقامها نيافة القس .. أو القسيس في كنيسة علي أرض المحبة .. أرض مصر ..

- مدفع الإفطار:

لكي يتم الإعلام بدخول وقت الإفطار ، وإنتهاء وقت الصوم ، يؤدي الآذان من منارات الجوامع ، وتضاء شرفات المآذن .. وتُطلق المدافع طلقاتها من شتي القلاع في المدن .. أو يتابعها الملايين علي شاشات التلفاز في الوقت الراهن .. ويُعلن المزياع عن الموعد ، ويُذيع قبله الآحاديث الدينية .. كما أن إمساكيات رمضان التي طبعت من قبل ، وتوزع كهدايا ؛ تُحدد موعد الإفطار ، والامساك عن الطعام بعد تناول أطعمة السحور..

المسحراتي :

ومن أجمل ما كان سائداً في البلدان الإسلامية في شهر رمضان هو المسحراتي .. الذي كان يطوف في الأحياء ، مردداً بعض التواشيح ، والطقاطيق الدينية ، أو الغنائية، وهو يضبط إيقاعاته علي الطبلة التي يحملها ... بل هناك العديد من المطربين الذين إشتهروا بآغاني المسحراتي ..

كما كان المسحراتي ؛ وهو يطوف ينادي علي أهل الحي لكي يستيقظوا لتناول

طعام السحور .. وقبيل نفاذ الوقت ينطلق المدفع إيذاناً بدخول صيام اليوم الجديد . ولكن إتساع المدن ، وإزدحامها ادي إلي تلاشي هذه العادات ، والأعراف الجميلة التي كان يتمتع بها الأجداد ، فقد كانت فرصة أيضاً لأهل الخير ، حيث كان المسحراتي ، ومعه مساعدوه ، أو بعض الأبناء الصغار ، يطوفون في نفس الأحياء التي كانوا يطوفون بها لكي يتلقوا الهدايا العينية ، أو المادية ، كما كانوا يتلقون الاقمشة ، أو الملابس من أهل الخير ، والصدقات .

إن رمضان كما انه شهر الصوم ، والعبادة ، والصدقات ، فإنه شهر التواصل والتراحم الآسري .. فالكل حريص علي ان يتناول طعام الإفطار مع الآهل ، أو الآقارب ، أو الآصدقاء ، أو الزملاء ؛ ولو لمرة واحدة خلال هذا الشهر الكريم... وعليه ان يلبي دعوة من سبق وأن دعاهم .. في العادة تبدأ الدعوات بعد اليوم الخامس عشر من رمضان.. النصف الاول مخصص للأهل ، بحيث يدعوا الكبارُ الصغارَ ، أي أن الجد أو الأب ، أو الأم .. يدعون أولادهم ، وأحفادهم للإفطار عندهم أولاً ، ثم يتبع ذلك ، الصغارُ يدعون الكبار للإفطار لديهم .. أما النصف الثاني من رمضان أو إلي ما قبل العيد ببضع ليالي يتوجب علي المسلم الصائم أن يُلبي الدعوات الخارجية.. أو الدعوات الجماعية ، أو النقابية .. أو دعوات الآخرين من آصحاب العمل ، وآصحاب الشركات .. أو الرؤساء في العمل .. كما ان بعض رجال الآعمال ، وكبار التجار ، والاثرياء يتفقون مع بعض المطاعم علي إطعام عدد معّين من الفقراء علي حسابهم الخاص .. أو يقيمون موائد للإفطار في بيوتهم ، ويقومون هم بانفسهم علي خدمة المفطرين لوجه الله تعالي ..

لقد قامت الجمعيات الخيرية ، والجوامع ، والمساجد بدور بديل .. وحلت موائد الرحمن محل موائد الاثرياء.. حبذا لو سار رجال اعمال اليوم علي نفس الدرب الخيري ، الذي سار عليه الآجداد .. وما احوج عالم اليوم إلي عودة زخم التكافل الإجتماعي ، فهو البديل .. بل الدواء الناجح ، لأمراض الحقد .. والعوز .. والفقر... إنه مناسبة رائعة لتنمية العلاقات الإنسانية بين أفراد الأمه الواحدة .. وعناصر الوطن الواحد ..

- أنواع طعام الإفطار :

رغم الإحتفاء ، والإهتمام بهذا الشهر الكريم ، والكرم الزائد الذي نلمسه فيه ، إلا أن ذلك لا يعني الإسراف ، أو البزخ .. أو السفه .. بل نُصادف تنوعاً ملحوظاً ، وبساطة متناهية فيما يُقدم .. تحرص العائلات علي أن تقدم "إفطارية "أي شيئاً بسيطاً يُقدم علي عجل ، قبل الأفطار الأساسى ..

* في مصر يقدم الخوشاف ، مع التمور الجافة .. أو نقيع التمر .. أو مشروب التمر هندي .. أو عصير قمر الدين .. ثم يتبع ذلك شوربة الخضار .. أو الحساء .

في الجزيرة العربية ؛ اللبن مع التمور والسنبوسة ثم يتبع ذلك صلاة المغرب .. ثم الإفطار الكامل ..

في تركيا ؛ يوضع البيدة "خبز خاص برمضان" بدلاً من الخبز العادي .. وكذلك البوريك .. أو السميط الساخن .. و "الإفطارية" مع هذا الخبز ؛ يوجد الزيتون الأسود، التمور .. البسطرمه .. أو السجق وعدة أنواع من الجبن .. وعدة أنواع من المربيات ، أو العسل الابيض .. كلها موضوعة في أطباق الكرستال ، أو مرصوصة علي الصواني الفضية اللامعة .. وما أن يُعلن عن موعد الإفطار ، حتي يبدأ الصائم بالدعاء، والبسملة ثم يرشف رشفة من الماء ، ثم يعقبها بالتمر .. أو الزيتون ، أو الجبنة .. ويعقب ذلك لقمة من خبز البيدة الساخنة فهذه الأطعمة الخفيفة تسكن المعدة .. وتحول دون التخمة ..

لا تخلو مائدة رمضانية من أي نوع من الشوربة ، أو الحساء في أي بقعة من العالم الإسلامي .. ثم يعقبها الطعام المعد خصيصاً لرمضان .. مهما كان بسيطاً .. ولكنه متنوع .. وكما أن الصائم حريص علي عدم مليء بطنه لكي يكون قادراً علي القيام ، وأداء صلاة التراويح طوال ليالي شهر رمضان .. فإنه حريص كذلك علي التصدق وصلة الرحم ... وعدم الإسراف فيما لا طائل وراءه ...

وتحرص البلدان الإسلامية علي حلويات رمضان فالكنافة ، والقطايف .. متلازمتان.. منتشرتان .. علي رأس القائمة طوال شهر رمضان .. وكما أن طبق الفول من الأطباق الرئيسية في السحور في مصر ، فإن الأرز ، والخوشاف علي رأس

المائدة في تركيا ، أما في الجزيرة فإن السنبوسة ، والكبسة هما الطعام المفضل لدي سكان الجزيرة العربية .. يحرص المسلم الصائم علي غسل فمه جيداً بعد السحور .. واستعداداً لصلاة الفجر .. وينوي الصيام في اليوم التالي .. حتي وإن كان قد عقد النية علي صوم شهر رمضان بالكامل ..

جرت العادة .. والقيم الأسرية العريقة ؛ أن الصائم بعد الإفطار .. ينهض للصلاة .. فيؤدي صلاة المغرب في الجامع .. ثم يعود إلي منزله ليستريح بعد أن يكون قد شرب شايه ... أو قهوته وما أن يسمع أذان العشاء ، حتي ينهض فيجدد الوضوء .. ثم يتجه إلي الجامع ليؤدي صلاة العشاء ، ثم التراويح .. وكما تؤدي صلاة التراويح في المساجد فإنه يمكن القيام بها في المنازل مع أهل البيت .. وما أن يفرغ الجميع من آداء صلاة التراويح ، والقيام .. حتي يتجه البعض للتسلية .. واللهو البريء .. ويتجه البعض الأخر لزيارة الأهل ، والأصدقاء .. والمعارف .. أو الجيران .

إن شهر رمضان ، كما أنه شهر العبادة فهو شهر التعاون ، والتكافل الإجتماعي .. شهر للتنوير الديني ، والتثقيف التاريخي .. ففيه تُقام سرادقات الآوقاف للفتوي .. والتذكير بآيام الإسلام الخالدة .. وكم ألصقنا بهذا الشهر الكريم ما هو منه براء ..! إن شهر رمضان بعيد كل البعد عن الفوازير والرقص .. والبرامج التلفازية التافهة .. التي تحرص كل القنوات العربية ، والإسلامية علي شحن أذهان الأجيال الجديدة بها ..

لقد أصبحنا حريصين علي التفاهة .. أكثر من حرصنا علي الثقافة .. فبدلاً من غزوات الإسلام .. وأيام الإسلام بدلاً من التفسير .. والسيرة النبوية .. أصبحنا نُطارد بالفوازير .. والكاميرا الخفية .. والمسابقات الهابطة وهيافات النجوم ..

كم أتمني أن نعود إلي أيام الماضي .. أن تعود سهرات رمضان .. وسيرة الإسلام .. والصحابة ، في سرادقات عامة .. كتلك التي تُقيمها وزارة الأوقاف المصرية .. كم أتمني أن نعود إلي سهرات خيال الظل .. والقره كَوز .. والسيرة .. ومسابقات تحفيظ القرآن .. وقراءاته .. وتفسيره .. !

كم أتمني أن تنتشر معارض الفنون ، ومسابقات الشعر .. والموسيقات .. والتواشيح التراثية .. !

كم أتمنى أن تُقيم فرق التراث إحتفالاتها بعد صلاة التراويح .. ويتم فيها الشحن المعنوي..

كم أتمني أن نتسابق في العطاء .. في إخراج الزكاة ، والصدقات .. تصدقوا ولو بشق تمرة ، الكلمة الطيبة صدقة .. البسمة صدقة .. زكاة الفطر تكملة لعبادة الصائم.. إسعاد للفقير .. بسمة علي شفاه المحتاجين .. لمسة حنان للأطفال اليتامي والمساكين .. زكاة الفطر مطالب بها كل مسلم ، سواء صام رمضان أولم يصمه .. فإن لم يصمه .. فعليه إطعام مسكين عن كل يوم أفطره بدون عذر شرعي .. نوع آخر من التكافل .. والتكامل بين أفراد المجتمع ... كلنا نختتم الصيام بزكاة الفطر .. نقداً.. أو ثمراً .. أو حبوباً كما أقرّها الشرع الشريف ..

الصـــوم .. ليس معناه الجوع والعطش ..

الصوم عبادة أقرتها كل الأديان ، وليست عبادة الهدف منها هو السيطرة علي المطالب الجسدية للإنسان .. بل يُسيطر الإنسان بهذه العبادة علي نفسه اخلاقياً .. فالصوم يُهذب الطباع .. ويحد من أطماع البشر .. ومن إيذاءه للآخرين .. بأعضاءه.. أو بسلوكياته .. لا يتلفظ بألفاظ نابية .. ولا يكسب ما لاً حراماً .. **(من قام رمضان ايماناً واحتساباً غفر الله له ماتقدم من ذنبه)** .

الصائمون يتناولون قضاياهم بالبحث ، والمناقشة في جو من الود ، والمحبة .. والتفاهم.. وإذا ما اغتابه أو سبه الآخر ، فما عليه إلاً أن يقظم غيظه ، ويقول اللهم إني صائم .. اللهم إني صائم .. في الصوم تذكرة بمعاناة الآخرين ، ممن يصيبهم الجوع ، فلا يجدون ما يسدون به رمقهم .. أو يلفحهم البرد ، فلا يجدون ما يسترون به آجسادهم .. في الصوم مشاركة في الآلام .. ومعاونة علي تحمل الشدائد .. في الصوم ردعٌ للآهواء البشرية .. وتحريك لكوامن الخير في النفس الإنسانية .. يذكر الصائم بإخوة له في الإنسانية .. هم جوعي .. هم عطشي .. هم عرايا .. هو فرصة للحد من سيطرة العادات السيئة .. كالتدخين .. أو إعتياد المسكرات علنياً .. فيه تهيئة للمناخ المناسب لترك هذه العادات السيئة ..

إن نفحات الصوم الخيرة ، تشمل الصائمين ، وغير الصائمين طوال شهر رمضان ،

فيحسنون معاملة بعضهم بعضاً .. ويتصرفون باللين .. والهدوء ، والسكينة ويستهجنون كل ما يتنافى مع السلوك الآخلاقي القويم ؛ فالصائم لا يُجرِّم المفطر .. ولا يحتقره .. والمفطر لا يجهر بفطره حفاظاً علي شعور ، ومشاعر الصائم حتي الآخوة الأقباط ، يكونون أكثر حرصاً ، ومشاركة لإخوانهم المسلمين في هذه المشاعر النبيلة ..

حتي الموتي ، يكون نصيبهم في هذا الشهر المبارك من الدعاء ، والتصدق علي آرواحهم الحظ الأوفي ، فكل الأسر تتذكر كبارها الذين فارقوهم بالموت ، والأحباب الذي حال الموت بينهم ، وبيننا في قضاء شهر رمضان معاً ، فلا أقل من أن نذكرهم بالدعاء.. ونترحم عليهم في كل صلاة .. والكل يحرص علي ختم القرآن الكريم ، وإهداء ثواب ذلك إلي أرواحهم .. ولا ننسي زيارتهم في مثواهم الأخير ، خلال هذا الشهر ، وخاصة في يوم عرفه .. أو قبيل أيام العيد .. نتوسل إلي الله . ونرجوه العفو ، والتجاوز عن خطاياهم .. نقرأ لهم « يس » وعلي أرواحهم (فاتحة الكتاب) ..

في هذا الشهر المبارك ، ليلة خير من ألف شهر هي ليلة القدر (.. **ليلة القدر خير من ألف شهر**) هي الليلة التي أُنزل فيها القرآن الكريم .. الكل يحرص علي أستقبالها بالدعاء ، وطلب المغفرة ... إستقر في وجدان غالبية المسلمين ان ينتظرونها في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر الكريم .. فيها يتم ختم القرآن .. وتُنشر نتائج المسابقات القرآنية ، وتحرص كل الهيئات الدينية علي رسم البسْمة علي وجوه حفظة القرآن الكريم ؛محلياً ، وعالمياً في هذا الشهر المبارك ... وبها ... وفيها تُختم صلاة القيام ، ويستعد الجميع لأستقبال بهجة العيد ..

قبل ليلة القدر ، كانت الإستعدادات لأستقبال العيد علي قدم ، وساق .. الملابس الجديدة .. بهجة غامرة .. بسمة حلوة تعلو كل الشفاه .. هدايا العيد .. نظافة العيد .. وفي المناطق الريفية كعك العيد .. وفي المدن .. حلويات العيد وبهجة أنتظار القادم السعيد .

* * *

رغم عَلْمَانية الحكم في تركيا .. وسيطرة النظام العلماني علي مقاليد الحكم ، مؤسسات الدولة .. إلا أن الشعب التركي ، الذي تتجاوز نسبة المسلمين ٩٨٪ من عدد السكان ، ما زالت العنعنات الإسلامية هي المسيطرة .. الآعراف الدينية هي لطاغية .. وتزداد طغياناً ، ووضوحاً كلما إبتعدنا عن المدن الكبيرة .. فما زالت السمة الدينية تعلو ، ولا يعلو عليها .. وحتي لو أن الطبقة العسكرية بدت هي صاحبة الصوت الآعلي في بعض المراحل . فإن هذا لا يتعدي النطاق السياسي .. ولكن النطاق الإجتماعي .. النطاق الثقافى لا يرفع هامته إلا تحت المظلة الإسلامية .. ولا تري أي ملمح يخرج عن نطاق الحضارة الإسلامية ... تزداد هذه السمة ، وضوحاً خلال شهر رمضان .. ومن أهم الملامح التي ترصدها العين الأجنبية خلال شهر رمضان ، يمكن رصدها فيما يلي :

* نسبة الصائمين هي المسيطرة .. ، معالم الإحتفال بالشهر تبدو علي المئاذن .. والجوامع .. والمساجد .. والمتاجر ، والوجوه ، والسحن ... .

* الاستعداد لمقدم الشهر ؛ نلمحها في الإعلام المرئي ، والمقروء ، والمسموع بشكل ملحوظ، وملموس جداً ..

* أماكن التسلية البريئة ، والتي تُقام خصيصاً في شهر رمضان ، تنتشر كثيراً في الأحياء التراثية .. وحتي الحديثة .. فعروض العرائس .. والقره كَوز لها بريقها الخاص بها ..

* تخصيص أماكن خاصة بالنساء في جميع الجوامع ، والمساجد للصلاة عامة .. وصلاة التراويح خاصة ، ملمح تسعد به العين في كل الأحياء .. كما يقل عدد المتبرجات خلال هذا الشهر بشكل ملحوظ ..

* تغلق جميع الملاهي الليلة ، وعلب الليل ، والكازينوهات ؛ أبوابها تماماً طوال هذا الشهر ..، وتخصص البلدية كازينو واحداً فقط في كل مدينة سياحية للآجانب ويمنع منعاً باتاً دخوله علي الأتراك خاصة ، والمسلمين عامة ..

* تُرسم "الماهيات" المضاءة علي كل الجوامع ، والمساجد تفتح دائرة الآمانات المقدسة (١) الموجودة في متحف «طوب قابى سراى»(٢) للزيارة المباشرة أمام

---

(١) الأمانات المقدسة :

هى مخلفات الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، وبعض الصحابة الكرام ، والمبشرين بالجنة وهى عبارة عن :

١ – خرقة السعادة ، وهى العباءة التى تخص النبى ﷺ

٢ – السنة المباركة للنبى ﷺ

٣ – نعلى النبى

٤ – الحجر الذى يحمل أثر قدمه الشريف

٥ – سجادة الصلاة الخاصة بالنبى ﷺ

٦ – سجادة الصحابى الجليل ، وأمير المؤمنين أبى بكر الصديق

٧ – قبضة سيف النبى ﷺ

٨ – سهم يخص النبى ﷺ

٩ – لواء الرسول او السنجق الشريف ..

١٠– قازان وقدر يرجعان الى سيدنا ابراهيم ، ويرجعه البعض إلى سيدنا نوح ..

١١ – عصاتين شريفتين للنبى شعيب عليه السلام ..

١٢ – قميص سيدنا يوسف ..

١٣ – سيف سيدنا داوود ..

١٤ – مفتاح الكعبة المشرفة ، ومكة المكرمة ..

١٥ – مزراب الكعبة المشرفة ..

١٦ – ضلفة من باب التوبة فى الكعبة المشرفة ..

١٧– الغطاء أو الغلاف الفضى لمقام سيدنا ابراهيم فى الكعبة

١٨ – بعض من ماء وضوء النبى ﷺ

١٩ – سنجق الخلفاء الراشدين

٢٠ – عمامات الخلفاء الراشدين

٢١ – مسابح الخلفاء الراشدين

٢٢ – سيوف الخلفاء الراشدين

٢٣ – ستة من مقابض سيوف العشرة المبشرين بالجنة

٢٤ – سيف الصحابى حضرة جعفر الطيار ..

٢٥ – سيف الصحابى حضرة خالد بن الوليد .

٢٦ – سيف الصحابى حضرة معاذ بن جبل ..

٢٧ – سيف الصحابى حضرة سرحبيل بن حسن ..

٢٨ – رايات حضرة حسن والحسين رضى الله عنهما ..

٢٩ – تاج حضرة ويس القرنى ..

٣٠ – نسخة بخط الصحابى الجليل ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان من القرآن الكريم وعليه اثار الدماء الذكية ..

٣١ – نسخة أخرى من القرآن الكريم بخط يد على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه

٣٢–نسخة أخرى من القرآن الكريم بخط الصحابى زين العابدين ..

والخرقة الشريفة محفوظة فى صندوق من الفضة ، والأمانات الأخرى محفوظة فى علب ، وصناديق صغيرة من الفضة هذه الآمانات محفوظة فى قسم خاص بها فى المتحف الاسلامى الضخم والمسمى متحف "سراى طوب قابى" وكان من = =

المواطنين بعد غسلها بماء الورد في الرابع عشر من رمضان في كل عام .. وتحرص الأسر علي زيارتها ، وتعد نفسها لهذا الهدف منذ بداية الشهر الكريم ..

تحرص الأسرة التركية علي زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين .. وفي مقدمتهم ضريح الصحابي الجليل أبي ايوب الآنصاري [1] الذي إستشهد في إحدي الغزوات

عادات الخلفاء والسلاطين العثمانين ان يذهبوا للزيارة والتبرك بها فى الخامس عشر من شهر رمضان من كل عام .. والخرقة الشريفة هى البردة التى القى بها النبى ﷺ على كعب بن زهير عندما مدح الرسول ، وقد قام الشريف ابونمى ابن الشريف بركات بتسليم بعض هذه الآمانات المقدسة إلى السلطان سليم الأول عندما ضم مصر إلى البلاد العثمانية ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م . وتم العثور على البعض الآخر فى خزائن قنصوه الغورى

بعد أن عاد السلطان سليم إلى استانبول قام بإنشاء قسم خاص بهذه الآمانات المقدسة ، بجوار القسم الخاص به فى سراى الحكم . كان كل سلطان عثمانى جديد بعدما يتولى العرش ، وتقليد السيف ، واعتلاء العرش يحرص كل الحرص على زيارة هذا الجناح ، والتبرك بهذه الآمانات المباركة فى احتفال رسمى يحضره الصدر الأعظم ، وشيخ الإسلام وكل رجالات الدولة واركانها .

انظـر :

ابن اياس : محمد بن أحمد ؛ تاريخ مصر المشهور "بدائع الزهور" فى وقائع الدهور " المطبعة الاميرية ، بولاق تحقيق محمد مصطفى + الصفصافى احمد القطورى ، استانبول ؛ عبق التاريخ وروعة الحضارة ، دار الآفاف العربية سنه ١٩٩٩ هامش ٦١ -٦٢ المؤلف

(٢) **متحف سراى طوب قابى** : متحف عريق يضم كل مخلفات السلاطين العثمانيين وهو قصر الحكم الذى شيده السلطان محمد الثانى بعد فتحه لمدينة استانبول ١٤٥٣ م = ٨٥٧ هـ

اختار السلطان محمد الفاتح هو موقع اكروبول بيزنطه العتيق على الرأس المهيمن على الخليج الذهبى ، والمطل على بحر مرمره ومضيق البوسفور .. لأنه بنى قريباً من باب المدفع فقد سمى سراى باب المدفع = **سراى طوب قابى** .

كان هذا السراى هو مركز السلطنة والخلافة معظم أيام الدولة العثمانية .

بلغت المساحة التى شغلها السراى سبعمائة ألف متراً مربعاً ، له سور ضخم بطول ١٤٠٠ متراً ، ويتصل هذا السور بالسور البيزنطى المطل على بحر مرمره ، والممتد حتى القرن الذهبى .. السور مدعم بثمانية وعشرين برجاً كما يشتمل السراى على قصور ، وفلات ، وأجنحة عديدة وبداخله مصاعد ، وحمامات ومطاعم ، وقاعات إجتماعات ودواوين حكومية، ومكتبات ومعسكرات ، ومبانى آخرى متنوعة .

وقد حُول السراى بقصورة ، وملحقاته واجنحته إلى متحف ينبض بالحياة . وهو يشتمل على جناح الامانات المقدسة :
انظر : أ . د / الصفصافى ، استانبوال ؛ عبق التاريخ وروعة الحضارة ، القاهرة سنه ١٩٩٩ ص ١٢٣ (المؤلف)

الصحابى الجليل ؛ أبو أيوب الآنصارى

من الصحابة الكرام ، رافق الجيش العربى الذى حاصر مدينة القسطنطينية سنة ١٨ هـ = ٦٣٩ م واستشهد خلال الحصار . وعند فتح القسطنطينية من قبل السلطان محمد الثانى العثمانى ١٤٥٣ م = ٨٥٧ هـ تمكن الصوفى والعالم الجليل آق شمس الدين الذى كان فى صحبة السلطان من التعرف على مقبرة الصحابى الجليل ، وسجادة صلاته .. فاستبشر السلطان بذلك وأمر باقامة ضريح ، وبعد الفتح اقيم جامع كبير ، وقد اعتاد السلاطين العثمانيون عند إعتلاء العرش التوجه من فوق منبر هذا الجامع...

ما زال هناك حى كبير يحمل الإسم ويطلق عليه الاتراك (أيوب سلطان) وهو من الأحياء ذات الطراز المعمارى ، والتراب الاسلامى العريق . ويتوجه إليه الاتراك للتاسى والدعاء فيه . وخاصة فى أيام الجمع ، وخلال المواسم الدينية ، وخلال شهر رمضان . (المؤلف)

الإسلامية علي مدينة أستانبول ، واكتشف مقبرته العالم الجليل آق شمس الدين ، وهو في رفقة السلطان الفاتح عند فتح مدينة القسطنطينية ، وتحويلها إلي إستانبول سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م وبعد الفتح المبين ، أمر الفاتح ببناء جامع وضريح ظل السلاطين العثمانين يتقلدون سيف السلطنة فيه إلي آخر سلطان فيهم .. وهو السلطان محمد رشاد الذي تقلد فيه سيف السلطنة سنه ١٣٣١هـ = ١٩١٢م .

تحرص الجمعيات الخيرية .. وجمعيات الحفاظ علي المساجد ، وجمعيات تحفيظ القرآن ، والأوقاف الثقافية الخيرية علي عقد مسابقات حفظ القرآن الكريم .. وآعلان النتائج خلال هذا الشهر ، والإغداق علي الفائزين بالمنح الدراسية في هذا الشهر المبارك .

تنتشر الولائم الرمضانية الجماعية .. وتعمم فيها الأطعمة الرمضانية ، كما تعمم في كل المجتمع التركي ...

* * *

العيـــد

العيـد فرحة ... العيـد بهجة .. العيـد مسرة وسرور .. للعالم الإسلامي عيـدين دينيين يدعـمان .. ويؤمنان التعاضـد ، والتكافل الإجتمـاعي بين أفراد الأمة .. هما عيد الفطر .. والعيد الأضحي ؛ وهناك آعياد قومية تسعد بها الأمة الإسلامية ..

-عيدالفطـر:

يسبق عيد الفطر ، زكاة الفطر ، وهي سنَّة واجبة علي آعيـان المسلمين .. يُطهر بها الصائم نفسه ، مما يكون قد علق بها من آثار اللغو ، والرفث ، كـما أنها تغني الفقراء ، والمساكين عن السؤال يوم العيد ، فقد قال إبن عباس ، رضي الله عنهما : « فرض رسول الله ﷺ **زكاة الفطرِ طهرة للصائِم مِن اللّغو والرفث وطعمة للمساكين**» وقـال ﷺ «**آغنوهم عن السؤال في هذا اليوم**» كما قال ﷺ «**إن للصـائم عند فطره دعوة لا ترد**» وقال ﷺ « **للصائم فرحتين ..**»

إذا ؛ فإن فرحه العيد ، تُسعِد قلوب الجميع المعُطِي ، والمعُطيَ له .. هي فرحة في الأرض ، وفي السـماء ، وتمضي أيام العيد في بهجة ، وسعـادة غامرة .. وتُقام لها خصيصاً بعض الترتيبات التي تُشعر الجميع ؛ صغيراً ، وكبيراً بهذه الفرحة الغامرة .. فبداية من نظافة المنزل التى يُشارك فيها الجميع ، وكعك العيد وسكرياته ، والملابس الجديدة . وإستحمام العيد .. والوضوء الكامل قبيل صلاة العيد .. وصلاة العيد جماعة في الساحات والجوامع ، والمساجد ، والتكبيرات الجماعية التي تُوحد بين بني البشر المسلمين في كل بقاع الأرض ... بسمة التهاني بالعيد التي تعلو الوجوه .. تبادل التهاني مع المصلين .. مع الآقارب .. والمعارف .. لبس الجديد ، (العيدية) التي تقدم من الكبير إلي الصغير ، فتُسعده ، وترسم البهجة علي وجهه ، وتحفر في وجدانه ذكري لا تمحوها الأيام ، والسنون ..

إن يوم العيد ، فيه ربط ، وإسعاد لآرواح الذين غادرونا .. أو فارقونا إلي العالم الآخر .. نسعدهم بالدعاء .. ونتذكرهم بالزيارة ، في مثواهم الأخير .. ربط بين الجيل الحاضر بجيل الماضي ... إحياء للمباديء الجليلة التي تجعل الأب خالداً طالما ان

الأبن يذكره ، ويدعو له (يموت المرء إلا من ثلاث ... ولد صالح يدعو له ..) أي عظمة أعظم من ذلك .. سعادة علي وجه الأرض .. سعادة تعلو وجوه البشر .. إسعاد لأرواح موتانا .. إسعاد لقلوب أجيالنا المبشرة ،ما أعظمها من قيم يجب الحفاظ عليها وتنميتها .. جميل أن نتبادل التهاني .. جميل أن نصل الآرحام .. جميل أن نتزاور ، ويُقبل الكبير ، وجنات الصغير ، ويُقبل الصغير ، يد الكبير .. جميل أن نتذكر موتانا .. والأجمل من كل ذلك ؛ أن نستحضر عظمة الخالق ، وعظمة الرسالة المحمدية .. وما تُقدمه للبشرية من سعادة .

عيد الأضحى :

قبل أن تكمن فرحة عيد الفطر في نفس المسلم ، حتي تَقبل عليه فرحة آخري .. تشمل كل آركان العالم الإسلامي .. الا وهي فرحة الحج .. فالحج فريضة فرضها الله سبحانه ، وتعالي علي كل مسلم ، ومسلمة استطاع إليه سبيلاً لقوله تعالي ﴿ ولله علي الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلا ﴾ [1] وقول الرسول ﷺ «بُني الاسلام علي خمس.... وحج البيت .. وصوم رمضان ...» فالحج تطهير النفس من آثار الذنوب لتُصبح أهلاً لكرامة الله تعالي في الدار الآخرة .. لقوله ﷺ «مَنْ حَجَّ البيت فَلَمْ يَرْفُث ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقوله ﷺ «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» منذ الإستعداد للحج ، والفرحة تعم الجميع .. بهجة تلف المجتمع .. وتصل ذروة الفرحة في العاشر من ذي الحجة ، يوم تقديم الآضاحي لوجه الله الكريم .. ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ فالنحر عقب الصلاة .. أو خلال آيام التشريق يخلق البسمة علي وجوه المسلمين جميعاً .. فالضحية من الحيوانات كالبقر، والجاموس ، والجمال .. أو الآغنام ؛ كالكباش والخراف أو الحملان أو من الماعز .. كل حسب مقدرته المادية والمعنوية ..

فالأضحية هي الشاة تذبح ضحى يوم العيد تقرباً إلي الله تعالي .. وحكمها .. سنة واجبة علي آهل كل بيت مسلم قَدَرَ أهله عليها .. وفضلها عظيم لقول الرسول ﷺ «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلي الله من إراقة دم ، وإنها

(١) سورة آل عمران .

لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ... » وأفضلها ما كانت كبشاً أقرن فحلاً أبيض يخالطه سواد حول عينيه وفي قوائمه ... (كل أيام التشريق ذبح) ويُستحب أن تُقسم الأُضحية ثلاثاً .. يأكل أهل البيت ثلثاً .. ويتصدقون بثلث .. ويهدون لأصدقائهم الثلث الآخر ، لقوله ﷺ **«كلوا وأدخروا وتصدقوا»** كما تجزيء الشاة الواحدة عن أهل البيت كافة وإن كانوا أنفاراً عديدين لقول أبي أيوب رضي الله عنه (**كان الرجل في عهد رسول الله ﷺ يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته**) .

لا تصلح الثروة الداجنة ، أو الحيوانات الوحشية لكي تقدم كأُضحية .. بل من البعير الذي بلغ خمسة أحوال من عمره ، والبقر سنتين ، والضأن قد أتم الحول ، ويجوز الإشتراك في البعير ، والعجول..

وبصرف النظر عن القيم الدينية ، ففي الأُضحية تكافل بين الغني ، والفقير .. تأليف بين القلوب بالتهادي ... رسم بسمة علي وجوه الأهل .. والأقارب .. والمعارف ، والجيران ، والفقراء ، والمساكين .. يلتف الجميع ، ليفرح بتقديم الأضحية.. وتوزيعها ، وسط دعوات الخير ، والعودة السعيدة لمثل هذه المناسبات الخيِّرة ..

إذا كانت الرحمة بالحيوان الأُضحية واجبة ، فلا نريه السكين .. ويجب الا نعذبه.. بل يجب أن نوجهه ناحية القبلة .. وأن نكون قد قدمنا له الماء قبل الذبح .. والا ندفعه بشدة .. بل يجب معاملته برفق ، وأن ننتظر عليه قبل السلخ ، حتي نتأكد من تمام الذبح ، وأن نُسمي الله ، ونُكبر عند الذبح ، ويستحسن بعد تمام الذبح، أن يُصلي مقدم الأضحية ركعتين شكراً لله .. وكما سبقت الإشارة ؛ يجوز التصدق بها كاملة ، ولكن الأفضل أن تُقسم إلي ثلاثة أقسام ؛ ثلث للفقراء ، وثلث للأقارب ، والجيران .. والثلث الأخير لأهل البيت .. ولا يجوز بيع أي جزء منها ، حتي جلدها يمكن التصدق به للجمعيات الخيرية .. وأن يُستخدم كسجادة للصلاة.. أو إذا بيع فيتم التصدق بثمنه .. فالذبح ، وتوزيع اللحم فيه إسعاد للفقير والمسكين .. وإرضاء للنفس البشرية .. وتطهير لها من الأحقاد والضغائن ..

ولما كانت أيام العيدين أجازة رسمية ، تُعطل فيها المصالح ، والهيئات ، ولا يجوز

فيها الصيام ، بل يشتري الجميع شرفيه ، والترويح عن النفس في المتنزهات والحدائق ، والمزارع ، والملاهي ، والشطئان ، وبشكل يجمع بين الآهل ، والاقارب ، والأصدقاء مما يخلق جواً من المحبة ، والمودة .. واللهو ، والترويح عن القلوب ، والنفوس .. فتعود بعدها صافية .. سامية .. راغبة في العمل ، وزيادة الإنتاج ..

ومن أروع ما يمكن أن نُحافظ عليه من قيم في هاتين المناسبتين الكريمتين .. أن ندعم روح التكافل بين الجميع .. بحيث تقوم الشركات ، والمؤسسات ، والمصانع ، وآصحاب الآعمال ؛ بإقامة الولائم الجماعية .. أو ذبح الآضاحي ، وتوزيع لحومها علي العاملين .. مهما أختلف المستوي الإجتماعي .. فإن ذلك يدعم الروابط الإجتماعية، والتكافل بين أفراد المجتمع .. وحبذا لو شمل ذلك إخواننا من أهل الذمة .. وأهل الكتاب الذين يعيشون معنا علي أرض الوطن الواحد .. فهذا يدعم المحبة ، والتآخي .. ويؤمن روابط الإحترام ، والتفاعل بين كل عناصر الامة .

إن الأعياد تدعم الروابط الإجتماعية بين أفراد المجتمع .. فيتم فيها تبادل الزيارات بين آهالي الزوجين ، والمعارف ، والأصدقاء .. تُصفي فيها الخلافات ، وتسمو النفوس فوق الصغائر .. وننسي فيها الحقد .. والضغينة . يقترب فيها العبد من ربه ، وخالقه .. وذويه .. ومحيطه ويحب البيئة ، والمجتمع الذي يعيش فيه .. يتم في هذه الآيام التصالح .. والتسامح .. وإكتساب رضي الآقارب .. نجد في أيام العيدين الفرصه للتودد للأحبة .. وتجديد الود مع مَنْ نحب .. يُهادي الخطيب خطيبته ، وتنتظر الخطيبة ، خطيبها في شوق ، وحنين .. تحدد فيها أيام الخطوبة ، وعقد القران ، والزواج السعيد ..

في الماضي ؛ كانت المعايدات الجماعية من الأمور التي يحرص عليها الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والحكام ، والولاة ، والمحافظون .. ورؤساء الإدارات .. وكان ذلك يخلق جواً مشحوناً بالمحبة ، والتعاضد ، والتساند وفي القري يتم تبادل الزيارات .. والمواساة .. والتهاني والمعايدة .. يحرص الصغار علي زيارة الكبار ، وطلب الرضي .. وخير الدعوات .. ويتقبل الصغار إلي جانب الدعوات العيدية .. والهدية .. ومباهج اللهو ، والتسلية ..

* * *

الإحتفال برأس السنة الهجرية
والموالد الدينية

ما يكاد عيد الآضحي ينتهي .. حتي تطل علينا السنة الهجرية الجديدة .. فيتم فيها الإحتفال .. وإن كانت تغلب عليه الناحية الدينية .. أكثر من الترفيه الدنيوي.. ففيها ترفيه معنوي .. ففي حياة كل الأم آيام وليالي معدودة لا يمكن أن تمر دون الإحتفال فيها والإبتهاج بها .. هذه الأيام والليالى تنبع من تاريخ الأمة ومن ثقافاتها الدينية ، والقومية .. وهذا ما يكسبها صفة التراث والأعراف .. ويدفع بالأم للمحافظة علي هذه الأيام ، وتلك الليالي ، لتبقي في ذاكرة الأجيال ، حيَّة نشطة وقد تنبع هذه الأيام ، والليالي من المعتقدات الدينية أو العنعنات التراثية .

ويمكن أن نعتبر الموالد الدينية من قبيل المعتقدات ، والعقيدة الإيمانية . وهي أقل شأناً من العيدين ، ولكن لها دورها الخطير في تأمين وحدة العقيدة .. والوحدة القومية ، ووحدة الأمة ، لأن الأمة الإسلامية كلها تحتفل بهذه الموالد بشكل أو بآخر... وهذا ما يضمن وحدة العادات والتقاليد ... والتقارب الإجتماعي ، وكلما إشترك أفراد الأمة في المعتقدات ، والمشاعر زاد فيما بينهم الحب ، والأحترام .. وقويت فيما بينهم أواصر المحبة.. والمودة ..

في السنة الهجرية خمسة موالد "مواسم"ويمكن تصنيفهم حسب الشهور القمرية= الهجرية علي النحو التالي :

١-المولد النبوي الشريف :

ويحتفل فيه المسلمون في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام بميلاد محمد بن عبد الله ، خير مَنْ أنجبته البشرية جمعاء .. وكلمة المولد تُفيد معني الزمان والمكان الذي تم فيه الميلاد .. وفي هذه المناسبة يتم الإحتفال بميلاد .. وحياة .. وسيرة .. ومآثر .. وشخصية النبي الحبيب بآشكال شتى تتلائم مع ظروف ، وأوضاع كل قطر من اقطار العالم الإسلامي ، ويجب أن ننزه هذه المناسبة ، وننقيها من كل ما علق بها، من مظاهر تخرج بها عن حد الشرع ، والمألوف الديني الصحيح ..

٢- الرجبية :

وتُصادف ليلة الجمعة الأولي من شهر رجب .. وفيها لا يرد الدعاء .. ولا يغلق الله سبحانه وتعالي باب الرجاء أمام عباده المؤمنين به ، والموقنين بوحدانيته ..

٣- ليلة الإسراء :

وتُصادف ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، وهي الليلة التي أُسري فيها بالنبي محمد ﷺ إلي السموات العليا.. وصارقاب قوسين أو أدني من الحبيب الآعظم ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ .

٤- ليلة النصف من شعبان :

ويُطلق عليها البعض ليلة البراءة .. وتُصادف ليلة الخامس عشر من شهر شعبان .. وفيها يفتح الله سبحانه وتعالي أبواب رحمته .. ويبريء الله عباده المؤمنين من كل الأدران ، في هذه الليلة المباركة .. ويغفر لهم خطاياهم .. وهي الليلة التي تلقي فيها الرسول الكريم الوحي بالرسالة ...

٥- ليلة القدر :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤ ﴾(١)

أذن ... هي الليلة التي بدأ فيها نزول القرآن .. وهي تُعادل ألف شهر من العبادة المتواصلة .. تنزل فيها الملائكة .. وهي سلام حتي مطلع الفجر .. أمرنا الحبيب المصطفي أن نتوخاها في العشر الأواخر من شهر رمضان ، في الحادي والعشرين ، أو الثالث والعشرين، أو السابع والعشرين ، أو التاسع والعشرين ، وإن كان جمهرة المفسرين يجعلون من ليلة السابع والعشرين أكثر حظاً من سواها .. وفيها يختم القرآن ، وتُعقد مسابقات حفظ القرآن .. وتوزع الجوائز علي العلماء .

---

(١) سورة القدر : ١ - ٥ .

لكل مناسبة من هذه المناسبات آعرافها ، وعاداتها ، وتقاليدها المرعيَّة في ربوع العالم الاسلامي .. في تركيا يطلقون عليها أيام القناديل . وليالي القناديل ؛ حيث تُوقد القناديل علي المآذن في هذه المناسبات .. وتُضاء الجوامع ، وآضرحة أولياء الله الصالحين .. يُتلى فيها القرآن أكثر من سواها .. تزارفيها القبور للتاسي .. وتفضل فيها العمرة ، يحرص الجميع علي زيارة الأهل ، والأقارب . وفي القري تُقدم (المواسم) إلي المتزوجات من سيدات الأسرة في عائلات آخري .. أي أنه تراعي فيها صلة الأرحام .. وتزاد أواصر الحب ، والمودة ..

تُعد أطعمة معينة لكل مناسبة علي حدة .. وتختلف من مكان الي آخر في العالم الإسلامي .. ويُفضل أن يجتمع كل أفراد الأسرة عند كبير العائلة في مثل هذه المناسبات الدينية . ثم يتم التوجه إلي دور العبادة ، ويمكن أن يُؤدي الفرد نوافله في منزله .. وفي مثل هذه الليالي يفضل أن يؤدي الإنسان ما عليه من فروض قد فاته القيام بها .. يستحب فيها الدعاء .. وطلب العفو ، والتوسل إلي الله بالرجاء .. ففيها ترفيه روحي ومعنوي ..

تنتشر في تركيا خلال ليالي القناديل قراءة قصيدة المولد .. وهي في سيرة النبي ﷺ .. ومع إنتشار الراديو ، والتلفاز أصبحت هذه البرامج تنقل من الجوامع ، والمساجد التي تقرأ فيها المولد .. وخلال المولد ، يوزع علي الحضور الشربات أو السكريات .. ويُعطروا بماء الورد ..

كما يُقدم إلي الحضور في بعض مناطق تركيا الزبيب ، والحلوي .. والياميش .. وفي ختام قراءة المولد يقدم الطعام لِمَنْ يبقي من الحضور .. ثم تُختم الجلسة بدعاء طويل تكون نهايته الفاتحة ..

إن أول من أمر بقراءة المولد وسط مراسم رسمية يحضرها الوالي في مثل هذه الليالي كان مظفر الدين كَوك بورو آتابك اربيل .... فهو أول والي تركي يهتم بهذه المراسم.. ثم توالت بعده .. وظلت مرعيَّة بشكل رسمي إلي أن تم تطبيق النظام العَلْماني في العهد الجمهوري منذ ذلك الحين تمسك بها الشعب ، وتابع الإحتفال بها إلي يومنا الحاضر .. وآخيراً بدأت الشئون الدينية تشارك فيها بشكل رسمي ..

وتحرص عليها الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد رغم عَلْمَانية النظام الحاكم .. وتحولت إلي قيم يتمسك بها المواطن التركي المسلم ، ولا يقل في ذلك عن اخيه المسلم في أي بقعة آخري من بقاع العالم الإسلامي .. ومن الآعراف ، والقيم الدينية السائدة في مثل هذه المناسبات ؛ هو صوم يومها ، وقيام ليلها ..

* * *

آطفالنا .. والأعياد .. والمواسم

الأطفال آحباب الله .. وكما يستقبل الأطفال ، شهر رمضان بالفوانيس ، والآغاني (حالو ياحالو .. رمضان كريم ياحالو ..) وآغاني العيد ، ولبس الجديد .. فقد جرت العادة ؛ أن يطوف الأطفال بعد صلاة العيد علي الآهل ، والجيران والمعارف وطلب العيدية .. أو تجميع حلوي العيد .. وعقب صلاة عصر العيد يتجمعون سوياً ليأكلون ما جمعوا بشكل جماعي .. كانت هذه العادات الجميلة ترسم البسمة والفرحة علي وجوه الجميع ، الكبار بما يقدمونه .. والصغار بما يتغنون به .. وبما يجمعونه من نقود ، وأطعمة وحلويات .. هذه المعطيات الصغيرة تخلق نوعاً من التآلف ، والإمتزاج الإجتماعي بين الآطفال والكبار .. تخلق لديهم الشجاعة الأدبية .. تخلق في نفوسهم فرحه ؛ تجعلهم في وئام ، وسلام مع المجتمع الذي يعيشون فيه .. تجعلهم يستمتعون بهذه المناسبات الدينية ، ويسعدون بها .. فينتظروها بفرحه .. ويستقبلونها ببهجة تنعكس علي حياتهم ..

إن الحياة العملية .. وظروف المعيشة الصعبة ، جعلت معظم أفراد الأسرة يخرجون إلى العمل .. لم يعد هناك مَنْ يهتم بالأطفال ، أو مَنْ يخصص لهم الوقت الكافي .. من هنا تحتاج المجتمعات المعاصرة إلي إعادة إحياء مثل هذه العادات ، والآعراف التي تُعيد للطفل بسمته الجماعية . وترتبط باقرانه وأترابه ، فيرتبط بالبيئة .. والمحيط الأصغر .. ويكبر معه الإنتماء .. ومخزون الذكريات التي تربطه بالوطن ، فيزداد به حباً .. وما أن يشب عن الطوق .. فيتفاني في رقيه .وعلو شانه .. إن عودة الحياة إلي مثل هذه الأعراف ، ووضع البرامج التراثية لتاصيلها لا تخلو من فائدة .. تعود علي الـ .. والمجتمع .. أن تجمع الأطفال أو تجميعهم معاً في مناسبات عديدة .. تعضد

في نفوسهم التوائم الإجتماعي .. والسلوك الجماعي .. وروح التعاون ، وتهذيب الترفيه الفردي ، ونقله إلي بسمة جماعية .

* * *

إن لكل أمة أيامها ، وآعيادها القومية ، وهي تلي الآعياد ، والمواسم الدينية في الأهمية .. فإذا كانت الأعياد الدينية تدعو إليها العقيدة الدينية فإن الأعياد القومية مطلب وطني .. فيها يسعد الوطن .. يستعيد ذكرياته الحلوة يشحذ بها الهمم للتغلب علي الإنكسارات ، والنكسات السياسية ، والإجتماعية تتمثل هذه الآعياد في مناسبات سياسية كاليوم الوطني ، أو ذكري قيام الثورة .. أو إعلان الجمهورية .. أو إعتلاء العرش ، أو ذكري الإنتصار في الحرب . أو جلاء الغاصب والمعتدي ... أو تحرير جزء من أرض الوطن ..

في مصر تتمثل الأعياد القومية بقيام ثورة ٢٣ يوليو سنه ١٩٥٢ م وجلاء الإنجليز سنه ١٩٥٦ وخروج الملك في ٢٦ يوليو .. الإنتصار السياسي ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس الأنتصار العسكري في السادس من أكتوبر = العاشر من رمضان سنه ١٩٧٣ . تحرير سيناء .. رفع العلم علي طابا ..

– في تركيا .. عيد أعلان الجمهورية في ٢٩ أكتوبر سنه ١٩٢٣ م

– عيد انتصار ٣٠ آغسطس ، وإخراج اليونان من إزمير .. الإنتصار الكبير = بيوك ظفر .

– عيد ١٩ مايو ، وذكري توجه مصطفي كمال آتاتورك إلي صامسون وعيد الشباب والرياضة ..

– عيد الطفولة والإستقلال في ٢٣ إبريل من كل عام فلكل دولة من الدول العربية، والإسلامية أيامها ، وأعيادها القومية التي تحتفل فيها بالمناسبة ، وبما يتلائم معها .. ؛ بعضها بالعروض العسكرية .. والبعض بالمهرجانات الرياضية أو بعروض الزهور ، ومسيرات الحرف ، والطوائف مَنْ منا لا تسعده العروض العسكرية .. أو مواكب الزهور .. أو مهرجانات الشباب والرياضة ..

فالأعياد القومية ، وسيلة فعَّالة من وسائل تفعيل المشاعر الجمعية لدي المواطنين.. وتطوير مشاعر الوحدة القومية في النفوس .. يجب الأ تبقي مثل هذه المناسبات وقفاً

علي المدارس ، أو الوحدات العسكرية ، أو المؤسسات الرسمية .. بل يجب ان يُشارك فيها كل طبقات الشعب ، وطوائفه .. يجب التفكير فيها علي أنها لوحة تعكس الغرور القومي .. والعزة الوطنية .. يجب أن يكون العرض ، أو الموكب ، أو المهرجان تجسيداً للروح الجماعية وتنشيطاً لها .. في مثل هذه المناسبات يشعر الجميع انه لا يعيش وحده .. ليس بمعزل عما يجري حوله . نحن نعيش شعوراً جمعياً .. يدفعنا جميعاً اللاشعور الجمعي نحو الأهداف السامية .. إن أحسن تجسيد لذلك نراه في الأعلام التي ترفع فوق المنازل ، والشرفات ، والهيئات ، والمؤسسات وأيدي الأطفال الصغار .. وكما ترفرف أعلام النوادي الرياضية في المباريات .. يجب أن ترتفع أعلام الوطن في أيدي الجميع في المناسبات القومية ...

وكما أن لكل منطقة محلية عيد استقلالها أو تحريرها ، أو أيامها .. وذكرياتها .. التي يجب أن تعيش في وجدان مواطنيها .. بل يجب علي الأوطان العربية والإسلامية ، أن تعيش أيام بعضها البعض ، طالما أنها لا تُنمي الشعوبية أو تذكي العنصرية ، والإنفصالية .. لماذا لا نحتفل جميعاً بأعياد النصر في عالمنا العربي ، والإسلامي كله ؟. لماذا لا نحتفل بغزواتنا الإسلامية :؟ وفتح مُدننا العريقة ، ودخول الإسلام إلي ربوع أوطاننا ..

بل يجب أن نحتفل بميلاد .. ونتذكر وفاة ، رجالات الدول الإسلامية .. والكتاب ، والمفكرين ، والفنانين الذي أسهموا في إثراء وجدان الأمة بالمعارف ، وارتقوا بذوقها .. وسجلوا تراثها .. وأبدعوا فنونها كيف لا نحتفل بمن سجلوا لنا الإنتصارات ، ورصعوا جبين الأمة بالمخترعات ، والمكتشفات علي مر العصور ..؟

يجب أن نَجعل الأجيال الجديدة تسعد بهم ، وتعتز بتراثهم .. ونجعلهم يعيشون في وجدانهم يُغنون معهم .. ولهم .. يطربون لكل ما قام به هؤلاء العظماء في شتي ربوع العالم العربي .. والإسلامي ..

يجب أن تشمل البرامج التعليمية ، والتربوية ؛ علي كل هذه الشخصيات البارزة في عالمنا العربي ، والإسلامي .. وأن يُشارك في الإحتفال بهم أكبر عدد ممكن من الطلاب ، والتلاميذ ، والمدارس ، والمعاهد ، والجامعات العربية ، والإسلامية ...

إن الوجود القومي ، والشعور بالزهو ، والفخر بتاريخنا الإسلامي يتولد ، ويتدعم عن طريق إحياء والإحتفال بمثل هذه الأيام .. وعن طريقها ومع غيرها من الوسائل ، رالطرق تنتقل أعرافنا ، وعاداتنا وقيِمنا من جيل الي جيل ..

* * *

هناك العديد من الأنشطة الترفيهية ذات البعد الإجتماعي .. وتنعكس آثارها علي المجتمع بشكل عام ، ومن هنا فإن المجتمعات جميعاً توليها أهمية بالغة وترصد لها الميزانيات ، وتقيم لها المنشآت في شتي المناطق ، والمدن الرئيسية .. ونستطيع أن نرصد بهذا الصدد ما يلي :

- الأنشطة الفنية :

تأتي الأنشطة المتعلقة بالفنون الجميلة ، علي قمة الانشطة التي تمنح الحياة بهجة ، وجمالاً .. وترسم البسمة علي شفاه الجميع ، وتجعل سمة المجتمع هي البشاشة .. وروحه جيَّاشة ... وعناصره منتجة معطاءة .. ولما كان نمط الحياة اليومية في عصرنا الحاضر يتسم بالسرعة ، وذلك بدوره لا يتيح للمواطن التردد علي المسرح ، والسينما، والأوبرا ، والمعارض .. والحفلات الموسيقية بشكل متتابع أو متوالي .. ولكن بنفس القدر من الأهمية ، فإن البقاء خارج نطاق الإهتمام بهذه الفنون ليس بالأمر اللائق أو المستحب ..

إن هناك بعض القواعد ، والأصول ، والأعراف التي يجب علي الذين يترددون علي الأماكن المشار إليها مراعاتها .. ويُعتبر من لا يهتم بهذه الآعراف خارج علي الذوق العام .. وأهم هذه القواعد :

الملابس الرسمية :

يتطلب التردد علي الأنشطة الفنية ، وخاصة تلك الفنون الجميلة ، أو المشاركة فيها أن يحرص المشارك علي إرتداء الملابس الرسمية .. والتي تحددها الجهة المهتمة بالإشراف علي هذه الفنون . وإذا ما كان هناك توائم .. وتفاهم بين مقدم الفن ، وبين المشاهد أو المستمع .. أو المتابع لوصل العمل الفني الي الهدف الذي يروم الوصول إليه .. فإن التوجه بالملابس الرسمية إلى أفتتاح أوبرا ، أو مسرحية ، أو معرضاً ، أو حفلاً موسيقياً فإلي جانب إظهار الإحترام ، والتوقير لهذا المكان الذي يُقدم العمل الفني ، فإنه يُشعر المتابع أو المشاهد بأنه يعيش لحظات ذات مشاعر مغايرة لتلك التي يعيشها في حياته اليوميه ، وتخرجه ، ولو لسويعة عن روتين الحياة اليومي .. .. أما

السينما أو المعارض الصناعية ، أو معارض الكتب فيمكن التوجه إليها بالملابس اليومية العادية . . أما صالونات المسارح ، أو دور الأوبرا ، أو الحفلات الموسيقية ، فليس من المستساغ أن ندخلها بالبلطو ، أو المانطو ، أو البرنيطة . . أو ما شابه ذلك بل يجب ترك مثل هذه الملبوسات في الأماكن المعدة لهذا الغرض .

أما خلال العرض ، أو المشاهدة ، والمتابعة أو الإستماع ، فإن الصمت واجب . . وليس من اللائق ، أو المناسب التحدث ، أو التعليق، أو السؤال عن شيء ما غير مفهوم أثناء العرض . . فليس من الذوق ازعاج الآخرين بمثل هذه التصرفات المستهجنة . . ولكن من المناسب ، أو المسموح ، بعد إنتهاء العرض ، أن يتم مناقشته . . أو إبداء الرأي حوله ، كما يجب عدم تناول اي ماكولات في مثل هذه الأماكن باي شكل من الأشكال . . ولامانع من تناول بعض الماكولات ، أو المشروبات الخفيفة ، خلال فترات الإستراحة ، بشرط أن يكون ذلك في البوفيه ، وليس في صالون العرض . . يجب عدم إحضار اي ماكولات أو مشروبات إلي داخل الصالونات . .

أصبح من اللائق ، ومن المناسب ؛ أن يمتنع المصاب بنزلات البرد ، أو "الأنفلونزا" من تلقاء نفسه ، عن الذهاب إلي السينما ، أو المسرح ، أو الحفلات العامة، حتي لا ينشر الميكروب ، أو الفيروس ، أن يسبب قلقاً للحضور العطس . . أو السعال بصوت مرتفع . . ويُعد ذلك من الذوق العام . . حتي لا يفسد علي الآخرين ترويحهم . . أو يقطع عليهم إستمتاعهم بما يتابعون . .

من الذوق العام أيضاً ! أن أنسحب من المسرح ، أو السينما ، أو الحفل في هدوء تام ، إذا كان لا يستهويني ما ُعرض ، أو يعزف ، أو يُقدم ، أما الصفير . . أو صوت الإستهجان، أو الصياح فهو سلوك غير حضاري . . لأن ما لا يعجبنا نحن ، لابد أن هناك مَنْ يستمتع به ، أو يصغي إليه أو يتابعه بإهتمام . . ومن السلوك الحضاري القويم أن نُتابع في هدوء ، ونعبر بعد العرض عما لا يعجبنا كتابة . . وبشكل لائق مع ما نتابعه . . .

كما أن الوقوف ، والتوجه نحو باب الخروج ، قبل نهاية العرض ، سواء في السينما أو المسرح ، أو الأوبرا ، أو في حفل موسيقي ، وما شابه ذلك يعتبر عملاً لا يتفق مع

الذوق العام ، أو السلوك الحضاري السليم ، حتى ولو تذرع من يقوم به بحجة تلافي الزحام .. فالنظام يمنع ، أو يحول دون أي زحام ، ومثل هذا السلوك الغير لائق ؛ فكما أنه يقلق الغير ، فإنه تصرف جلف تجاه الممثلين أو القائمين بالعرض ، أو المشرفين عليه .. فكما أن الدخول بعد بداية العرض تصرف غير لائق ، فان الخروج قبل النهاية أيضا غير لائق .

* * *

الأنشطة الترويحية الإجتماعية

تداخلت الأسباب الإقتصادية ، مع رتم الحياة السريع ، فى آيامنا المعاصرة ، وجعلت الإجتماعات ، والتجمعات الإحتفالية أصبحت علي نمط حفلات الإستقبال .. تلك التي يُطلق عليها الـ "كوكتيل" إن المسمي فقط هو الحديث ، أو الجديد علينا .. ولكن المحتوي موجود وإن إختلف المسمى .. فقد عرفت المجتمعات الإسلامية هذا النمط من الإحتفالات أو لنقل الحفلات .. وهي في الغالب تستمر ساعتين أو ثلاث قبل موعد العشاء .. ويتطلب الذوق العام فمنْ لن يذهب إلي هذا الحفل ، أن يعتذر مسبقاً .. أما إذا كان سينضم إلي الحفل ، أو سُيلبي الدعوة ، فعليه الا يصطحب احداً غير مدعو مهما كانت الظروف ...

جرت العادة أن تتم حفلات الإستقبال = "الكوكتيل" وقوفاً علي الأقدام .. ومن المناسب أن يقوم صاحبا الدعوة بإستقبال الضيوف عند الباب .. والقيام بتعريف الضيوف ببعضهم البعض .. والأ يترك المضيف احد الضيوف وحيداً ، أو أن يشعر بالوحدة .. بل عليهما أن يهتما بالجميع . ولما كانت هذه الحفلات هي في المقام الأول حفلات تعارف ، ثم ترفيه ، فيلزم أن يُقدم الإنسان نفسه لمن لا يعرفه ، ويتعشم التعارف علي الآخرين دون إزعاج ..

حفلات الإستقبال التي تتم للإحتفال بالخطوبة ، أو الزواج أو القران .. فعلي العريس ، والعروس أن يطوفا بالمدعووين للسلام ، وتقبل التهنئة ، وتقديم أطعمة ، ومشروبات يمكن تناولها بسهولة علي الواقف .. وعلي المدعو الا يقف وقتاً طويلاً أمام البوفيه حتي يترك الفرصة تتاح لغيره .. والأ يحول دون مشاركة الآخرين .

« العقل السليم في الجسم السليم ... » ، « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » ، (**علموا أبناءكم الرماية .. والسباحة .. وركوب الخيل**) .

هذا التراث الرائع يُبين الأهمية القصوى التي أولتها حضارتنا للرياضة . ويُبين أيضاً أهمية الرياضة في بناء الروح والجسد معاً .. فالجسم السليم لابد وأن يكون بوتقة صالحة للعقل ، والفكر السليم .. ولا نستطيع أن نغفل دور الرياضة من الناحية الاجتماعية أيضاً . كم هي مهمة لمن يلعب أو يمارس الرياضة .. وكم هي مهمة بالنسبة لمن يُتابع .. كيف نستقبل النصر .. وكيف نقبل الهزيمة .. كيف نُحي المنتصر .. ونشد من أزر المهزوم .. كيف نلتف جميعاً حول الفرق القومية التي تمثلنا .. كيف ننظم المسابقات بين فرقنا ، ونوادينا .. ومدارسنا .. وكلياتنا .. وجامعاتنا ..

علي المجالس البلدية أن تبذل قصاري الجهد ، لإعداد ساحات الرياضة العامة .. وكم هو جميل أن تنتشر مراكز الشباب ، والأندية في كل المدن .. بل يجب أن تطول كل القري .. وأن تمارس الرياضة جنباً إلى جنب مع الأنشطة الثقافية الأخرى ..

إن الرياضة الجماعية مفيدة للرياضي الممارس ، وللمتفرج المشاهد .. فكليهما يرتاح بدنه .. وتطمئن روحه .. وتشمله السكينة .. فقد سيطر كل منهما علي نوازع النفس البشرية وكوامنها .. وأخضع الرغبة البدنية للإرادة الروحية ..

إن الرياضات العامة ، ككرة القدم ، والكرة الطائرة ، وكرة السلة ، وكرة اليد ، والكرة الخماسية ، وسباق الخيل ، والهجن ، وحتي سباق الديكة ، والكلاب .. والمصارعة بانواعها ، والملاكمة ، وكل أنواع رياضات المضرب .. كلها تجذب الإنتباه وتلتف حولها الكتل العريضة من المواطنين .. تتدفق الملايين لمشاهدتها في الإستادات ، والصالات المغلقة ، يحضرها علية القوم ، ورجالات الدولة ، ورؤساء الدول ، والحكومات ، وكان الملوك ، والسلاطين يحرصون علي حضورها ، ويحضون عليها ، ويشجعونها ، لما لها من أهمية في شحن الشعور القومي ، وخلق الشعور

الجمعي ، وتنمية التنافس الشريف بين شتي طبقات المجتمع .. إن التشجيع شئ مهم .. ولكن بشرط ألا يتحول إلى تعصب .. بل يجب أن تسود الروح الرياضية ، والخلق الرياضي..

ما أحوجنا إلي نشر الوعي الرياضي .. والسلوك الرياضي والساحات الرياضية .. ما أحوجنا إلي رجال الأعمال ، والصناعة ، والشركات ، والمؤسسات التي تتبني فكرة خلق البطل ، ورعايته ..

ما أحوجنا إلي ساحات الرياضة في كل مدينة ، وفي كل حي ، وفى كل قرية ، بل وفي كل نجع .. ما أحوجنا أن تتحول الساحات الخاوية إلي ملاعب ، وصالات .. وما أحوجنا أن تتحول قطع الأرض الفضاء البينية إلي ساحات رياضية ، وأن يوقفها أهل الخير علي الرياضة .. فبناء المواطن .. أهم من بناء المصنع .. فالمواطن القوي البدن ، والروح هو الأقدر على بناء الوطن ، والمحافظة على نُظمه ، وممارسة نشاطاته ، وفعالياته داخل النسق الإجتماعي العام...

فالرياضة حاجة ملحة في الوقت الراهن.. و الرياضي ملتزم ، ومتواضع.. لا يؤذي غيره.. يسعد بمن حوله ، ويسعد مجتمعه ، ووطنه ، وأهله ، و كل مَنْ حوله بانتصاراته.. وسلوكياته.. هو قدوة تحض علي السلوكيات القويمة ، يُبعد عن القبح، وعن الحزن . يرسم البسمة ، والبهجة علي وجه المجتمع...

* * *

الإدخار قيمة إجتماعية سامية ، كما أنه قيمة دينية ، وقيمة إقتصادية رفيعة المستوي .. ونحن أمة وسط . والوسطية من أسمي غيات المجتمع الإسلامي عامة والشرقي خاصة .. ومعتقداتنا الدينية تحض علي الإدخار حيث يذكر في القرآن الكريم ﴿ .. **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** .. ﴾ كما قال سبحانه وتعالي ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾ والآحاديث النبوية تدعونا إلي الإدخار حيث يقول المصطفي ﷺ «**من فقه الرجل القصد في معيشته** ..» كما قال ﷺ «**ما عال من اقتصد** ..» .

والإدخار بمعناه الواسع ، هو الحد من الإسراف ، والصرف الغير مبرر في كل شيء .. الإدخار النقدي ، حسن إستخدام العنصر الزمني ، إستخدام الوسائل والآلات والإمكانات المتاحة في الوقت المحدد ، وبالدقة اللازمة في الوقت المناسب ، وبالقدر المعقول .

فالإدخار هو القوة الدافعة للإقتصاد .. والمدخرات سمة من سمات المجتمعات المتحضرة .. إن قيمة الأشياء المدخرة سواء أكانت منقولة ، أو ثابتة تكتسب قيمة وقيماً جديدة بإدخارها ، أو الإقتصاد في إستخدامها ، وإستعمالها . وهكذا ، فإن الإدخار ، والمدخرات تُؤمن رفاهية المدخر ، والمجتمع في نفس الوقت .. والمدَّخر إذا ما وصل إلي الرفاهية المنشودة ، فمعني ذلك أنه وصل إلي الثراء ، والغني المادي الذي ينشده .. وبالتالي فقد وصل إلي الهدوء ، والطمأنينة الروحية ، والنفسية التي تُكمل الرفاهية المادية ..

إن الدول المتقدمة ، قد تقدمت بالمدخرات التي أُحسنت إستخدامها ، وتوجيهها إلي التصرف الأمثل، الإستخدام الأمثل للمتاح من الإمكانات .. اما الدول النامية ، أو لنقل الآخذة في التطور ، فإن منابع ثروتها محدودة .. ولذلك فهي تعتمد في الكثير من متطلباتها علي تلك التي تُقدمت ، بحسن إستخدام مدخراتها .. بمعني أن الدول النامية تستدين من الدول المتقدمة ، وعلي الدول الآخذة في النمو ، أن تهتم بالإدخار، بل هي مضطرة لزيادة الإهتمام بالإدخار لتقلل من الإستدانة بقدر الإمكان.

الدين الإسلامي ، كما أنه ينفر من البخل ، والبخلاء فهو كذلك ضد السفه ، والسفهاء .. وأعتبر البزخ محرماً .. وعلي الأسرة أن تسعي إلي تعليم أطفالها قيمة الإدخار ، وسلوكياته منذ نعومة أظفارهم ، فمن شب علي شيء شاب عليه .. وتُراثنا المكتوب ، والمسموع ثري بالآمثال والأقوال التي تحض علي الإدخار ، وتدعو إليه.. والمجتمعات الزراعية تعلو فيها قيم الإدخار ، علي عكس المجتمعات الصناعية .. فهي تدعو إلي الصرف ، وتعلن عن منتجاتها بشكل يدعو إلي الإستهلاك .. وتفننت في وسائل الدعاية ، والإغراء بسرعة الإستهلاك ..

ولما كان الإدخار وثيق الصلة ، وواجب الرعاية في كل مراحل حياتنا .. رأينا من المناسب أن نبسط القول بعض الشيء عن وسائل الإدخار ، وطرقه :

الإدخار النقدي

- **القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ..**
- **القرش يكسب قرش ..**

فحتي التراث الشعبي ؛ يحض الأسرةعلي أن تدخر بعضاً من دخلها لكي تواجه به الأيام السيئة .. أو لكي تشتري به مالاً جديداً .. أو لكي يوفر تأمين وسائل جديدة لمكسب جديد وإلي زمن قريب كانت النقود تُحوَّل إلي الذهب ، ويتم كنز الذهب أو إدخاره .. ولكن النظام البنكي ، والمصرفي ، والبورصات ، والسندات جعلت إدخار النقود ذاتها أمراً مستحباً ، وممكناً ، بل وأكثر تداولاً .. ولقد إنعكس ذلك علي حركة تطور المجتمع أكثر من حفظ الذهب ، وكنزه أو إدخاره ..

وكانت الأسر المصرية تدخر من منتجات المواسم الزراعية حتي إذا ما حلَّ الموسم الجديد تجد بذورها جاهزه ، ولا تحتاج إلي الشراء ، أو الإنتظار حتي يتم تأمين البذور.. كما كانت وما زالت الأسر العريقة ، والكبيرة تدخر لإستخدامها السنوي من الحبوب ، والسمن البلدي ، ما يكفيها حتي ظهور الموسم الجديد ..

وإلي عهد قريب كانت هناك في كل البيوت قاعة الكرار ، وهي قاعة مخصصة لتخزين إحتياجات الأسرة في مواسم كثرتها إلي مواسم ندرتها ... وفي هذا ترشيد

في النفقات ، ويمكن إعتباره نوعاً من الإدخار .. حيث ينعكس علي ميزانية الأسرة ، وبالتالي علي ميزانية الوطن ككل .. ولو تتبعنا الآيات ، والآحاديث ، والأمثال ، والأقوال التراثية التالية لإتضحت لنا قيم الإدخار وآعرافه :

﴿ وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) ﴿ وعلي الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (٢) وقول الرسول ﷺ « .. ولو أنكم تتوكلون علي الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً»

الإيثار وحب الغير:

﴿ ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾(٣) ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، وهو خيراً وأعظم آجراً ﴾ ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ .

(اليد العليا خير من اليد السفلي)

(يد الله مع الجماعة ..)

(سيد القوم خادمهم)

ومن أمثال العرب:

- أجع كلبك يتبعك ....
- زوج من عود خير من قعود...
- شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه ...
- قلل طعامك يحمد منامك ...
- كما تزرع تحصد ...

---

(١) سورة المائدة .

(٢) سورة التغابن .

(٣) سورة الحشر .

– كلب جوال خير من أسد رابض ....

– لكل غد طعام ...

– شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه ...

أمثال مشتركة :

– القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود = آق آقجه قرا كَون ايچيندر ..

– القرش يكسب قرش = آقچه آقچه يي قازانير ..

– ليس ادخار الذهب ، بل إدخار القرش فضيلة = آلتيني صاقلامق دكل ، قروشي صاقلامق هونردر ..

علي قد لحافك مد رجليك .. = آياغينى يورغانكه كوره اوزات ...

– أول الغيث قطره .. = داملايه داملايه كول اولور ..

* * *

الترشيد في المأكل والمشرب وعدم الإسراف فيهما

قال سبحانه وتعالي ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ وقال المصطفي ﷺ «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ، ولا سرف ، فإن الله يحب أن يري نعمته علي عبده» ويحدد الرسول ﷺ الإسراف في الطعام بأنه أكل ما فوق ثلث حجم بطنه ..

كما قال رسول الله ﷺ «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه .. حسب أبن آدم آكلات يقمن صلبه ، فإن كان فاعلاً لا محالة .. فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» فجعل ﷺ ، ما زاد عن ثلث البطن من الإسراف في الطعام ، كما جعل من الإسراف أن يأكل الإنسان كل ما يشتهي .. حيث قال ﷺ «إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت» .. ويحث علي الإقتصاد في الغني ، وفي الفقر ، بل وفي العبادة أيضاً ، أي التوسط حيث قال ﷺ «ما أحسن القصد في الغني ، وما أحسن القصد في الفقر ، وما أحسن القصد في العبادة ..» فالحرص علي الإقتصاد في المآكل والمشرب ، بل في الأمور كلها ، والبعد عن الإسراف من الأمور التي تحض عليها الحضارة الإسلامية ، وبقدر البعد عن الإسراف ، والتبذير ، يكون البعد عن البخل والتقتير .. ففي كليهما مفسدة للنفس ، والمال ، والمجتمع.

ولما كانت كل المواد الغذائية تتطلب جهداً كبيراً لتأمينها من الطبيعة ، فإن إلقاء أي فائض ، أو زائد منها في صفائح الزبالة أمر مستهجن من قبل حضارتنا الغراء .. فكما أن ذلك يفتح الطريق أمام خسائر فادحة ، فإنه يزيد عدد الذين يبحثون عن هذه الأطعمة فلا يجدونها .. وما نطالعه من أرقام علي صفحات الجرائد لإستهلاكنا من الخبز ، والحبوب أمر مؤسف. ووصلت إلي أرقام مخيفة في كل العالم الإسلامي.. ولقد كان من العادات ، والأعراف الجميلة التي تربينا عليها في الماضي القريب أنه لا تلقي كسرة خبز واحدة في القمامة ، وإذا ما صادف أحدنا كسرة خبز صغيرة علي الأرض وهو يسير ، كان يُقبلها بشفتيه ، ثم يضعها علي رأسه ، وبعد

ذلك يضعها في مكان لا تصل إليه قدم إنسان أو حيوان ، بل في مكان يمكن للطير أن يراها فيأكلها ..

لم تكن الاسر تُلقى بالخبز البائت جانباً ، بل كانت تتفنن في طرق جديدة لإستخدامه .. كان تأكله في الشوربة ، أو الحساء أو فى اللبن .أو تطريه علي البخار وتأكله .. أو يضاف إلي الكفتة ... أو يجفف ويدق .. أو يضاف إلي بعض الحلويات .. أو يُخمر وتُصنع منه الجعة والبوظة ..

كما كانت الأسر تقوم في مواسم كثرة الخضار بتجفيفه وحفظه ، وعمل الصلصات ، أو المربات منه .. بل حتي في الإستخدام اليومي ؛ لم تكن تلقي بالقشر جانباً ، بل تحفظه حتي تُطعم به الطيور ، أو بعض الحيوانات ، وفى القري كانت تدفن هذه البقايا حتي تتحول إلي سماد .. فما أحوجنا إلي العودة إلي هذه القيم النبيلة ، وتأصيلها في نفوس الأطفال الصغار ، وتعويدهم علي الإدخار النقدي ، بعودة نشر الحصّالات الصغيرة ، وعدم الإسراف في الطعام ، وإحترام لقمة الخبز ، ومعرفة القيمة النقدية ، والجهد الذي يبذل للوصول إليها ، والأمثلة الشعبية .. والأقوال المأثورة التي تحض علي ذلك كثيرة ، ومتنوعة .

* * *

ترشيد استهلاك المياه ، والكهرباء
والطاقة عامـة

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ... ﴾

فالماء نعمة أنعم الله بها علي كل مخلوقاته .. وإذا كان الإسلام . كما سبقت الإشارة – قد حارب الإسراف بكل أشكاله ، وأنواعه ، ودعي إلي الوسطية حتي في العبادة .. ولذلك أوصي الإسلام بعدم الإسراف في إستخدام الماء حتي في الوضوء وغسل جسد المتوفي ..

ولما كان الماء يتم جلبه من مسافات بعيدة ، وبواسطه طاقة ، فإن الإسراف في إستخدامه يعني الإسراف في إستخدام الطاقة أيضاً ..

ويمكن الحد من الإسراف في استخدام المياه بأشكال شتي ؛ في الوضوء ، وفي الإستحمام ، وعند حلاقة الذقن ، واستخدام فرشة الأسنان .. وفى كل الإستخدامات المنزلية ، وغسل السيارات ، وسلالم العمارات .. وري الحدائق ، ورش الشوارع .. فكل متر من المياة يتكلف الكثير حتي يتم تنقيته .. وإذا ما تم الترشيد فإن ذلك يعني الترشيد في نفقات الدوله ..

أما في الزراعات المختلفة فلابد من تغيير نمط الري في الأراضي الزراعية .. لابد من إستخدام الأساليب الحديثة كالرش ، أو التنقيط ، أو الترشيح بدلاً من الري بالغمر المعتداد عليه في معظم البلدان العربية ، والإسلامية ..

نفس المنطق يمكن قوله عند إستخدام الطاقة الكهربائية ... صحيح الطاقة الكهربائية أصبحت حق من حقوق المواطن ... وعلي الدولة أن تبذل قصاري جهدها في توفير الماء الصالح ، والطاقة اللازمة ... ولكن علي المواطنين أن يرشدوا إستخدامهم للماء ، والكهرباء .. فلا يتركوا لمبات مضاءة في النهار .. ولا يسرفوا في إستخدام المكيفات ، والمعدات التي تُدار بالطاقة الكهربائية ..

* * *

ترشيد أستخدام الوقت ، وإحترام عنصر الزمن

- الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ..
- لا تترك عمل اليوم إلى الغد ..
- الوقت .. نقد ..
- الثعلب الجوَّال خير من الأسد الرابض ..

من هذا يتضح ان الزمن ، أو الوقت هو قيمة غالية الثمن .. فالوقت الذي نُضيِّعه لا يمكن تحت اي ظروف إسترجاعه .. ومن هنا لابد ان نُحسن إستخدام كل لحظة من لحظات حياتنا ..

فما أطال النوم عمراً ... و لا قصَّر في الآعمار طول السهر

على حد قول الشاعر العربي ..

وللحد من الإسراف ، و ضياع الوقت فلابد من التوائم مع قواعد المحادثة .. و أن يكون لكل مقام مقال ، وأن نحترم المواعيد في العمل اليومي سواء في البداية ، والإنصراف .. وألا نسرف في إستخدام الهاتف خاصة في المصالح الحكومية .. وأن نغرس في أطفالنا إحترام عنصر الوقت وتقديسه وأن يلتزموا بالمواعيد المحددة لبداية الأنشطة ، وعند إنتهاء العمل في هذه الأنشطة المشتركة .. وأن نعوِّدهم علي القراءة المنظمة ، والمنتظمة ، والسريعة في نفس الوقت حفاظاً علي الوقت ..

حماية المال العام ، وترشيد استخدامه

المال العام ، ملك مشترك لكل المواطنين ، تم شراءه من أموال الضرائب التي يدفعها المواطنون جميعاً .. وما لم نُحسن إستخدام هذا المال العام ، ومالم نرشد استخدام هذا المال العام ، ، فإن تعويضه يُصبح أمراً صعباً ، أو يترتب علي إستعواضه جمع ضرائب جديدة .. أو صرف ميزانيات إضافية . وكلها أمور تنعكس علي المواطن بشكل سيء

ويمكن تعداد اشكال سوء إستخدام المال العام في مدارسنا ، ومعاهدنا ، وجامعاتنا.. ووسائل المواصلات العامة . ونظرة واحدة علي المباني العامة تكفي لبيان ما نود أن نقوله ..

لابد أن ننمى في أطفالنا إحترام المال العام ، أو المشترك في مدارسهم .. وفى الحدائق ، والمتنزهات ، والسينما ، والملاهي العامة . لابد من ان نُعَمقٌ في وجدانهم الحفاظ علي الزهور ، والورود ، والأشجار في الحدائق ، والطرق ، والشوارع .. بل نغرس في نفوسهم تربية الزهور في منازلهم .. وسوف نتناول ذلك عند الحديث عن حماية البيئة ..

محاربة الإسراف فى استخدام الورق

إن المادة الخام الأساسية في صناعة الورق هي مادة السليلوز ، وهي تُستخرج من الأشجار ، ومعني الإسراف في إستخدام الورق ، هو حكم بالإعدام علي نوع من انواع الشجر .. وكل حكم بالإعدام علي شجرة ، معني ذلك حكم علينا بالحرمان من إستنشاق هواء نقي في بقعة ما من بقاع قريتنا التي نعيش علي ربواتها .. ومن المؤسف له اننا نشاهد إسرافاً ملحوظاً في الورق بشتي أنواعه .. وأن المؤسسات العامة تبالغ في استخدام الأنواع الممتازة حتي عند القيام بعمل مسودات للأعمال الكتابية اليومية .. وأن بعض الموظفين يجففون آياديهم حتي بعد الوضوء بالورق الأبيض ، وفي مكاتبات لاهية .. أو إستخدام الورق الفولسكاب = الورق الكبير ، في مكاتبات قصيرة للغاية . إن كل ذلك شكل من أشكال الإسراف المبالغ فيه ، بل يمكن القول أنه يدخل ضمن الإسراف المحرم ..

إننا نري أنه يمكن ترشيد استخدام الورق علي النحو التالي :

– البعد عن إستخدام الورق الفاخر في العمليات الأُحادية ، والتي يستخدم فيها الورق لمرة واحدة ..

– إستخدام الكتب الدراسية لعدة سنوات متتالية .. وعدم التسرع في تغيير المناهج التي يترتب عليها طبعات جديدة للكتب الدراسية ..

– إستخدام التقنية الحديثة في الطباعة ، والتي يترتب عليها تصغير الحجم والإبعاد للحد من إستخدام خامة الورق .

– إن إخراج الكتاب الدراسي بشكل مقبول ، لا يعني الإسراف في إستخدام

الورق .. وترك أجزاء كبيرة من الصفحات بيضاء .. وإستخدام الورق الفاخر في التجليد ..

– يجب أن تتعاون شتي الهيئات ، والوزارات ، والمؤسسات الصحفية في إعادة إستخدام الورق المرتجع .. وأن تجمع أوراق إجابة الطلاب فى الشهادات العامة ، والإمتحانات الجامعية ، وأن تُعاد بعد سنوات محددة لمصانع الورق ، لإعادة تنظيفها ، وتصنيعها من جديد ..

– أن تتعود ربات البيوت علي وضع المخلفات الورقية في أكياس خاصة ، وأن تُجمع مستقلة من البيوت ، وتُعاد إلي المصانع لإعادة تصنيعها ، وتطويع إستخدامها في أشكال أخري ..

* * *

أعرافاً جديدة نُحبذها
ولكن......نُحذر من طغيانها...

زاد الإتصال بالغرب منذ بدايات القرن التاسع عشر ، في كل بلدان العالم الإسلامي ، وخاصة بعد الكبوة الحضارية التي تعرض لها ... وتسارع هذا الإتصال في القرن العشرين .... وأصبح النموذج الغربي في الحضارة هو الهدف المنشود منذ أن أصبح العالم كله قرية كونية صغيرة ..

نحن لا نعارض الحضارة الغربية ، ولا نصارعها فحضارتنا أعطت .. وما زالت تُعطي .. ونحن لا نؤمن بصراع الحضارات ، بل نؤمن بتكاملها ، وتعاونها و بالتبادل فيما بينهم .. ولكن نرفض بكل قوة سيطرة الثقافة الغربية .. نرفض ثقافة الجنز والجاز .. والشذوذ .. والهوت دوج ... ومن هذه الأعراف التي نحبذها .. ولكن نحذر من طغيانها .

أ- عيد رأس السنة الميلادية:

منذ أن بدأت بعض بلدان الشرق الإسلامي ، تأخذ بالتقويم الميلادي ، قد أصبح شهر يناير هو بداية السنة ، كما هو الحال في البلدان الغربية .. ومنذ نهاية يوم ٣١ ديسمبر ، وطوال يوم الأول من يناير ومظاهر الإحتفال بالسنة الجديدة تبدو واضحة في كل المدن الكبيرة ... بل أن العديد من فنادقها ، ومطاعمها ، وكازينوهاتها تُبادر منذ منتصف شهر ديسمبر في تزيين شجرة الميلاد ... والترويج لبرامج "بابا نويل" والإسراف في شراء الهدايا .. وآصناف المشروبات .. والماكولات.. والبرامج الترفيهية الخليعة ..

نحن لسنا ضد الإحتفال بميلاد السيد المسيح ، عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام .. بل السيد المسيح مكرم تكريماً يليق بمقامه في القرآن الكريم ونحن كمسلمين ، ومؤمنين مطالبين بالايمان بالكتب ، والرسل المنزلة من قبل الله سبحانه ..

ونحن نظن ظناً أكيداً بانه لا علاقة بميلاد السيد المسيح ، و بابا نويل الذي يُحتفل به في العالم الغربي ، أي أن بابا نويل ثقافة غربية ، وليس حضارة مسيحية ...

ويجب أن نفرق بين الإحتفال بـ "بابا نويل" الذي يبدأ منذ الخامس والعشرين من ديسمبر ، وتعتقد بعض الطوائف المسيحية أن سيدنا عيسي عليه السلام قد وُلِد في هذا التاريخ ... وبين الإحتفال بعيد رأس السنة الميلادية .. نحن لا نرفض الإحتفال ولكن نرفض ما يصاحب الإحتفال من مجون ، وخمر وإسراف ، وإبتذال ..

نحن لا نمانع من مشاركة إخواننا المسيحين في أفراحهم ، وأتراحهم .. ولكن نمانع في أن تتشبه بهم بعض الأسر المسلمة ، فتقيم شجرة الميلاد .. وترسم بابا نويل .. وتعد أطعمة لحم الخنزير .. وزجاجات الخمر المحرمة ..

نحن نرفض ما يتم في ليلة رأس السنة الميلادية ، ويُنسب زوراً وبهتاناً للديانة المسيحية بل هذه ثقافة غربية نرفضها .. بل يجب أن نقاومها .. نحن مع محاسبة النفس فيما أقترفت في عام مضي ، ومع التخطيط لما يجب عمله في العام القادم .. نحن مع التهادي فيما بيننا .. وتهنئة بعضنا البعض ، كما يحدث في كل المناسبات السعيدة ... ولكننا ضد الدعاية لـ "بابا نويل " فهو بطل أسطوري مسيحي يقدم الهدايا للأطفال المسيحين في هذه الليلة ... فإذا كانت الحضارة الغربية تسمح لأبناءها للإحتفال والإحتفاء بأبطالنا ، فنحن علي أستعداد لإعادة النظر فيما نقول....

ب- أكاليل الزهور:

الزهور والورود ، والفراشات بألوانها البديعة ، مظهر من مظاهر الإبداع الإلهي ، المعجز ... وسمة من سمات الجمال ، التي يجب أن نتسابق في الإكثار منها .. ونجعلها تطل علينا من كل زاوية ، ومن كل نافذة ، ومن كل شرفة من شرفات بيوتنا ، ومنازلنا .. يجب أن نجعلها غرساً نحرص علي غرسه ، ولوكنا في النزع الأخير .. تطبيقاً لمفهوم الحديث النبوي :

لهذا فنحن مع الزهور في الحدائق ، والمتنزهات ، والطرقات .. وحدائق المدارس والمعاهد ، والجامعات وفي حدائق المنازل ، والمصانع ، والشركات .. نحن مع الزهور في الفنادق .. والمكاتب .. والشواطيء ..

ولكننا نحذر من الإسراف في إستخدام أكاليل الزهور في الجنازات ..

والإحتفالات .. وحفلات الخطوبة ، والأفراح ، والزفاف ، ويمكن الإستعاضة عنها ببوكيهات بسيطة للإعراب عن المشاركة .. والتبرع بثمن هذه الأكاليل لرعاية الأطفال المعوقين ، أو اليتامي أو اللقطاء ... أو في أعمال الخير العامة

إذا كان لابد من إرسال الزهور ، فيمكن إستبدال الأكاليل الكبيرة بالمزهريات وبوكيهات بسيطة ، تكفي للتعبير عن المشاركة الوجدانية ، أو الإستعاضة بالزهور ، والورود الصناعية لديمومتها .. والإحتفاظ بالزهور ، والورود الطبيعية للجمال البيئي .. ولو إستبدلنا الإكليل بالزهرية ، أو بالأسبات أو بالأصص الطبيعية لساعدنا دون أن ندري بنشر الخضرة .. والجمال .. والبيئة النقية ..

* * *

قال الله تعالي ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ (١) ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾(٢) وقال رسول الله ﷺ « **كفي بالموت واعظاً وكفي بالموت مفرقاً** » كما قال ﷺ « **الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمني علي الله** » .

الموت ، هو النهاية الطبيعية للحياة ، والإنسان كسائر المخلوقات ؛ يولد ويكبر ثم يموت . ولجميع الامم والشعوب ثقافتها ، وأعرافها ، وعاداتها وتقاليدها المتعلقة بآخر صفحة من صفحات الحياة الدنيا ؛ وهو الموت . .

وقد أجمعت ثقافات الأمم علي أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمن معلوم ، ولا مرض معلوم ، وذلك ليكون المرء علي أهبة من ذلك مستعداً لذلك ... وحضارتنا تدعو للعمل للدنيا ، والآخرة معاً . .

(إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . .)

فالموت علينا حق . . وهو الحقيقة المأكدة في هذه الحياة الدنيا . . ولقد رسمت لنا القيم الدينية ، والأعراف الإجتماعية ما يجب عمله حيال ذلك ، وحددت لنا ما ينبغي عمله من لدن المرض إلي الوفاة ؟

١- وجوب الصبر عند البلاء . . ٢- إستحباب التداوي ؛ فإن الله سبحانه وتعالي لم ينزل داء إلا انزل له دواء فنداوي كما قال النبي المصطفي ﷺ .

٣- كما يجوز للمسلم الإسترقاء بالآيات القرآنية ، والادعية النبوية ، والكلام الطيب ... وحرّم تعليق التمائم وإستعمال العزائم ... وأجاز لنا استطباب الكافر ، والمرأة . . وأتخاذ المحاجز الصحية . . ووجوب عيادة المريض لقوله ﷺ « **أطعموا الجائع ، وعودوا المريض وفكّوا العاني - الأسير** » ووجوب حسن الظن بالله سبحانه

(١) سورة آل عمران : آية ١٢٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

وتعالي حال المرض ، وانه سبحانه وتعالي سوف يرحمه ، ولا يعذبه ، يغفر له ، ولا يؤاخذه ، وانه واسع المغفرة ، ورحمته وسعت كل شيء .. لقوله ﷺ **« ولا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »** كما ينبغي علينا تلقين الميت عند إحتضاره .. لقوله ﷺ **« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله »** وقوله ﷺ **« من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »** ... وينبغي توجيه المحتضر إلي القبلة مضطجعاً علي شقه الأيمن ، وإن لم يمكن فمستلقياً علي ظهره ، ورجلاه إلي القبلة . وإن اشتدت عليه وبه سكرات الموت قرئت عليه سورة (يس) رجاء أن يُخفف الله تعالي عنه ببركتها لقوله ﷺ **« إقرأوا يس علي موتاكم »** .. فإذا فاضت روح المسلم وجب تغميض عينيه ، وستره بغطاء ، وأن لا يُقال عنده إلا خيراً (اللّهم اغفر له .. اللّهم أرحمه) لقوله ﷺ **« إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤَمنّون علي ما تقولون »** ..

أما فيما ينبغي عمله من الوفاة حتي الدفن ، فقد حددته القيم الإسلامية علي النحو التالي :

يُستحب أن تعلن وفاة المسلم في أقربائه ، وأصدقائه ، والصالحين من أهل بلدة ليحضروا جنازته .. وحرَّم الإسلام النواح ، وأجاز البكاء ، إستناداً علي ما قام به الحبيب المصطفي ﷺ لما توفي ولده ابراهيم حيث قال **« إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون »** وبكي ﷺ لموت أمامه بنت إبنته زينب ، فقيل له يا رسول الله ، أتبكي أو لم تنه عن البكاء؟ فقال **« إنما هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »**.

وحرَّم الإسلام الحداد أكثر من ثلاثة أيام إلا علي الزوجة ؛ فإنها تحد وجوباً أربعة أشهر وعشراً . لقوله ﷺ **« ولا تحد المرأة علي ميت فوق ثلاث إلا علي زوج ، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً .. »** كما ينبغي المبادرة بقضاء ديون الميت إن كان عليه ديون ، إذا كان الرسول ﷺ يمتنع عن الصلاة علي صاحب الدين حتي يقضي دينه ، وقال ﷺ **« نفس المؤمن معلقة بدينه حتي يقضي عنه »** وينبغي لأهل الميت أن يلزموا الصبر في هذه الساعة بالخصوص ، لقوله ﷺ **« إنما الصبر عند الصدمة الاولي »** وأن يكثروا من الدعاء والإسترجاع لقوله ﷺ **« ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا اليه**

راجعون ، **اللهم أجُرْني في مصيبتي وآخلف لي خير منها ، إلا آجره الله تعالي في مصيبته وآخلف له خير منها ..»** .

ووجوب تغسيل المسلم صغيراً أو كبيراً عند مماته وسواء أكان جسده كاملاً أو بعضه فقط .. والذي لا يغسل من موتي المسلمين هو شهيد المعركة الذي سقط شهيداً بأيدي الكفار ، في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالي لقوله ﷺ **«لا تغسلوهم فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامه..»** .

كما يجب ان يكفَّن إذا غُسّل ، بما يستر سائر جسده ، ويستحب ان يكون الكفن ابيضاً ، نظيفاً ، جديداً كان أو قديماً ، لقوله ﷺ **«ألبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم..»** كما يستحب أن يُجَمَّر الكفن – بالعود – ويحرم أن يكفن المسلم في ثوب من حرير ، لأنه إسراف ، ومغالاة نهي عنهما الشارع ...

والصلاة علي المسلم إذا مات فرض كفاية كغسله وكفنه ، ودفنه إذا قام بها بعض المسلمين سقط عن الباقين ، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي علي أموات المسلمين ... ويشترط للصلاة علي الجنازة ما يشترط للصلاة من طهارة الحدث ، والخبث ، وستر العورة ، وإستقبال القبلة . ومن فرضها القيام للقادر عليه والنية ، وقراءة الفاتحة ، أو الحمد والثناء علي الله ، والصلاة والسلام علي النبي ﷺ والتكبيرات الأربع ، والدعاء والسلام .

وكيفية صلاة الجنازة ، وهي أن توضع الجنازة قبله ويقف الإمام والناس وراءه ثلاثة صفوف فاكثر وتجوز الصلاة علي من دفن ، ولم يصل عليه وهو في قبره كما يصلي علي الغائب ولو بعدت المسافة .

ومن السنة تشييع الجنازة ، وهو الخروج معها ، وذلك لقوله ﷺ **«عودوا المريض وامشوا في الجنازة تذكركم الآخرة»** كما يستحب المشي أمامها ، إذا كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يمشون أمام الجنازة .. ويكره خروج النساء مع الجنازة كما يكره الجلوس قبل ان توضع الجنازة علي الآعناق ، لقوله ﷺ **«إذا اتبعتم الجنازة فلا تجلسوا حتي توضع بالأرض»** .

الدفـن :

وهو مواراة الجسد كاملاً بالتراب ، وهو فرض كفاية ، لقوله تعالي : ﴿ ثم أماته فاقبره ﴾ .

وأحكام الدفـن :

١- أن يعمق القبر تعميقاً يمنع وصول السباع ، والطير إلي الميت ، ويحجب رائحته أن تخرج فتؤذي . . .

٢- أن يلحد في القبر ، إذ اللحد أفضل . . واللحد هو الحفر في جنب القبر الأيمن ، والشق ، هو الحفر في وسط القبر .

٣- يُستحب لمن حضر الدفن أن يحثو ثلاث حثيات من التراب بيده فيرمي بها في القبر من جهة رأس الميت .

٤- أن يدخل الميت من مؤخر القبر إذا تيسر ذلك ، وأن يوجه إلي القبلة موضوعاً علي جنبه الأيمن . وأن تُحل أربطة كفنه ، وأن يقول واضعه بسم الله وعلي مله رسول الله ﷺ لفعل الرسول ﷺ ذلك . .

٥- أن يغطي قبر المرأة بثوب أثناء وضعها في قبرها . . .

أما فيما ينبغي بعد الدفـن :

١- الإستغفار للميت ، والدعاء له ، فيستحب لمن حضر الدفن أن يستغفر للميت ، وأن يسأل له التثبيت في المسألة ، لقوله ﷺ **«إستغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل »** .

٢- تسطيح القبر أو تسويته ؛ فينبغى أن يسوي القبر بالأرض ، ولا باس بوضع العلامة علي القبر ليُعرف بها من حجر ، ونحوها . .

٣- يُحرم تجصيص القبر ، أو البناء عليه ، كما يكره للمسلم ان يجلس علي قبر اخيه المسلم أو يطأه برجله ، لقوله ﷺ « لا تجلسوا علي القبور ولا تصلوا إليها . . » .

٤- كما يُحرم بناء المساجد علي القبور ، وإتخاذ السرج عليها . . وكذلك يُحرم نبش

القبور ، ونقل رفات آهلها ، أو إخراج أصحابها منها إلا لضرورة أكيدة ؛ كأن يدفن بلا غسل ، كما يكره نقل الذي لم يدفن بعد من بلد إلي بلد ، إلا إذا كان المنقول إليه أحد الحرمين الشريفين ، مكة ، أو المدينة ، أو بيت المقدس..

٥- استحباب التعزية ؛ فيستحب تعزية أهل الميت ، رجالاً كانوا أو نساءً قبل الدفن وبعده إلي ثلاثة أيام إلا أن يكون أحد المعزين غائباً أو بعيداً فلا بأس إن تأخرت..

والتعزية هي التصبير ، وحمل أهل الميت علي العزاء ، والصبر بذكر ما يهون عليهم المصاب ، ويخفف عنهم شدة الحزن ..

ولا تعني التعزية ، إقامة المآدب ، والسرادقات ، وصرف الأموال من أجل المباهاة والفخر .. إذا السلف الصالح لم يكونوا يجتمعون في البيوت ، بل كان يعزِّي بعضهم بعضاً في المقبرة .. وعند الملاقاة في أي مكان .. ولا بأس أن يقصده الي محلة إن لم يتمكن من مقابلته في المقبرة أو الشارع ، إذ المحدث هو الإجتماع الخاص ، المعدإعداداً متعمداً .

ويستحب إصطناع المعروف لاهل الميت ، كأن يُصنع لهم الطعام ، ويقوم بذلك الأقارب أو الجيران ، يوم الوفاة ..

كما يستحب الصدقة علي الميت ، وقراءة القرآن في المسجد أو في البيت ، فإذا فرغ من تلاوته سأل الله تعالي للميت المغفرة والرحمة ، متوسلاً الي الله عز وجل بتلك التلاوة التي تلاها من كتاب الله تعالي ...

وزيارة القبور مستحبة لأنها تُذكر بالآخرة ، وتنفع الميت بالدعاء ، والإستغفار له.. ومما يقوله الزائر لقبور المسلمين ، ما كان رسول الله ﷺ يقول إذا زار (البقيع) وهو « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم فرطنا ونحن لكم تُبع ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم أغفر لهم ، اللهم إرحمهم** »

أما البدع والمحدثات التي أنتشرت بين المسلمين ويجب الأبتعاد عنها فهي :

أ - بدعة المآتم ، وهذا مما ابتدعه الناس منذ فترات غلبة الجهل من الإجتماع في

السرداقات ، والبيوت ، وإقامة المآدب ، وصرف الأموال علي كبار المقرئين من أجل المباهاة والفخر .. إذ السلف الصـالح لم يكونوا يجتمعون في البيوت ، والسرادقات لإقامة المآتم ..

ب- ومن البدع المنكره ، والتي يجب تركها فوراً هى إجتماع القراء في بيت المتوفي علي القراءة ، وإهداؤهم ثواب قراءتهم للميت ، وإعطاؤهم أجراً علي ذلك من قبل أهل الميت .. فهذه أيضاً بدعة لابد من دعوة الأخوة المسلمين إلي إجتنابها والإبتعاد عنها ، إذا لم يعرفها سلف هذه الأمة الصالح ولم يقل بها آهل القرون المفضلة .. وما لم يكن لأول هذه الأمة ديناً ، لم يكن لآخرها ديناً بحال من الأحوال ، وكذلك لم يختلف أهل العلم في **حرمة** كثرة تردد المرأة علي المقابر لزيارتها ، وذلك لقوله ﷺ **«لعن الله زوارات القبور»** إذا كنا في الصفحات السابقة قد تناولنا ما ينبغي من لدن المرض ، وحتي الوفاة ، وما ينبغي من الوفاة حتي الدفن ، وما ينبغي علينا عمله بعد الدفن من الوجهة الدينية فما أحوجنا في الصفحات التالية أن نتعرف عليَ بعضٍ من العادات ، والآعراف ، التي تُصاحب هذه المراحل التي تحدثنا عنها ..

عندما نقلب صفحات التراث الشعبي للأمة الإسلامية نجدها إلي حدٍ بعيد قد تشابهت عاداتها ، وآعرافها ، وتراثها حيال الموت .. البعض تطابق تماماً ، والبعض فرض عليه التراث ، والتقاليد بعض العادات التي لا يقرها الدين .. وهناك الكثير من المحاولات لتصحيحها ..

الإنسان المسلم، يتلقي حقيقة الموت كالمولد تماماً شيئاً طبيعياً .. يشعر بضرورة الإستعداد له في أي لحظة فالموت يأتي بغتتة، وبدون سابق إنذار ، فليست ساعة الموت محددة، ومعلومة لدي البشر ، وإن كانت محددة ، ومعلومة للخالق سبحانه وتعالي ؛

- لكل آجل كتاب ...
- أكثروا من ذكر هادم اللذات ...
- أذكر الموت هادم اللذات .. وتجهز لمصرع سوف يأتي ...
- واذكر الموت تجد راحة .. في اذكار الموت تقصير الأمل ...
- المكتوب علي الجبين لازم تشوفه العين ...

وقد فرق التراث بين الموت ، والإستشهاد ، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون حيث يقول الله سبحانه وتعالي ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] ولما كانت العقيدة الإسلامية قد رسخت في أذهان المسلمين؛ أن الشهداء مأواهم الجنة خالدين فيها ، لذلك فالأمهات المسلمات يُلقن أبناءهم (إما غازي أو شهيد . .).

ومنذ ان يتخطي المسلم أواسط العمر ، ويدخل في مرحلة الشيخوخة ، والكهولة ، يزداد إستعداده لملاقاة الموت ، ويستعد له ، البعض يشتري الكفن ، ويدخر مصاريف الجنازة ، حتي وصل الأمر في بعض المجتمعات إيداعها في البنوك ، ومَنْ منا لايسعي ، أو يحرص علي إعداد مدفنه ، أو مدفن للعائلة كلها . . وفي المدن إرتفعت أسعار الأراضي المخصصة لذلك إرتفاعاً ملحوظاً ، وازدادت أعداد من يعدّون وصاياهم ، بل اللوحات التي توضع علي المقابر . . وشواهد القبور . . والوصية ربما تكون مكتوبة ، أو يكتفي البعض بقولها شفاهة أمام من يثق في قدرتهم علي تحقيقها . . ويركز الواصى فى وصيته علي ما عليه من ديون أو ماله لدي الآخرين . . . ويوضح في وصيته كيفية الدفن ، والمكان الذي يفضل أن يدفن فيه . . . ويوصي الأبناء ببعضهم بعضا بحسن المعاملة ، ورعاية الأم ، أو الزوجة من بعده . . وأن يراعوا فيما بينهم صلة الرحم . . . ويبيّن لهم كيفية التصرف في الميراث ، إن كانت له طلبات ، أو وجهات نظر معينة . . أو يتركها للشكل الشرعى .

تختلف تركيا عن العالم العربي ، فهي تطبق القانون المدني في هذا الصدد . . بحيث تقسم الثروة إلي ثلاثة اقسام ؛ ثلث لصاحب الثروة يتصرف فيها حسب متطلبات يراها هو شخصياً . . . ويمكنه ان يخصص منه أموالاً للتصدق منها علي ما فاته من صيام أو صلاة وتوزع علي الفقراء والمساكين . . ويمكنه أن يهب منها

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٦٩ -١٧١ .

للمؤسسات الخيرية .. وهذا الثلث لا يفي بالمتطلبات الدينية .. ويوزع الميراث بالتساوي بين الأبناء ، دون تفرقة بين الإناث ، والذكور ، فليس للذكر مثل حظ الأنثيين مجال في القانون المدني .

كما تتبع إيران ، والقسم الشيعي في العراق ، ودول الخليج ، والمنطقة الشرقية في الجزيرة ، وفي لبنان المذهب الشيعي في توزيع الميراث ..

إن الإنسان لا يدري متي ، وأين ، وكيف يموت ؟ **﴿ولا تدري نفس بأي أرض تموت﴾** وبالرغم من ذلك فبعض الأمراض تكون نذيراً بإقتراب ساعة الرحيل ، وبعض الأطباء – في مثل هذه الحالات – يوحون لأهل المريض بما هو متوقع .. وفي حالات مرض الموت يسمح الأطباء للآقارب ، والأصدقاء ، ورفقاء العمل بالزيارة ، والرؤية الأخيرة ... وفي مثل هذه الزيارة التي تُعتبر زيارة وداع ، يطلب المريض من الآهل ومن الآقارب ، ومن زملاء العمل أن يسامحوه .. أن يدعوا له .. ويطلب الزوار له الخير ، والشفاء ، وطول العمر ، وزوال المحنة .. ويحرص أهل المريض الذي لا يُرجي شفاءه علي عدم تركه وحيداً في هذه اللحظات الحرجة ..

إذا ما بدت علامات الموت علي المريض ، فيحاول الأهل أن يوضئونه ، ويرقدونه علي جنبه الأيمن ، ويوجهونه ناحية القبلة ... يُقطرون في فمه بعض قطرات من الماء ، وإذا توفر ماء زمزم يحرص الأهل أن تكون هذه القطرات منه .. ويقوم الأهل بقراءة سورة "يس" وسورة "الرعد" .. وكثيراً ما يحاول أحد المقربين منه أن يذكر كلمتي الشهادة ، ويُطلب من المحتضر أن يذكرها .. ويكون ذلك بصوت هادىء .. رقيق .. ولا يكون في هذا التلقين شيئاً من الجبر ، أو الإجبار ..

وما أن يلفظ النفس الأخير ، حتي تغمض عينيه ويُزم فكه الأسفل إلي آعلا ، وتوضع ذراعيه ، ويديه بجوار جنبيه .. ويرقد متوجهاً نحو القبلة .. ويغطي بغطاء طاهر ، ونظيف ..

تحرص بعض المجتمعات أن تضع فوق بطن المتوفي سكيناً ، أو مقصاً ، أو قطعة من الحديد حتي لا تنتفخ بطنه في بعض المعتقدات .

تُفتح النوافذ .. وتوقد الأنوار ، تُبخر الحجرة ، وغيرها من الحجرات بالبخور ،

أو تُنشر الروائح الطيبة .. لا يتم النواح ، أو البكاء بصوت مرتفع بجوار المتوفي .. فليس منّا مَنْ لطم الخدود ، أو شق الجيوب ، ودعي بدعوي الجاهلية .. فهذا أمر صريح من الرسول ﷺ بتحريم ذلك .. لا يقرأ القرآن بجوار المتوفي مَنْ ليس طاهراً أو علي وضوء .. بل يُفضل أن يتلقاه الإمام أو المؤذن ، أو أحد الآقارب الصالحين ..

(إكرام الميت دفنه) من هذا المنطلق فإنه يجب الإسراع بالدفن ، ومواراته التراب في أسرع وقت ممكن .. فلو كانت الوفاة صباحاً ، فيجب أن يصلي عليه ظهراً ، وإن كانت الوفاة ظهراً ، فيصلي عليه العصر وإذا كانت الوفاة بعد ذلك .. فيتم الدفن في اليوم التالي ، ولابد أن تتم الجنازة ، والدفن نهاراً .. ولكننا رأينا في الأيام الأخيرة حفظ بعض الموتي في ثلاجات المشارح لبعض الأيام حتي يحضر ذويهم المقربين .

ما أن تتم الوفاة ؛ حتي يُسارع الأهل بإعلان خبر الوفاة ، في الوقت الذي تتم فيه إجراءات الدفن .

وفي المدن الإسلامية الكبيرة ، بدأت تنتشر الجمعيات الخيرية جنباً إلي جنب مع الحانوتية للقيام بعمليات الدفن ، وبكل ما يتعلق بذلك من إجراءات . وهذه الجمعيات تقوم بهذه الأعمال نظير مبالغ رمزية ، وبعضها يقوم بها بالمجان تماماً .. لابد من توثيق عملية الوفاة بتقرير من مفتش الصحة في المنطقة قبل أن يتم الدفن ..

لابد من غسل المتوفي ، أو تغسيله قبل الدفن ؛ ويقوم بهذه المهمة إمام المنطقة ، أو بعض ذوي الخبرة ، ويُساعد المغسِّل البعض بصب الماء ، ويغسِّل الرجل أو الصبي البالغ رجلاً ، أما إذا كانت المتوفاة سيدة ، فيغسلها سيدة .. أما الشهداء فلا يُغسَّلون، بل يدفنون بدمائهم ، وملابسهم .. وفي المستشفيات ، وبعض الآحياء قد أُعدَّت أماكن خاصة بالغُسل .. وإذا كان التغسيل في المنازل ، فيتم ذلك فوق لوح من الخشب ، معد خصيصاً لذلك ، يفضل أن تُنثر الروائح الذكية ؛ كماء الورد ، أو زيت الورد ، أو البلسان ، أو الكافور ، أو المسك ، والعنبر ، أو ماء القرنفل فوق الجسد ، أو الكفن بعد إتمام عملية الغُسل ، حتي تفوح من الجسد الروائح الطيبة . ولو توفر ماء زمزم فيفضله الأهل عن سواه ..

يتم تكفين المتوفي بعد تغسيله ، وتجفيفه جيداً إذا توفرت الإمكانات ، يفرش تحت

المكفن كليماً ، أو سجادة ، أو بطانية ، وإذا لم تتوفر هذه الخامات ، فيوضع بالكفن في التابوت لإحضاره إلي مكان الصلاة ، تحرص بعض المجتمعات أن تُغطي التابوت بغطاء أخضر ، أو بمفرش أخضر اللون ، مكتوب عليه بعض الآيات القرآنية ، أو دعاء مقبول ، ومتعارف عليه بين أهل المنطقة .. كما تحرص بعض الدول بأن تلف التابوت بالعلم القومي إذا كان المتوفي شهيداً .. أو مَمنْ قدموا خدمات جليلة لأوطانهم ..

ويمكن أن يُغطي التابوت بسجادة أو كليم ، أو سجادة صلاة .. ثم تُترك هذه السجادة ، أو الكليم هبة للجامع ، أو المسجد الذي يتم فيه الصلاة علي المتوفي .. كما تحرص بعض التجمعات علي وضع شارة في مقدمة التابوت لتبُين نوع المتوفي ؛ إن كان رجلاً أو أنثي .. كان توضع عمامة ، أو طربوش ، أو إيشارب وما شابه ذلك مما يوحي بنوع المتوفي .. أما إذا كانت المتوفاة فتاة في عمر الزواج ؛ فتوضع طرحة عروس علي مقدمه التابوت .

من البدع التي بدأت تطفو علي سطح الحياة الإجتماعية هو وضع أكاليل الزهور حول التابوت عند صلاة الجنازة .. حبذا ، لو تم إستبدال هذه الآكاليل بأسبات صغيرة، أو ورود بسيطة وأن يتم التبرع بقيمة هذه الآكاليل للجمعيات الخيرية ، أو للآوقاف التي تهتم بالمرضي ، أو اليتامي ، أو المعوقين .. ويكون ذلك تدعيماً جديداً لما بدأ ينتشربين بعض الأسر ألا وهو التبرع بملابس المتوفي أو بعض حاجياته الشخصية .

لم تشترط بعض التجمعات إقامة صلاة الجنازة في الجوامع ، أو المساجد ، بل يمكن إقامتها في أي مكان خارج الجامع ، أو المسجد .. إذا أُقيمت الصلاة في الجامع فيحبذ إنضمام الموجودون في الجامع إلي صلاة الجنازة .. ولا يجوز الصلاة علي السقط ، أو علي الجنين الذي يولد ميتاً .. ولكن يُسمي ، ويغسَّل ، ثم يُلف بقطعة قماش ، ويدفن . أما الطفل الذي يولد حيَّاً ، ثم يموت بعد قليل ، فيغُسَّل ، ويكفن ، ثم يصلي عليه ، ويدفن .. وكذلك الأشخاص الذين ينتحرون ، أو يعدمون ، فيغسَّلوا ، ويُكفنوا ، وتُقام عليهم صلاة الجنازة ، ويدفنوا .. ولكن جرت العادة ألا تُقام الصلاة علي المجرمين الذين يقتلون أمهاتهم ، أو آباءهم عمداً ، أو يقتلون حين الصدام مع قوات الأمن .. وإذا اقيمت عليهم صلاة الجنازة فيحضرها الرجال فقط .. يقف الإمام

أمام التابوت ، ثم تصطف صفوف الجماعة خلفه .. وتقام الصلاة بتكبيراتها الأربع التي يؤمها الإمام .. وبعد التسليم يسأل الإمام المصلين عن المتوفي ، فيذكرونه .. فيطلب منهم له الدعاء ، والرحمة ...

إن حضور صلاةالجنازة ، والمشاركة في حمل النعش ، والإنضمام ، والمشاركة في عمليه الدفن من التصرفات ، والمشاركات الإجتماعية التي تُقدِّرها مجتمعاتنا الشرقية الإسلامية .. لما في ذلك من ثواب ديني ، وتقدير إجتماعي .. وبعد صلاة الجنازة ، يُحمل النعش علي الأكتاف حتي مثواه الأخير في القري والمناطق المحدودة ، أما في المدن فيُحمل حتي السيارة التي ستحمل المتوفي إلي المقابر ، أو المدافن التي سيدفن فيها .. ولحمل النعش أُصوله ... وعند حمل النعش ؛ فلا يجب الإسراع أو التباطؤ المبالغ فيه عند التوجه بالمتوفي إلي مثواه الأخير ... وحتي إذا لم تكن هناك نواهي دينية تمنع السير أمام الجنازة فقد إعتادت الجماعات الشرقية الإسلامية أن تسر من خلف الجنازة .. ويجب متابعة الجنازة ، ونحن نتلو آيات الذكر الحكيم ، أو ونحن نردد الدعوات الصالحات .. ومن التصرفات المعيبة في الجنازة الضحك ، أو اللغو .. وعلي الذين تمر من أمامهم الجنازة أن يقفوا بإحترام ، مرددين الشهادة ، وقارئين الفاتحة علي روح المتوفي ...

* * *

ليس من الضـروري حـضـور النسـاء إلي المقـابر .. وفي حـالات نادرة ، يمكن حضـورهن . كمـا يدفن كل متـوفي حديـث في مقبـرة مسـتقلة بذاتـه ، ولكن في حالات نادرة يمكن أن يتم دفن جماعي ، أو أن يُدفن الزوجين معاً في حالات الموت الجماعي ، إذا تطلب الأمر دفن رجل ، وإمراة في مدفن ، أو مقبرة واحدة ؛ فيجب أن يُدفن الرجل أولاً ، ويوضع في الأمام ، ثم تعقبه المرأة ، وتدفن في الخلف ، وبعد مدة من الزمن ، وبعد أن يتحلل الجسد المدفون فيجوز أن يُدفن آخر في نفس المقبرة .. إذا تطلب الأمر ، وللمصلحة العامة نقل المقبرة ، أو المقابر إلي مكان آخر ، فمن الواجب نقل بعض رفاة الموتي السابقين .. وهذه هي النتيجة الطبيعية لإحترام المشاعر الإنسانية ..

في المقبرة ؛ يوضع النعش علي الأرض بجوار المقبرة المعدة .. ولا يقف الحضور ، أو يتابعون عملية الدفن وقوفاً علي أقدامهم ، بل يتناولون المتوفي ، المكفن من التابوت ويسجونه في التراب .. يوضع المتوفي في القبر ناحية القبلة ، وعند إدخال الجسد إلي اللحد يُقَال **(بسم الله وعلى ملة رسول الله)** .. وعند دفن الأنثي كانت تُسدل ستارة ، أو ملاءة علي المقبرة خلال الدفن .. وبعد إنزال الجسد إلي المقبرة ، يرقد الجسد علي الجانب الأيمن ، ويوجه ناحية القبلة .. وتفك أربطة الكفن .. وتُفرد عليه بعض الأتربة .. وفي حالة الدفن بالتابوت ، يوجه الجسد في التابوت ناحية القبلة .. وينُثر عليه التراب ، ويزود تحت الكتف الأيسر بالتراب .. ثم يُغطي أعلي المدفن بالبلاطات الخرسانية ، أما في القري فتغطي بالواح خشبية سميكة .. ثم يضع الحاضرون ، وبداية بالاقارب التراب ... حتي يواري الجسد تماماً .. وتُقام كومة علي المدفن ، ثم يُصب الماء بدءاً من ناحية الرأس حتي نحو القدمين .. ينحني الإمام ، والقائمين علي الدفن نحو الأرض ، أو يجلسون .. ثم يقرأ الإمام سورة يس، وبداية سورة البقرة ونهايتها .. ويختم بسورة الفاتحة ، ويدعوا الحاضرين بالمغفرة للمتوفي .. ولا يقر العرف الدينى ، أو العادات الإسلامية قراءة القرآن الكريم ، نظير أجر خلال هذه اللحظات المبجلة .. وبعد إنصراف الحضور ، يبقي الإمام علي رأس القبر ، ملقناً المتوفي بعض الاقوال لتكون رداً علي أسئلة ملائكة

المـوت ... وبالرغم من أن هذا الأمـر لا يقـره الـدين إلا أن العـادة جـرت علي هـذا المنوال..

الأساس هو أن يدفن المتوفي حيث يقيم ، ومـالم تكن هناك ضرورة ملحة ، فلا يدفن في مكان آخر ، وأما الذين يموتون وهم علي ظهر السفن ، وفي عرض البحر ، وستطول المدة حتي الوصول إلي البر ، فلا مفر من تغسيل المتوفي ، ويكفَّن ، وتقام عليه صلاة الجنازة ، وتربط به بعض الاثقال ، ، ويترك في اليِّم .

يُراعي أن تكون المدافن نظيفة ، ومعتنى بها ، محاطة بالأسوار ، وتشجر أماكنها بأشجار ظليِّة غير مثمرة .. وخاصة بأشجار السرو ، والحور أما علي المقابر ، وأمامها فيرجح غرس الورود ، والزمبق ، والزهور العطرية .. ولما كانت زيارة المقابر واجبة من قبل الرجال في الآعياد ، والمواسم فيفضل تنظيفها ، ورعايتها قبل هذه المناسبات وينزع منها النباتات البرية ... وقد جرت العادة في بعض البلدان ، والمناطق أن يُبني القبر بعد الدفن بمدة زمنية معقولة .. وقد انتشرت في تركيا ، وبعض البلدان إقامة الأضرحة من الحجارة أو من الرخام .. وقد نُقشت شواهد القبور بشتي أنواع الزخارف الجصية ، وكُتبت بعض الأشعار التي تعكس حياة ، وإنجازات ، ومهنة المتوفي أحياناً ، أو ان تُكتب بعض الآيات القرآنية علي لوحة رخامية ، أو يخط أسم المتوفي ، وتاريخ الوفاة علي لوحة من الرخام وتثبت في مقدمة المقبرة .. ومن هنا حملت شواهد القبور التي تم إكتشافها في المقابر ، والحفريات الأثرية القديمة قيمة تراثية ، وتاريخية ، وأثرية كبيرة ، ويعتبر البعض المدافن ذات الشواهد ، وكأنها متحف معماري وفني مفتوح .. ولما كانت تركيا تشتهر بمحاجر الرخام ومشتقاته ، فلقد ساعد ذلك علي الإبداع في هذا الصدد .. وما زالت المقابر ، والمدافن العامة في إستانبول ، والمدن التركية التراثية تعج بهذه النماذج الفريدة من شواهد القبور ، واللوحات التذكارية المنقوشة ، بالكتابات العربية بخطوط متنوعة ، وجميلة ...

تُراعي بعض المجتمعات ان يُختم القرآن في ليلة نفس اليوم الذي تم فيه الدفن ، ويُهدي الثواب مع الدعاء إلي روح المتوفي ...

وإذا كان المجتمع المصري قد أعتاد علي تقديم القهوة السادة في ليالي المأتم ... فإن المجتمع التركي قد أعتاد عمل حلوي شبيهة بالبسبوسة ، وتصنع من دقيق الذره ،

أو من القرع العسلي ، وتقدم هذه الحلوي لمن ينضم إلي الدعاء بعد ختم القرآن .. أما في إيران ؛ فيقدم الطعام وشتي أنواع الياميش خلال العزاء.

يلتزم أقارب المتوفي بالحداد لمدة ثلاثة أيام ، هذا هو المطلوب دينيا .. ولكن إعتاد الناس في كل من مصر وتركيا علي أن يظل الحداد لمدة أربعين يوماً .. في الأيام الثلاثة الأول يتوجه الأقارب ، والأصدقاء ، والمعارف ، وزملاء العمل ، والجيران إلي منزل المتوفي لتقديم واجب العزاء .. ويمكن أن يفد للتعزية في أيام الخميس الذين يقيمون بعيداً ولم يتمكنوا من الحضور في الأيام الثلاثة .الأُولى ..

إعتاد المجتمع المصري علي لبس الملابس ذات اللون الأسود في أيام الحداد علي أنه تعبير عن الحزن ، بينما ان الأتراك ، وعرب الجزيرة لا يلتزمون بذلك .. بل فقط يلتزمون بعدم الزينة ، أو التبرج أو عمل الماكياج .. ولا يتوجهون إلي أماكن اللهو ، أو التسلية خلال فترة الحداد .. كما يسعي الجيران أيضاً علي الإلتزام بذلك حفاظاً علي مشاعر أهل المتوفي ، ومشاركتهم آحزانهم .. وإذا ما فتحوا المذياع ، أو التلفاز حرصوا علي ان يكون في برامج معينة ، وأن يكون خفيضاً .. وبعد إنتهاء فترة الحزن، والحداد ، يتوجه الأهل إلي الدوائر الرسمية لإستخراج إعلام الوفاة ، وحصر التركة ... وأُمور الميراث ..

* * *

التعزية ... إستحبابها ... ومعناها ...

التعزية هي التصبير ، ودعوة أهل الميت إلي العزاء ، والصبر وذلك بذكر ما يهون عليهم المصاب ويخفف عنهم شدة الحزن .. وتُستحب تعزية أهل الميت رجالاً كانوا أو نساءً ، قبل الدفن ، وبعده ، إلي ثلاثة أيام ، إلا أن يكون أحد المعزين غائباً ، أو بعيداً ، فلا بأس إن تأخرت ، لقوله ﷺ **« ما من مؤمن يُعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة »** .

وتُؤدي التعزية بأي لفظ كان .. ومما يروي عن الرسول ﷺ في ذلك قوله لإبنته وقد أرسلت إليه أن إبناً لها قد مات ، فأرسل إليها من يقرئها السلام ، ويقول لها **« إن لله ما أخذ ، له ما أعطي ، وكل شيء عنده بأجل مسمي فلتصبر ولتحتسب .. »**

وقد كتب بعض السلف يعّزي أحداً بوفاة ولده فقال : من فلان إلي فلان ... سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهنية ، وعواريه المستودعة ، متعك الله به في غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كبير.. الصلاة والرحمة والهدي ، إن أحتسبته فإصبر .. ولا يحبط جزعك أجرك فتندم .. وأعلم أن الجزع لا يرد شيئاً .. ولا يدفع حزناً ، وما هو نازل فكأن قد .. والسلام ...

ومع ثورة الإتصالات ، وبعد المسافات ، فقد أمكن للذين لا يتمكنون من الحضور؛ التعزية تلغرافياً ، أو هاتفياً ، أو كتابة في الخطابات ، والتعزية في الصحف اليومية .. وعلي الذين يحضرون للتعزية ألاّ تطول جلساتهم ، وألاّ يكثر لغوهم .. وقد يكفي في التعزية قول .. أعظم الله آجرك .. وأحسن عزاك .. وغفر لميتك ويرد المعزَّى : أمين .. أجَّرك الله، لا آراك مكروها . وقد جرت علي السنة المعزين بعض العبارات والأقوال ، تتناقلها الأجيال ، جيل عن جيل .. ومنها :

- البقاء لله ...
- جعله الله آخر الأحزان ...

- البقاء .. والدوام لله ...

- آجركم الله ... وأسبغ عليكم الصبر والسلوان ...

- ليكن مثواه الجنة ..

- ليكن قبره روضة من رياض الجنة ...

وفي برقيات التعازي :

(أسكن الله الفقيد واسع جناته ... وألهم الآهل الصبر والسلوان ... إنا نشاطركم الآحزان ... وإنا لله وإنا إليه راجعون ..)

أما علي صفحات الجرائد والصحف ، فقد اعتاد المعزون علي الصيغة التالية ؛

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ صدق الله العظيم

شيعت أو بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾

صدق الله العظيم

... توفي إلي رحمة الله أو إختصاراً .. (**إنا لله وإنا إليه راجعون .. بمزيد من الحزن والآسي ...**) أو (**انتقل إلي الآمجاد السماوية بعد أن قام بواجبه الوطني والمهني والنقابي والإجتماعى عن عمر يناهز ...**) دائماً ما يذكر بعد الموت محاسن الموتي (**إذكروا محاسن موتاكم**)... (**عفي الله عما سلف ...**) ولاتسمح الآعراف ، والتقاليد بالتحدث عن الميت بالسوء مهما بلغت خطاياه ، وقصوره .. فالله غفَّار للذنوب .. تواب رحيم .. وسعت رحمته كل شيء وكما يشارك الأقارب ، والجيران أهل الميت في الأحزان والتعزية ، وإستقبال المعزيين ، فإنهم يحضرون الأطعمة إلي بيت المتوفي .. ويقومون عن أهل الدار بالغسيل ، والتنظيف وما شابه ذلك .. وفي المدن الكبيرة ، لما كان من المستحيل إحضار الطعام في كل

الأوقات ، أو لصعوبة التوصيل وبعد المسافة . فقد أستعاض البعض عن ذلك بإحضار مواد الطبخ إلي مطبخ أهل المتوفي ، ويتم إعداد الطعام به ، ويقوم آخرون باعداده ..

كما بدأت تنتشر في المدن إستحضار الأكل من المطاعم ، ويقوم بذلك بعض الأقارب .. أو المعارف والأصدقاء ..

– أما فى القرى المصرية فيتكفل أهل القرية جميعاً بإطعام أهل الميت ، والأقارب الذين قدموا من بعيد للتعزية ، أو المعزيين الذين وفدوا من قري آخري ، لتقديم واجب العزاء ، وكان يتم ذلك بأن يُحضر كل بيت صينية طعام إلي السرادق أو المضيفة ، أو الديوار .. وقد تم في معظم القري الاستعاضة عن ذلك بأن يقوم كل فرد من افراد القرية بإستضافة العدد الذي يتلائم مع إستعدادت بيته في هذا اليوم .. أو يقوم أحد العارفين بظروف ، وإمكانات أهل القرية بتوزيع الضيوف المعزين إلي مجموعات صغيرة ، وبلباقة متناهية يدعوهم إلي البيوت المعنية ..

كما يُسارع أهل القرية بتقديم مبالغ نقدية لمن يتولي تسير أمور المآتم .. وعليه أن يقبلها حتي وإن كانت إمكاناته متوفرة .. ولا تُرد هذه المبالغ إلا بعد إنتهاء أيام الحداد ... إنه نوع من التكافل ، والتعاضد .. والتساند في أوقات الشدة . ويُعتبر هذا الموقف ديناً لابد أن يرد في الوقت المشابه ..

* * *

ذكر الموتي

– اذكروا محاسن موتاكم .

– إذا مات إبن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، ولد صالح يدعو له ... وحسنة جارية .. وعلم ينتفع به ..

تلبية لهذه الدعوة الكريمة ، فإن أهل الميت يذكرون بآشكال متعددة ، وفي أيام معينة .. فبعد الوفاة يذكرونه في اليوم السابع ، ويوم الأربعين ، واليوم الثانى والخمسين .. ويحيون ليلة تمام السنة الأولي التي مرت علي الوفاة .. ثم تتتابع الذكري السنوية من كل عام .. وفي يوم الخميس ليلة الجمعة .. وفي هذه

المواعيد ؛ الخميس الأول ، واليوم السابع ، وفي الأربعين ، والثاني والخمسين ، والذكري السنوية ، تقوم العائلة بإحياء هذه المناسبات بتلاوة القرآن ؛ وخاصة سورة يس .. أو يتم ختم القرآن .. والدعاء للمتوفي ..

جرت الآعراف في بعض مناطق مصر أن تعد الأسرة ، أو بعض الآقارب نوعاً من الخبز كرحمة يوزع علي الفقراء ، والمساكين في المقابر علي روح المتوفي وأشهر هذه الأيام ، هو يوم الأربعين ، ففيه يكاد يكون كيوم العزاء.. يحضره المعزيون ، أو مَنْ يكون قد تخلف عن تقديم واجب العزاء في أيام الحداد .. يُشارك في هذا اليوم الأقارب ، والأصدقاء ، والمعارف ، الذين سبق وانضموا إلي تشييع الجنازة ، أو قدموا الخدمات إلي أهل المتوفي ، وأحياناً يقدم الطعام هذه المرة من قبل أهل المتوفي ، ويكون هذا بمثابة رد للجميل لما قدموه خلال وقت المأساة ..

وهذا توضيح للمعني الديني للحسنة الجارية التي يكون المتوفي قد قام بها في حياته كإقامة جامع أو مدرسة أو مستشفي خيري ، أو أقام جسراً علي ترعة أو نهر .. أو بني سبيل ، أو أي منشئة خيرية كدار للأيتام .. أو دار للمسنين أو ترك علماً ينتفع به ، فيعيد الأبناء أو الأهل طبع هذه الكتب ، ويوزعونها بالمجان ، أو يوقفون دخلها علي أعمال الخير .. وبهذا يتحقق الأمل الثالث في الولد الصالح الذي يدعو لوالده ، أو يتصدق عنه ، أو يسدد عنه دينه .. أو يؤدي ما كان عليه من زكاة ، أو نذر .. وكثيراً ما يكثر من قراءة القرآن ، وختمه – خاصة في شهر رمضان .

– ويهب ثواب القراءة لروح المتوفي سواء أكان أباً أو أماً أو شقيقاً..

في تركيا ؛ في مثل هذه المناسبات تقرأ أو تنشد قصيدة المولد بعد تلاوة القرآن... ويُقدم الطعام ، والحلويات كالملبن = راحة الحلقوم ، أو الحلوي ، أو السكريات ..

وعرفاناً بالجميل ؛ تقوم الأمة بتذكر العظماء من أبنائها ، فيقوم رجالات الدولة بزيارة مقابرهم مع الأهل ، والأصدقاء ، ويقرأون الفاتحة علي أرواحهم ، ويضعون

آكاليل الزهور علي أضرحتهم .. وإذا كانوا من الشعراء ، والأدباء ، والمفكرين ، والمبدعين ، تُقام في ذكراهم السنوية المهرجانات ، والإحتفالات ، والبرامج التي تجعلهم يعيشون في ذاكرة الأمة .

حبذا ؛ لو أكثرنا من الإهتمام بالإحتفاء برجالات الدولة في شتي الميادين ، والساحات .. فهذا يخلق القدوة الحسنة ، وينمي الإنتماء لدي الأجيال الصاعدة ، ويخلق التمني في أن يكون منهم من يُحتفي به في يوم من الأيام .. وأن يصل ذلك إلي الذين يشاركون في العمل الإجتماعى ، أو في بناء نهضة الوطن ، أو في خلق بسمة علي شفاه الأجيال المعاصرة ..

جرت العادات والأعراف أن تكون زيارة القبور في ليلة الخميس ، وأيام الجمعة . وليالي المواسم الدينية ، ويوم وقفة عيد رمضان ، ووقفة عيد الأضحي ، أو في صباح يوم العيد لقراءة الفاتحة ، والدعاء للمتوفي ...

كما جرت العادة في المناسبات المستحدثه كيوم "عيد الام" ، أو يوم تكريم الاب ، أو المعلم ، أو الشهيد " أن تُزار القبور ، وتقرأ الفاتحة علي أرواح الشهداء ، والأمهات والآباء ..

ومن المستحب ، والواجب أن يبدأ زائر القبور بإلقاء التحية والسلام علي كل سكان القبور .. ويقول الزائر ما كان رسول الله ﷺ يقوله إذا زار (البقيع) وهو « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون ، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع .. نسأل الله لنا ، ولكم العافية ... اللهم أغفر ، اللهم أرحمهم** » وزيارة القبور – بالنسبة للرجال – مستحبة ، لأنها تذكر بالآخرة ، وتنفع الميت بالدعاء ، والإستغفار له .. لقوله ﷺ « **كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة** » .

بعد أن يسلم الزائر ، ويقول ما يتيسر له من دعاء لسائر سكان القبور ، يتجه نحو القبر المقصود ، ويقف في مواجهة وجه المتوفي .. ويقرأ سورة يس ، أو سورة الإخلاص ، وفاتحة الكتاب .. ويدعو بما تيسر له ، توسلاً ورجاءً إلي الله أن يعفو عن الذنوب .. وبعد أن يفرغ من الدعاء يهتم بنظافة المقبرة .. ويكون حرصه شديد بعد أن وطأ القبور بقدميه ..

ومن المنهي عنه تماماً لمن أباح زيارة المرأة القليلة ، عدم فعلها أي منكر كان ؛ كأن تنوح عند القبر ، أو تصرخ ، أو تخرج متبرجة ، أو تُنادي الميت وتسأله حاجة ... وإذا تمت زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين ، أو العارفين بالله ، فلا نُشعل شمعاً ، وألا نتعلق بقضبان المقصورة ، أو نسأل صاحب الضريح شيئاً .. بل نتأسي ، وندعو الله ، ونسأله المغفرة لصاحب الضريح ، ولأنفسنا ..

* * *

الإنسان كائن إجتماعي ، ومن أجل تاهيله ، وتأقلمه مع بقية أفراد المجتمع ، وتكوين شخصيته وتوصيلها إلي النضج الإجتماعي الكامل ، فلابد من مراعاة الدور البارز للبيئة .

والبيئة هي المحيط الذي تعيش فيه سائر الكائنات الحيَّة . وتتأثر بالظروف المحيطة به من تضاريس سطح الأرض ، والهواء ، والمياه ، وعناصر البيئة الطبيعية الأخري . هذه العناصر ، هذه الجغرافية لها تأثير كبيرعلي الجنس البشري ، والتضاريس الجغرافية تُعد المعوَّل الأساسي في بناء شخصية الانسان ، فالصحراء ، والجبال ، والوديان ، والشواطيء جنباً إلي جنب مع المناخ ، ودرجات الحرارة لها بصماتها الواضحة في تكوين تلك الشخصية البشرية ، كما أن الانسان هو إنعكاس للبيئة الجغرافية التي ينشيء ويترعرع فيها .. أي أن الأنسان والجغرافية يشكلان بعضهما البعض .. فالوطن له تأثيره علي الإنسان ، والأنسان له دوره في خلق وتطور الوطن ، بل يمكن القول بارتياح أن روح الإنسان يمكن أن تتجلي علي الجغرافية .

إن عناصر البيئة قد أثرت ، وما زالت تؤثر في نشاط الإنسان ، وتعامله اليومي مع موارد البيئة المختلفة التي يحتاج إليها في إشباع احتياجاته الإنسانية ، وتتطور هذه الإحتياجات بتقدم الإنسان ، وما يستحدثه من معدات ، وأدوات فالإنسان منذ ما قبل التاريخ وهو يعيش في صراع مع البيئة ؛ عاش في الكهوف ، والمغارات حتي إرتقي إلى الناطحات .. إحترف الجمع ، والصيد حتي وصل إلي الوراثة ، والإستنساخ ليكثر ما يروق له ، ويشبع رغباته ، ونزواته ، وطموحاته.. ولم يكن في كل ذلك ببعيد عن عناصر البيئة .. استلهمها ، استانسها ، واستنطقها ، واستعطفها .. باحت له ببعض الأسرار ، راضت له بعض من عناصرها .. فاهت له ببعض المقومات ، تضاعفت الأنفس ، تضاعف ما كان يحصل عليه من غذاء .. ومواد خام .. ولكن ، أضيرت بعض العناصر ، أُنهكت بعض الموارد .. تلوثت مدخلات الحياة .. تأثرت مخرجات البشر .. ثارت الضجة .. إنبثق الهدف **(المحافظة علي البيئة)** .

نحافظ علي ماذا ..؟ نُحافظ عليها مِنْ من ؟ كيف نُحافظ علي المتاح ؟ كيف نستنطقها أسرارها وألغازها..؟

نحافظ عي الأرض .. نستوعب الفصول يكون الليل ليلاً .. وثباتاً والنهار نهاراً ومعاشاً نسترضي القمر ؛ لتكون دورته علينا بالخير ، نستعطف الشمس لتكون برداً ، وسلاماً .. تحمينا من التجمد ، وتحفظ علينا الحياة ، فلا يهاجمنا الجفاف .. أو الجراد أو التصحر .. **﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ... ﴾** تورق الأشجار .. تنمو الحشائش والنباتات ، ترتع البهيمة .. والطير .. والهامات .. تسبح الأسماك ، نتبادل المنافع في شكل مدخلات ، ومخرجات نتعاون .. نتكاتف .. نتآذر .. نتكامل ، ونتوزان تتكامل الجغرافيا الطبيعية ، مع الجغرافيا البشرية فتتوازن المعطيات.. مع المتطلبات فيعم الرخاء .. ويسود الأمن .. يقل التصارع .. يسود السلام ، تتضاءل شرور الحرب .. فتتزايد فرص السلام ، حدث التفاهم حول توزيعات اليابس ، والماء.. والتفاهم حول إقتسام خيرات القارات ، والمحيطات . وإذا ما تفاهمنا كبشر ، باحث لنا الجبال بما تملكه من أسرار .. وأخرجت لنا ما في بطونها من كنوز ، ومعادن ، ومدخرات .. من أفريقيا إلي أستراليا .. ومن أوروبا إلي آسيا والأمريكتين وإذا ما باحت الجبال ، وهدئت .. أستوت الهضاب ، والوديان ، وأرتوت السهول فأعطت **﴿ إن أنزلنا من السماء ماءاً ﴾** إذا ما إمتدت الجبال .. زاد تهاطل المطر بتدرج بفعل الرياح علي المناطق ظل المطر ... وبإختلاف كمية المطر ، يتنوع الزرع ، والثمر .. وتحنو الأنواء والأجواء .. وتقل الحرارة .. ويبعد شبح التصحر ، والجفاف.. ونفوق الحيوان .. وتساقط الشجر ، ويتبدد ما يؤرق الإنسان من شرور ، أو بؤر مفعمة بالخطر.

الأخطار التي تهدد البيئة :

جُبلت النفس البشرية علي طلب المزيد ، **(ما يملىء عين ابن أدم إلا التراب)** جار الإنسان علي عناصر البيئة .. تشابكت العلاقات فظهرت الخلافات .. وبدت الأخطار ، وأطلت برأسها .. يمكن تقسيم الأخطار التي تهدد بيئة الإنسان إلي نوعين؛ أخطار طبيعة : لا دخل للإنسان فيها .. ولا في حدوثها ظاهرياً كالجفاف،

والزلازل ، والبراكين ، والسيول ، والفيضانات ، والآعاصير .. وهذه بدورها تؤثر علي نشاط الإنسان ، وتُدمر بعض عناصر البيئة .. أما الإنسان نفسه فقد تسبب في أخطار يهدد به نفسه ، دفعه الطمع إلي الإفراط في أستخدام موارد البيئة ، لكي يُشبع نهمه ، ويواجه متطلباته الناجمة عن زيادة أعداد بني جلدته ؛ فالجفاف ، والتصحر الزاحف ، والحروب المدمرة ، والفيضانات الهادرة ، والسيول الجارفة التي تدمر ما بناه الإنسان ، وشيده ، أو تُطمسه ، وتضيع معالمه فتأتي الآعاصير ، والعواصف وما يصاحبها من رياح فتقضي علي الأخضر ، واليابس .. وتتأثر السواحل ؛ بالبراكين التي تتفجر من بطون الجبال ، أو الزلازل التي تُفتق القشرة الأرضية ، فتبتلع ما شيده الإنسان عبر العصور من قصور ، أو جسور أو مصانع .. تضيع حتي معالم المدن ، والقري ، والنجوع ، وما فيها من أكواخ ، أو بيوت ، أو فنادق . تُسمم فوهات البراكين بما تنفثه من سموم ، أو غازات حياة البشر ، وتُذبل الأعشاب والشجر .. فتهب الحشرات .. والجراد ليلتهم ما يكون قد فلت من بين أنياب القدر ..

هذا ، بعض مما يمكن أن يحدث في البيئة التي حولنا ، دون أن يكون لنا دخل مُباشر في مسبباتها أو مدخلاتها .. بل هي كما يُعبر البعض .. هي غضبة الطبيعة ، ورفضها لسلوكياتنا تجاهها .

هذه الأخطار جميعاً تهدد بيئة الإنسان منذ أن عرف التاريخ والتدوين علي سطح الأرض التي يعيش فوقها .. وتزداد الأضرار الناجمة عنها مع تزايد أعداده ، وإنتشاره.. لم يستطع التقدم العلمي ، والتكنولوجي رغم ما أحرزه من إنتصارات مذهلة ، أن يُوقف الأخطار هذه ، أو حتي يحد منها .

إن آفة العصر الحديث .. وأخطر ما يهدد البيئة في الوقت الحاضر .. هو التلوث .. إن التلوث الناجم عن الحروب ، والتفجيرات النووية ، ومفاعلها ، وتسرباتها ، والإنتشار الواسع للصناعات ، والمبيدات الكيميائية .. هذه كلها تؤدي أحياناً إلي كوارث بيئية . وقد طال التلوث الماء ، والهواء ، والتربة . طال تلوث الماء حتي المياه المالحة في البحار ، والمحيطات ، والبحيرات مما أدي إلي موت الأسماك ، والطحالب ، والكائنات الحيَّه .. تعرضت المياه العذبة في الأنهار ، والبحيرات العذبة للتلوث بالصرف الصحي ، والمبيدات ، وصرف المصانع ومخلفات السفن والإنسان .. مما أثر

تأثيراً بالغاً علي الإنسان والحيوان والمحاصيل الزراعية التي يعتمد عليها الإنسان في الغذاء اليومي .. وقد أدي هذا بدوره إلي تلوث التربة .. وقتل مكوّناتها ، وتبدد عناصرها ..

كما لم تنجو البيئة المحيطة من التلوث الجمالي ، فإزداد القبح ، وتأذت العين مما تري ، وتلوثت الأذن بما تسمع من ألفاظ نابية ، وأغاني ، وموسيقي هابطة .. وتلوث سمعي يهاجمك من حيث لا تدري

أمام كل هذا .. كيف نحمي بيئتنا من الأخطار؟

* * *

(إماطة الأذي عن الطريق من شعب الإيمان)

إن تراثنا الحضاري له مفهومه الحضاري الرفيع المستوي للبيئة المحيطة ، بدءً من البيت إلي الشارع ، ومن الحي إلي المدينة كافة . ومن النجع والكفر إلي القرية .. والقصبة .. وما زال التراث يحمل لنا ما كانت تحفل به نفوس المواطنين من طرز الحفاظ على البيئة وحمايتها .. ونظافتها .. وتجميلها ..

إن جولة بين صفحات كتب التراث ، والتاريخ ،والرحالة .. ومسيرة في الأحياء القديمة ، في مدنها العريقة ، والممتدة علي طول الساحة الاسلامية وعرضها من القاهرة .. إلي طهران .. ومن تبريز ، وأصفهان إلي سمر قند ... وطشقند .. ومن مراكش ، وفاس حتي بغداد .. ودمشق .. وقونيه .. ومن رشيد ودمياط حتي إستانبول ، وأدرنه في أقصي الشمال الشرقي ..

ومن صنعاء اليمن .. وجدة .. ومكة .. والطائف والمدينة المنوره .. ما زالت كل هذه المدن تحمل من سمات العمارة الإسلامية الجميلة ما يبهرك .. ما يخاطب عينيك فيسعدك .. أين المشربيات ، والرواشين والقباب .. والدهاليز .. والبواكي .. أين الأسبلة والعيون .. والشادروانات .. والسلسبيل ..

إن هذه المدن العريقة ما زالت تعج بكل ما هو مفرح ، ومشرح للصدر ، والنفس ، فمن السرايات والقصور إلي المساجد .. والجوامع ، وحتي الأضرحة فوق القبور كانت كلها تتحدث لغة الجمال .. والذوق .. والفن بعيدة عن القبح .. والفحش .. والخرسانة الصماء .. فإذا ما طفت بها .. أو عبر صفحات الرحّاله الذين رأوها في حينها تُطالعك الخانات .. والأسبلة .. والحمامات .. والمقاهي ذات المقصورات .. والدكاكين التي تبيعك الروائح .. من مسك وزعفران .. وعنبر .. الكنائس ، والجوامع .. الأجراس ، والمآذن في عناق .. ومودة .. القباب المنحنية .. والمنارات المشرئبة .. البعض يسجد في حنو ، والاخر يتوسل في سمو اشجار التين .. والزيتون .. الحور .. والكافور ، وبراعم الكرم ، والرمان والليمون . تُطالع بأزهارها ، وثمارها أينما كانت وجهتك .. الجسور فوق الخلجان .. والمواخر عبر القنوات ،

والأنهار .. وفرق الموسيقي تصدح فوق صفحات مياه النيل المتماوجة ... والأهازيج، والأغاني ، الجميلة تنبعث من المراكب ، والقوارب في أوقات الفيضان المضيئة ..

أين البحيرات .. والخلجان ، والبرك ذات المياه الجارية .. أين الأوزبكية ، وما كانت تعج به القاهرة من مسيرات .. ومتنزهات .. وحدائق .. وبساتين وباغات إرم ..

لقد فقدنا كل هذا تحت وطئة الهجوم المسلط ، من جحافل القبح .. والجهل .. والآخر المتسلط .. اخذ الغرب أجمل ما لدينا .. وصَّدر إلينا اقبح ما لديه .. اخذ الحدائق .. والنوافير .. والأرابسك .. والمشربيات والبواكي والرواشين .. وصدَّر إلينا الأبراج الخرسانيه ، وناطحات السحاب الزجاجية .. لا تصد عنا حرارة .. ولا تستر أبداً فحشاً ، أو دعارة إلا إذا أسدلنا لها الستارة .. اخذوا عنا الطنبور .. والقانون .. والناي .. والقيثارة .. وصدروا إلينا القذائف بعد السيف .. والبندقية .. والمدفع والغدّارة ثم أتبعوها بالصاروخ .. وقاذفات القنابل .. ومختلف أنواع الأسلحة والطيارة ..

خدعونا فقالوا .. الجهل منا .. وفينا .. والتنوير لديهم وليس فينا .. نسوا الماضي العريق لنا .. وسلبوه إيانا .. ونسبوا إلينا ماليس فينا .. فليموتوا بغيظهم .. وبحقدهم وليُهريء الحسد والحقد أكبادهم .. فرغم أنوفهم ، الشرق فينا .. ولنا .. الديانات السماوية كلها خرجت من حيث تفعم بالحب أرواحنا .. في أرضنا وُلد الخليل إبراهيم وشيَّد هو وولده إسماعيل ، وبرعاية ، ودعم هاجر البيت الحرام ، فوق كعبة الله المشرفة .

١- موسي كليم الله .. ألم يشرب من ماء نيلها ..

٢- سيدنا يوسف ، ألم يتعلم الحكمة ، والألوهية ، والفلسفة وتأويل الأحلام وأُسس علم الاقتصاد ، وطرق حفظ الغلال في حضن مصر ، ودعم عزيزها ؟ .. ألم تستقبل مصر أخوة يوسف والده ، وأكرمت وفادتهم ..

٣- (مريم العذراء .. والسيد المسيح خرجا خوفاً من البطش إلي حيث الأرض التي قال الله سبحانه وتعالي عنها .. ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ طافوا ربوعها ..

وتربعوا .. وتمتعوا بحب قلوب أهلها) يمتلي جسده وجثمانه من الذ .. واطيب ثمارها .. الم يشب ويترعرع علي ثراها .. وفوق ترابها .. الم يكلم خالقه في حضن طور سيناء .. ورعي الأغنام بين دروبها ..

٤- وأخر الرسالات .. من أين خرجت ..؟ وفي باديء الأمر إلي أين إتجهت .. ؟ الم تهدي مصر إلي نبي الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أم ولده الوحيد . ! الم يُهدي محمد بن عبد الله عبد المطلب الهداية إلي العالم أجمع خرجت من شرقنا الحبيب كل رسالات الحب ، والمحبة توارثنا – العفاف .. والخلاص .. وكرم الاخلاق وحتى خرج علينا الغرب بكل ما أفسد علينا حياتنا .. خرج علينا بعقدة أوديب .. ورقصة سالومي .. وحصان طروادة ، والمصارعة حتي الموت .. وإحراق روما .. وفي العصر الحديث الماركسية .. والشيوعية .. والماسونية .. والصهيونية .. والعنصرية والحرب العالمية الأولي .. والكونية الثانية .. يفزعنا بقنابل هيروشيما .. ونجازاكي .. ويحاول أن يبهرنا بالجنز ، والهامبورجر ومنتجات هارديز ، والهوت دوج ، وكنتاكي..

لابد من التصدي أولاً لهذا الغزو الذي يحاول أن يهاجمنا بالتدابير التالية :

ضرورة الإسراع بترميم ، وإصلاح ، وتجديد كل ما تبقي من تراثنا المعماري الممتد ، والمنتشر فوق ربوع شرقنا الحبيب ، فهذه هي الخطوة الأولي للحفاظ علي وجودنا القومي .. لافرق في ذلك بين المعبد ، والكنيسة .. والمسجد .. فمن معابد أبي سنبل إلي جامع عمرو بن العاص .. ومن كنيسة القيامة إلى جامع القيروان .. ومن المدرسة السلجوقية .. إلي التكية المولوية ومن جامع السليمية في أدرنه .. والسليمانية في إستانبول والجامع الأموي في دمشق .. والمسجد الحرام في مكة .. والأقصي في القدس والمسجد النبوي في المدينة المنورة ..

الآياصوفيا .. وكنيسة القيامة .. والكنيسه المعلقة .. ودير سانت كاترين هذه الكنائس كلها تُراثنا هذه الكنائس تراثنا .. وجودنا .. بالنسبة لنا .. لها في القلب محبة .. وفي الضمير والوجدان تبجيل .. وتقدير .. هي لنا .. وليست من حضارة الغرب في شيء.. فكرها .. عقيدتها .. فلسفتها .. رموزها منا نحن وليست منهم هم في شيء .

يجب أن نحافظ علي كل أثر .. أو مَعْلَم يخص أدياننا ، وعقائدنا .. وفلسفاتنا نحن .. لا نفرق بين الأزهر ، ومشهد السيدة زينب .. والسيدة نفيسة .. وأمهات المؤمنين هم بالنسبة لنا كمريم العذراء .. أو سانت صوفيا .. أو دميانه .. الناصرة .. والقدس .. كقونية .. وإستانبول وطشقند .. وبخاري .. طهران في إيران .. كرشيد ودمياط في مصر .. الزيتونة .. والقيروان .. كالنظامية .. وصحن ثمان .. قسطنطينية الجزائر .. كطرابلس الغرب .. ونابلس الضفة .. لابد أن نحافظ علي هذا التراث بعد أن نخلصه من كل ملوثات البيئة ، والسمع .. والبصر .. ونعمق في النشيء كيف يُحبوا علي أرضهم كل أثر ..

للحفاظ علي تراثنا .. علي كياننا .. ووجودنا .. ننقي الهواء ، حولنا بالغرس .. والنبت .. والغابات .. والزهور ... والشجر .. لابد أن تعود الخضرة أولاً إلي النفوس.. وستتلوها إلي الساحات والشوارع .. والطرقات .. لابد أن تدخل الأشجار إلي الأذقة والحواري .. والعطفات .. لابد أن نري أجيال الشجر علي ضفاف الأنهار ، والقنوات .. والترع ... وعلي جانبي الطرق السريعة وحتي على دروب البعير وطرق السفر ..

إذا أتى يوم القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليزرعها .. مامعنى ذلك ؟

كل هذا .. مع تنمية الوعي بالخضرة .. وكيفية الحفاظ علي نقطة المياه .. وتنمية الغرسة .. فنقطة المياه يجب أن تكون في معزَّة نقطة الدم التي تُراق في سبيل الدين... والعرض ، والوطن .. والنبتة .. والغرسة هي نسمة الربيع .. ونغمة الناي ولمسة الحنان ..

يجب أن تحنو الآيادي .. والقلوب علي الشوارع ، والحواري بالنظافة .. والتطهير.. والهدوء .. والأمن .. والطمانينة .. لابد أن نحدّث ، ونطور الكنَّاس .. والزبَّال . وخفر الدرك .. أين عربات الرش .. والغسيل .. والكنس .. أين .. وأين ؟ لابد أن تعود الأسبلة علي النواصي في كل المدن .. والقصبات وحتي القري .. لابد أن تعود المراحيض العامة جنباً إلي جنب مع الشادروانات ، وطلمبات المطافيء .. لابد أن تعود الحمامات العامة جنباً إلي جنب مع حمامات البخار والسونا .. نحن

مجمتع الطهارة .. والنظافة ركن ركين من الإيمان ... البخار والسونا .. لتخسيس بطون الصفوة أما المراحيض .. والحمامات العامة فهي لمن ينشدون طهارة النفس ، والبدن ، وتخليص الجسم من فضلات القهر .. ووشم الفقر .. وتراكم العرق ... وأن يتم ذلك في إطار الذوق العام ..

لابد أن تعود الحدائق ، والمتنزهات لتغطي مساحات الأرض الفضاء .. لكي نطمس أكوام القمامة ، والزبالة .. ومخلفات بني البشر ، وتراكمات عصور التخلف .. والأستعمار ..

إن لغتنا الجميلة مفعمة بالأسماء .. والاوصاف .. والأغاني والأشعار التي تتغني بالزهور .. ووضعت للزهور ، والورود لغة .. فما معني ذلك .. ؟ ومن أين أستقت لغتنا الجميلة هذه الثروة الهائلة .. ؟ لابد وأنها البيئة التي عاشت فيها ، وكبرت وترعرعت في رياضها .. وبساتينها .. وحدائقها .. وغيطانها . لابد ان تعود ، وتعمم مواكب الزهور في موسم الربيع .. ويتم تنظيم المسابقات في تنسيق الحدائق.. وإستنباط أنواع جديدة من الزهور ، والورود .. فالعصور السابقة شهدت مواكب الزهور .. ومسابقات الورود ، جنباً إلي جنب مع مسابقات الخيول ..

زائر المريض .. يحمل إليه زهوراً .. أو ثماراً .. يُقدم ماء الزهر شراباً .. ورائحة زكية .. لماذا لا نعيد هذه العادات الجميلة مع تطويرها بما يتلائم مع ظروف العصر الحديث .. لماذا لا تلحن الالحان المستوحاة من شقشقة العصافير ، وتغريد البلابل .. ودعاء الكروان .. وصدح العندليب .. لماذا لا تقام فى المدارس مسابقات الشعر الربيعي .. **أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ..**

لماذا لا نُعود أطفالنا ، وشبابنا في المناسبات .. وفي عيد الأم ان يُقدم كل منهم إلي معلمه ، أو معلمته زهرة ، بدلاً من الرشوة .. هدية مفروضة .. هي رشوة مقنعة .. تربية سالبة .. تعلم الأطفال النفاق الإجتماعي .. وتخلق الضغائن في النفوس ..

لقد قص علينا الرحالة التركي آوليا چلبي الذي زار القاهرة سنة ١٠٨١ / ١٠٨٢ هـ أنه رأي حواري القاهرة ، ودروبها تُغسل بالماء ، وتطهر .. وأن الأسواق لا يمكن ان يصادفك فيها ذرة غبار واحدة .. وأن المتنزهات .. والمسيرات .. والحدائق تطل

عليك في كل جانب من جوانب القاهرة .. وأن نفس الرحالة رأي في مدينة مغنيسيا أن أصحاب الدكاكين ، والمحلات كانوا يُغيرون ، ويجددون الزهور في الدكاكين والمحلات كل صباح .. وكون السلطان محمد الفاتح ؛ وهو السلطان الشاب الذي فتح مدينة إستانبول ١٤٥٣ م والقائد البحري خير الدين باربارس ، الذي قاد الأسطول العثماني منذ زمن السلطان سليمان القانوني ، وحوّل البحرين الأبيض ، والأحمر إلي بحيرات إسلامية .. نراهما وقد أمسك كل منهم وردة في يده ، في الصور التذكارية التي رُسِمت لهم .. وأن يُطلق اسم زهرة "اللاله" علي عصر بكامله في العمارة ، والفنون ، والآداب وذلك في عصر السلطان أحمد الثالث .. فماذا يعني كل هذا ..؟ ماذا يعني أن تقيم شجرة الدر حديقة غناء مع كل قصر أو سراي ، أو منشئة خيرية تقيمها .. ؟

إن كتب الأدب الإسلامي مليئة بدواوين الشعر التي تتحدث عن الزهور، والورود.. ويحفظ لنا التراث الكثير من المفاخرات التي نشبت بين أنواع الزهور ..

يجب أن تطل علينا الزهور في كل المواسم ، من كل النوافذ والشبابيك ، والشرفات ؛ في القرية ، والمدينة ، في المدرسة والمصنع والمستشفيات ، والإدارات الحكومية ، والمحلية ..

إن الرغبة في الهروب إلي أحضان الطبيعة ، علي الشواطيء والمراعي ، والمصايف ما هو إلا هروب من زحام المدينة ورغبتنا الملحة في الإرتماء .. والإسترخاء علي الرمال .. والعشب وفوق أوراق الشجر ...

لقد حبي الله سبحانه وتعالي بلدانا بكل ما يروم إليه الإنسان .. ويحلم .. طقس مشمس . أرض هادئة ساكنة في اغلبها .. معطاءة في معظمها .. لدينا الماء .. والتربة . فلماذا لا نجعل الخضرة تطل علينا مرحة مبتسمة ؟ فعقيدتنا علمتنا أن النبات .. والطير .. وما من مخلوق خلقه الله إلا ويُسبح الله ولكنَّا لا ندرك تسبيحة.. فالنبات مع كل زفرة أكسجين يُطلق تسبيحه .. فيها الحياة لنا .. والنقاء للبيئة المحيطة بنا.. والتراث الشعبي .. الشجرة المثمرة تنحني شاكرة .. والبلطة لا توجه إلا إلي الشجرة الجافة .. أو نتذكر الحديث النبوي الذي يحض علي غرس الفسائل والموت

يتنازعنا .. كل هذه العوامل التاريخية .. والدينية والجغرافية تدعونا إلي الإهتمام بالبيئة ، والإلتفات إليها ..

إن هجوم الحضارة الكاسح .. والحياة في المدن المكتظة .. أصابت الإنسان بالسئم .. والضجر .. وما أن يخرج من بيته .. فإذا سار بضع دقائق أنهكه المسير .. وتمني الجلوس .. ومن هنا فنحن مطالبون بإكثار الساحات الخضراء .. والمقاعد حتى بين الفسائل والأشجار ، التي يجب أن تكون في الجزر التي بين ممرات الشوارع والطرق .. لابد أن تتنافس في ذلك بلديات الآحياء .. وتدخل ضمن برامج الأحزاب .. بل يجب الأ ننتظر كل ذلك من الدولة .. بل يجب أن تتنافس في ذلك الجمعيات الخيرية .. وأهل الثراء ، والغني . ويدخل ذلك ضمن الوقف الخيري .. والصدقة الجارية .. ولو تبرع أصحاب الآراضي الفراغ بها .. ووهبها لاهل الخير لكي يحوّلوها إلي متنزه .. فلربما تكون هي الظل الذي سيظله يوم القيامة . علينا نحن أيضاً .. إذا ما ذهبنا إلي مكان الا نلوثه بالفضلات .. والبقايا .. والنفايات .. لا ندوس نبتاً .. ولا نقطف زهراً .. ولا نؤذي شجرة ، فاقل ما تمنحنا إياه هو الظل الظليل .. ونستمع منها إلي حفيف الأوراق الذي هو خلاصة التسابيح .. وأنها مرتع .. ومحط الفراشات .. ومأوي الزواحف ..

علي مجالس المدن .. والبلديات أن تُحيط مدنها بالأحزمة الخضراء .. والرياض .. والمتنزهات .. وأن تحافظ عليها فهي أحزمة الأمان .. ورئة بني الإنسان لكي ننتج .. علينا أن نعمل .. ولكي نجد في العمل .. علينا أن نستريح من حين لآخر .. وأفضل ما نركن فيه للراحة هو المكان الذي تكثر فيه المياه .. والخضرة .. ولن نجد ذلك إلا في أحضان الطبيعة الرؤوم ..

إن أجمل مايمكن أن نقدمه لبيتنا وحيِّنا .. وإلى الإنسان الذي يعيش بجوارنا ، أن نجعل الخضرة تطل عليه .. أو يطل عليها .. ليس هذا فقط .. بل يجب أن نكون كالسلف الصالح ؛ فنجعل هناك توائم بين الخضرة .. والعمارة . الخضرة ، تكمل العمارة .. والعمارة تتكامل بالخضرة ، وكل أوجه النضارة .. لقد حرص الأجداد علي تكامل المدن في كل العصور السابقة .. البيوت متباعدة .. متناسقة متناغمة الألوان .. تتخلل المساحات الخضراء المؤسسات الثقافيه .. تدعم

أماكن الشفاء .. والصحة .. الرعاية الثقافية جنباً إلي جنب مع الرعاية الطبية .. والرعاية الإجتماعية .. والراحة النفسية تنبثق من المعابد .. والكنائس .. والجوامع .. والأديرة .. والزوايا .. والتكايا والأضرحة .. لا فرق بين عرق .. أو عرق .. ولا يعلو أبيض علي أسود .. ولا دين .. يتعصب ضد آخر .. الكل سواسية لا فضل لعربي علي عجمي إلا بأعمال الخير ، والتقوي .. وفي ذلك كانوا يتنافسون .. فأقاموا المؤسسات الخيرية .. والرعاية الطبية .. والإجتماعية .. ومنها ما طالت خدماته الطير .. والبهائم .. فنحن ملزمون برعاية كل ذي كبد رطب .. شهدت عصورنا السابقة التسابق في إنشاء المدارس ، والمساجد .. والخانات .. والحمامات ودور اليتامي .. والمطاعم .. كانت الدولة غير ملزمة بإنشاء مثل هذه الأعمال .. بل كانت كلها من مآثر أهل الخير . اليست الأوقاف الخيرية تكامل .. وتكافل بين الناس والبيئة ؟ أليس الجامع حفاظ علي البيئة .. اليست دور العجزة توائم .. وتعاطف ؟ أليس في الأوقاف تسامي وإرتفاع عن "الأنا" .. ومحاولة لسيادة الـ"نحن" وأن يكون الكل في واحد .. للحفاظ علي التوازن البيئي ؛ لابد من عودة التوازن في العلاقات البشرية ، والحفاظ علي ذلك .. ونحن مجبرون للعمل علي ذلك ..

إن أجمل ما يمكن أن نقدمه للبيئة التي نعيش فيها هو الحفاظ عليها نظيفة .. إن أجدادنا يضربون المثل بالأسد ؛ فهو ملك الغابة .. يحافظ عليها .. يُعرف من عرينه فقد قال الأجداد (إن الأسد يُعرف من عرينه) أي أن المكان يُبيِّن كنهة مَنْ فيه .. ومن هذا المنطلق .. فإن الإنسان هو سيد المكان الذي يعيش فيه .. هو المكلف بالحفاظ عليه ، وحمايته .. ومن هنا .. فالإنسان هو المكلف بالحفاظ علي التوازن البيئي .. وإذا كان لابد من االتدخل ، فيجب أن يكون لكي تكون أكثر جمالاً .. وأبهي منظراً ..

إننا لا ننكر أن هناك ضغوطاً .. تزايد السكان .. وتزاحم المدن .. وقد يؤدي هذا إلي بعض التدخلات التي يظنها البعض حلولاً .. إن تحول أماكن الحدائق الملحقة بالدور القديمة الي عمارات شاهقة ليست حلاً .. بل تعقيداً للمشكلة .. إن تحويل القصور .. والفيلات إلي مجتمعات سكنية .. ليست حلاً .. إن هذا تحجيم

للجمال .. تغليب للربحية المادية القصيرة النظر ، علي مقومات الصحة ، وتنمية الذوق العام .. إن تكريس الساحات الفارغة أمام القطع الأثرية .. وداخل حرماتها بدعوي الأستثمار السياحي هو جريمة في حق الأجيال الحالية والمستقبلية .. مهما كانت المبررات الربحية .. فهي تدمير للتاريخ .. وتشويه للبيئة ، وتدني بالذوق العام.. ومحو لذاكرة الأمه إن هذا تدمير للبيئة الثقافية .. طمس للشفافية القومية..

إن هذا بالمنظور القريب ربح تجاري .. ولكنه علي المدي البعيد إفساد للهواء الذي نستنشقه ، والذوق الذي نغرسه في الأجيال .. وندمر بهذه السلوكيات مقوماتنا الحضارية .. والثقافية ..

إن عمارة المدن بالشكل الذي نطبقه ، مدعين أننا نستوحيه من الغرب ، للتغلب علي مشاكل الإسكان .. فيه العديد من عوامل الخلل بالتوازن البيئى .. به ندفع الشعب إلي العصبية .. إلي التقوقع .. نردم البحيرات .. نُضيِّق مجاري النيل والأنهار، والترع بحجة بناء المساكن .. نلقي بمخلفات الإنسان في البحار، والبحيرات ، والأنهار فندمر البيئة ؛ نباتاً .. وطيوراً .. وأسماكاً .. ثم إنساناً.. قصرت الأعمار .. إزدادت الأمراض .. كثرت الجرائم .. تلوث السمع ، والبصر.

إن بلادنا جنات إرم .. بما تملكه من مناخ جميل طوال فصول السنة .. إن موقعنا الجغرافي هو خير ما يدعو الآجانب لزيارة بلادنا .. فأفسدنا البيئة .. ففسد المناخ .. فزهد فينا الزائر قبل أن يصل إلينا بدسائس العدو الحاقد .. حقاً .. إن كانت لدينا حساسية تجاه العدو الحاقد .. يجب الا يكون ذلك بالعنتريات ، بل بالتحدي الذي يُعيد الجمال إلي ديارنا .. والبسمة علي شفاة كل مواطن من مواطنينا .. فحب الوطن .. حفاظاً .. وتشجيراً .. وتنظيفاً .. وتجميلاً .. وتنمية . فحب الوطن من الإيمان .. كما علَّمنا الرسول الحبيب . فحب الوطن هو الإرتباط به .. الدفاع عنه .. حمايته ... التمسك به .. فلم يعد أمامنا من مأوي سواه .. ضاقت الحدود .. نُصبت الفخاخ .. أقيمت الأسلاك الشائكة حولنا .. رغم دعوي العولمة التي ينصبون لنا فخاخها ..

أن التطور الذي طرأ علي المجتمعات العربية عامة ، والمصرية خاصة ، وكما هو الحال في بقية العالم الإسلامي ، وفي تركيا ، أستتبعه قيام بعض المنشآت ، والتجمعات الصناعية .. وقد ترتب علي ذلك أيضاً هجرة مكثفة ، وغير منظمة ، من القرية إلي المدينة .. وفقدت المدينة الكثير من أحزمة الأمان ، التي كانت تحيط بها ومن أهمها "الأحزمة الخضراء "التي ضربها الجدود حول المدن .. ضاعت الأحزمه الخضراء ، وحلت محلها العشوائيات ..

العشوائيـــات :

معظم بلداننا شهدت تزيداً كبيراً في عدد السكان ، وهجرة متزايدة من الريف إلي المدن تحت ضغط لقمة العيش ، والحرمان من المقومات الحضارية ، للمعيشة اليومية ، في الريف . والتركيز علي المدن المركزية في التصنيع .. وقد ترتب علي ذلك زيادة مطردة ، بل زحام وتكدس سكاني في هذه المدن .. فـفلت الزمـام .. وقـامت في الضواحي القريبة .. والفراغات الكبيرة بين الآحياء القائمة .. مساكن محرومة من كل مقومات الحياة الكريمة .. لاماء .. لا صرف صحي .. لا كهرباء .. لا تنظيم .. لا مراعاة لأي ظروف صحية .. تكدس للأنفس .. تلاطم للأهواء .. تلك هي التي نعرفها تحت أسم "العشوائيات" لم تعرف هذه العشوائيات أي مقوم من مقومات البيئة الصحية السليمة .. فلا منشآت صحية أو تعليمية .. أو رياضية .. أو إجتماعية لم تتوقف موجات الهجرة من الريف . زادت أعداد المكدسين .. والمحرومين .. والمعدومين . وكانت النسبة الكبري بين هؤلاء الذين قطنوا هذه العشوائيات من الأسر النواة .. الأسر الحديثة العهد . ورويداً رويداً جاوروا الذين سبقوهم في هذه العشوائيات .. أو تكدسوا لديهم بحثاً عن فرصة عمل لم توات الغالبية العظمي منهم .. ولم يدفعهم هذا الفشل إلي تحذير ذويهم .. بل دفعهم الغرور الكاذب .. والكذب الممزوج بحلم الثراء إلي جذب المزيد من الآقارب ..

لقد خلق هذا الوضع ، أحياءاً عشوائية عديدة ، آحاطت بالمدن ، بدلاً من الأحزمة الخضراء ، وعناصر الأمان .. ونتج فيها إنسان عشوائي ، لا يعرف عن البيئة التي يعيش فيها شيئاً ، من التنظيم ، أو التجميل .. كل ما يعرفه هو التسول ، أو العمل

كبائع متجول ، .. أو حرفي غير مؤهل .. أو غير مدرّب فزاد البيئة المحيطة تلويثاً .
وبدلاً من أن يمتد حزام الخضرة ، والأمن ، والأمان .. زادت سحابات الدخان ..
وموجات الإرهاب .. وعصابات الجريمة المنظمة . والجرائم العشوائية .. وطفت علي
السطح ، جرائم العنف .. والنصب .. والإغتصاب . وجميعها أخطر أنواع التلوث
التي آصابت مجتمعاتنا المعاصرة ..

خلاصة القول ؛ يمكن أن نوجز الكيفية التي يمكن بها حماية البيئة من الأخطار
المحدقة بها .. فالأخطار ، أو التلوث التي تنتج عن الطبيعة ، لم يستطع الإنسان حتي
الآن – رغم تقدمه – أن يتغلب عليها رغم ما بذله من مجهودات .

إستخدام علوم الآرصاد الجوية لمحاولات التغلب علي الجفاف ، أو الأمطار
الغزيرة ، وبناء السدود ، أو الخزانات للإستفادة من المياه الزائدة في فترات
الوفرة .. خلال مواسم القحط المائي .. كما يجب بذل أقصي طاقات العلم
الممكنة التي تتنبأ بحدوث الزلازل والبراكين .. وإتخاذ التدابير المبكرة ، الممكنة
للتقليل من قوة العواصف المدارية .. أما المشاكل الناتجة عن خطر التلوث ،
والتي تنبه لها الإنسان المعاصر ، برصده الكثير من الظواهر المرتبطة بتلوث كل من
الماء ، والهواء ، والتربة ، وذلك منذ ١٩٥٠م والتي يمكن أن يكون للأسرة ؛ سواء
علي النطاق الضيق ، أو علي النطاق الأوسع ، دوراً مهما .. ولتحقيق هذا الهدف
الذى يروم حماية البيئة من الفناء، فقدتم رصد الميزانيات ، ووضع المشروعات ،
وتكونت اللجان ، للتغلب علي هذه المشاكل ، والتي تهدد بفناء الحياة على سطح
الارض .

شهد العالم عام ١٩٧٢م = صدور أول إعلان لحماية البيئة من التلوث ، وتم وضع
برنامج دولي مدعوم من الأمم المتحدة لمكافحة التلوث بكل أشكاله ، وأنواعه ...

ولو عدنا إلي تراثنا الحضاري الذاتي ؛ لوجدناه قد سبق العالم أجمع في وضع
الأسس القوية لحماية البيئة .. بالدعوة إلي الغرس .. والحفاظ على طهارة الماء ..
والحرص علي الطهارة . والنظافة والتزّين .. والتطيب (**خذوا زينتكم عند كل صلاة**)
و (**إماطة الأذي عن الطريق**) .. والحرص علي الهدوء وعدم إحداث الضوضاء أي

التلوث السمعي (**فإن أنكر الأصوات لصوت الحمير**) .. يحضنا التراث علي عدم مجالسة جليس السوء .. فهو كنافخ الكير لا يصيبك منه إلا الشرر .. والدخان .. والضرر.. ومن هنا يجب أن نكمم أفواه المصانع .. ونلغي مداخن الكمائن ، ونمنع الصرف في الموارد المائية ، حتي لا نكون كمن يمنع الحياة ، ويتحدي الخالق .. فسبحانه وتعالي جعل من الماء كل شيء حي .. وأقسم بالتين ، والزيتون أي بالخضرة.. والسلام .. والجمال بأنه قد خلق الإنسان في أحسن تقويم .. أي أن الله سبحانه قد هيء لنا المناخ المناسب ، والصالح لكي نكون في أبهي صورة .. لأنه جميل يحب الجمال ...

تم بحمد الله وتوفيقه

في صباح يوم السبت ٢٠ من صفر سنه ١٤٢٠هـ
والموافق الخامس من يونيو سنه ١٩٩٩م .

المصادر والمراجع

أولاً :

المصادر والمراجع العربية :

١- آن مارى كوردوده ،

ترجمة : د. أكرم فاضل ، المسرح الشعبى هل هو فن الجماهير ؟

مجلة التراث الشعبى ، العدد الثانى عشر ، السنة الثامنة ١٩٧٧م.

٢ - إبراهيم أحمد شعلان ،

الشعب المصرى فى أمثاله الشعبية .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩١ هـ = ١٩٧٢ م

٣- أبو بكر جابر الجزائرى ،

منهاج المسلم ، دار الفكر العربى - " بدون"

٤ - أبو بكر عبد الكافى ،

من مراسيم الزواج فى تونس ؛

مجلة التراث الشعبى ، العدد العاشر ، السنة الثامنة ١٩٧٧ م

٥- أحمد حمودى ،

جولة مع الجاهلية فى عالم الجن ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد الثامن والتاسع السنة السابعة ١٩٧٦ م .

٦- أحمد محارب الظفيرى ،

الماء والمطر فى حياة البادية .

مجلة التراث الشعبى ، العدد الثانى عشر ، السنة الرابعة ١٩٧٣م .

٧ - إدريس الكتانى ،

أستاذ علم الإجتماع - كلية الآداب جامعة محمد الخامس - الرباط

الأسرة المغربية التقليدية ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد الثالث ، السنة التاسعة سنة ١٩٧٨م.

٨- ايسابيل كَوريرولونا ،

جامعة مدريد المستقلة - أسبانيا

الأمثال العربية والآسبانية "دراسة مقارنة"

مجلة التراث الشعبى ، العدد العاشر ، السنة الحادية عشر سنة ١٩٨٠ م.

٩ - ثلماعقراوى ،

مراسيم الزواج فى العراق القديم ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد الثالث ، السنة التاسعة سنة ١٩٧٨ م .

١٠ - جبار عبد الله الجويبراوى ،

- مفهوم الزمن فى التفكير الشعبى

مجلة التراث الشعبى العدد الثالث - السنة التاسعه ١٩٧٨م .

١١- جبار الجويبراوى ،

ملامح فولكلور الخليج العربى فى شعر فائق عبد الجليل

التراث الشعبى العدد ٨ السنة الثانية سنة ١٩٧٧ م.

١٢ - حسين الجليلى ،

- الزراعة والأدب الشعبى

- مجلة التراث الشعبى ، العدد التاسع - السنة الثامنة سنه ١٩٧٧ م .

١٣ - حسين علي الجبورى ،

- المطر - في التفكير المثولوجي

مجلة التراث الشعبي العدد الأول - السنه السابعة سنة ١٩٧٦ م.

١٤ - حسين علي الجبورى ،

- تقاليد البلوغ والزواج والموت عند قبائل النوير في جنوب السودان ،

مجلة التراث الشعبي ، العدد الرابع ، السنة السابعة ١٩٧٦ م.

١٥ - سليم الشمرى ،

وحدة التراث الشعبى العربى ،

التراث الشعبى ، العدد ٢ ، ٣ السنة السابعة ١٩٧٦م.

١٦ - سوسن عامر ،

الرسوم الشعبية فى البلاد العربية ،

التراث الشعبى ، العدد الثانى السنة التاسعة سنة ١٩٧٨

١٧ - سهيل قاشا ،

- الحلي في وادي الرافدين ،

مجلة التراث العربي ، العدد الثالث ، السنة التاسعة ١٩٧٨ .

١٨ - شاكر هادي شكر ،

من ذكريات الريف ، سجية الكرم .

مجلة التراث الشعبى ، العدد الخامس - السنه التاسعة سنه ١٩٧٨ م ،

١٩ - شريف يوسف ،

- الرياضة ووسائل ، اللهو عند العرب ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد التاسع ، السنه الثامنة ١٩٧٧ م .

٢٠ - شكر حاجم الصالحى ،

المضيف فى التراث الشعبى ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد الأول السنة الثامنة سنة ١٩٧٧ م .

٢١ - صالح عبود كاظم ،

- الشاي والقهوة في تقاليد الشعوب ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد ٨ ، ٩ ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٢٢ - صالح مهدى العزاوى ،

- أسماء الأطعمة وآداب الطعام في التراث العربي ،

- مجلة التراث الشعبي ، العدد التاسع ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣ م .

٢٣- صالح مهدي العزاوى ،

- أرباب الحرف والصناعات في التراث العربي ،

مجلة التراث الشعبى ؛ عدد السنه التاسعة ، ١٩٧٨ م .

٢٤ – طلال سالم الحديثي ،
– الزواج في مدينة جزائرية ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد الرابع ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٢٥ – طلال سالم ،
– من روافد الأدب الشعبي الجزائري الأحاجي ،
مجلة التراث الشعبي ،

٢٦ – عباس العزاوي ،
أدب البادية ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد التاسع ، السنة الثامنة سنة ١٩٧٧ م .

٢٧ – عبد الجبار محمود ،
– الملابس والحلي في شعر المتنبي ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد السابع ، السنه السابعة ، ١٩٧٦ م .

٢٨– عبد الحسين عبد الأمير الشمري ،
– السيف العربي ،
مجلة التراث العربي ، العدد الثامن ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣ م .

٢٩ – الدكتور عبد الملك مرتاض ،
– أسماء الأطعمة والأشربة في العامية الجزائرية ،
– مجلة التراث الشعبي ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٣٠– عزّي الوهاب ،
النخلة في صناعتنا ومعتقداتنا الشعبية ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد التاسع ، السنة الثانية سنة ١٩٧١ م .

٣١– عطيه مرجان ابو ذر ،
– الزواج في ليبيا ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد الأول – السنه الثامنة ، ١٩٧٧ م .

٣٢- عمر حسين أمرير ،
– حفلات الزواج والحب فيِ الأطلس الكبير المغربيِ ،
مجلة التراث الشعبيِ ، العدد الثانى عشر ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧ م .

٣٣ - عليِ التلعفرىِ ،
– الإستسقاء فيِ تلعفر ،
مجلة التراث الشعبى ، العدد الثامن ، السنة الرابعة ١٩٧٣ م .

٣٤- عليِ زين العابدين ،
– وظائف الحليِ الشعبية ودورها فيِ الحياة ،
مجلة التراث الشعبى ، العدد الثانى عشر ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧ م .

٣٥ - غازىِ عبد الباقيِ ،
– الأغانيِ الشعبية ، فيِ الموالد الدينية بمصر .
مجلة التراث الشعبى ، العدد الأول ، السنة الثامنة ١٩٧٧ م .

٣٦ - فخرى حميد القصاب ؛
– تقاليد ومعتقدات ونصوص حول الضيافة ،
مجلة التراث الشعبيِ ، العدد السابع ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٣٧ - كاظم سعد الدين ،
– صيد الصقور وتدريبها فيِ المنطقة الشرقية ،
– مجلة التراث الشعبيِ ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٣٨ - الدكتورة : كريستينا سكارجينيسكا ،
وحدة التراث الشعبى العربي ،
" الملامح العربية المشتركة فى الزواج" مجلة التراث الشعبى . . .

٣٩- الدكتورة : كريستينا سكارجينيسكا ،
– تشابه بعض رموز عادات وتقاليد الزواج فى كل من البلاد العربيه وبولندا ،
مجلة التراث الشعبى ، العدد الثانى ، السنة الثامنة ١٩٧٧ م .

٤٠ - لطفي الخوري ،
- الغجر والخيل ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد التاسع ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧ م .

٤١ - محرم إدريس ،
- إختيار الزوجة كما تقدمه الحكاية الشعبية بالمغرب ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد السادس ، السنة التاسعة ، ١٩٧٨ م .

٤٢ - محمد الأخضر عبد القادر السائحي ،
- الأفـراح والأحـزان في منطقـه وادي ربغ ، "إحـدى واحـات الجنوب الشرقي الجزائري"
مجلة التراث الشعبي ، العدد الثالث ، السنة التاسعة ، ١٩٧٨ م .

٤٣ -محمد سماره ،
- أهازيج وأغاني الأعراس الفلسطينية ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٤٤ - محمد عجاج الجميلي ،
- معتقدات غيبيه غريبة ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد ٨ ، ٩ السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٤٥ - محمد عجاج الجميلي ،
- عندما ينحبس المطر ،
مجلة التراث الشعبي ، العدد الرابع ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٤٦ - محمد هناء متولي ،
- مبادىء الموتيفات الشعبية وطرزها والإستفادة من التجربة البولندية ،
- مجلة التراث الشعبي ، العدد العاشر ، السنه الحادية عشرة ، ١٩٨٠م.

٤٧ - الإمام الحافظ شيخ الإسلام ،
محى الدين أبى زكـريا يحى بن شرف النووى الدمشـقى الشافعي ، دار الشرق العربي ، بيروت ، [بدون] .

٤٨ - **مهدى عمودي الأنصارى ،**

- من عادات وتقاليد المجتمع الكاظمى ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد التاسع ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣ م .

٤٩ - **نجاح هادي كبة ،**

- آثار من طوطمية الحيوان عند العرب ،

مجلة التراث الشعبى ، العدد الثانى ، السنه الثامنة ، ١٩٧٧ م

٥٠ - **هادي محمد كاظم الشربتى ،**

- الخبز بين الصناعة والفقه والأدب ، والمأثورات الشعبية ،

مجلة التراث الشعبى ؛ العدد ٧ ، السنة ٧ ، ١٩٧٦ م

* * *

ثانيـاً :

المصادر والمراجـع التركية :

1- Acipayaml, Orhan,

Türkiye'de Dogumla ilgili Adet Ve inanmalarin Etnolojik Etüdü, Ankara, 1974.

2- Ahmet Rasim,

Ramazan Sohbetleri , Istanbul 1967.

3- AKSEKi Ahmet Hamdi ,

islâm Dini - islâm itikadi ve ibade - ti , Ankara 1933.

4- AKSEL Malik ,

Ramazan Davulu ve Ramazan yakisi. T. F. Arastirmalari c.xiv

5- ARAZ Nezihe,

Türk Yemek Gelenegi, Ankara 1988.

6- ARAZ Nezihe, O

ÖrF ve Âdetlerimiz, Türk Töresi Istanbul, 1994.

7- AYVERDi Sâmiha,

Bag Bozumu, Hatiralar - Mak - aleler, istanbul 1987 .

8- BAIKIR A. OSMan,

Balikesir Dogum Gelenekleri ve Coçuk, Balikesir, 1935.

9- BAYRI M. Halit,

Istanbul'da Sünnet Dügünü H. Bilgisi Haberleri cxi Kasim 1941.

10- Bildik H. Mustafa,

Müslümanlikta Cenaze, Kabir Ziyareti ve Kurban Hakkinda Bilgiler, izmir, 1967.

11- ÇAGATAY Neset,

Ahilik Nedir? Ankara, 1990.

12- **ÇAPANOGLU Münir Süleyman,**

Onbir Ayin Sultani Ramazan T. F. Arastirmalari C.III Mayis 1954.

13- **ERDENTUG Nermin,**

Sosyal Adet ve Gelenekler, Ankara, 1977 ,

14- **ERTEM Etem ,**

Ramazan Adetleri Nisan 1938.

15- **LEWIS Raphacla,**

Osmanl, Türkiyesinde Gunde

lik Hayat. Istanbul, 1973.

16- **NAHYA Zümürt,**

Özel Gün Yemekleri, Ank. 1982.

17- **ÖZBAS Hasan,**

Jozgat'ta iftarlik ve Ramazan, T. F. Arastirmalari c.xi 1968,

18- **PARIAK Mustafa ,**

Sofra ve Ziyaret Dualari, Erciyes nr, Mart 1981 .

19- **TECER Ahmet Kutsî,**

Mahya ve Kandiller, T. F. Aras

- tirmalari,c vlll, Subat 1963.

20- **ULUNAY Refi Cevat,**

Eski Sünnet Dügünleri, Milliyat, Agustos 1961.

21- **ÜNVER Süheyl ,**

Mahya ve Mahyacilik. T. F. Arastirmalari C,IX ocak 1965.

22- **JETiSEN Riza ,**

Jilin Sayili Günleri ; Muharrem Ayl C:XI,

* * *

فهرس الكتاب

مسلسل	الموضـــوع	الصفحة

مسلسل	الموضـــوع	الصفحة

***